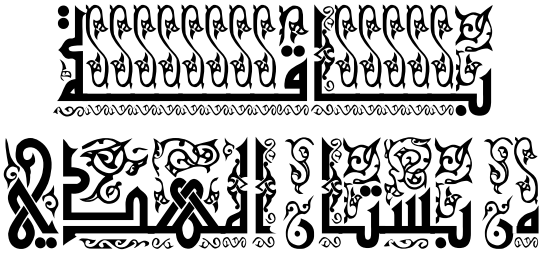


(خمسة كتب)

تأليف

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب : باقة من بستان المهدي

الطبعة الحديثة : ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

# *Bāqah min Bustānil Mahdī*

***By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad*** (Peace and blessings of Allah be upon him)***, the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at***

© Al-Shirkatul Islamiyyah

First Published in UK in 2007

By: Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

**ISBN**: 185372 825 X

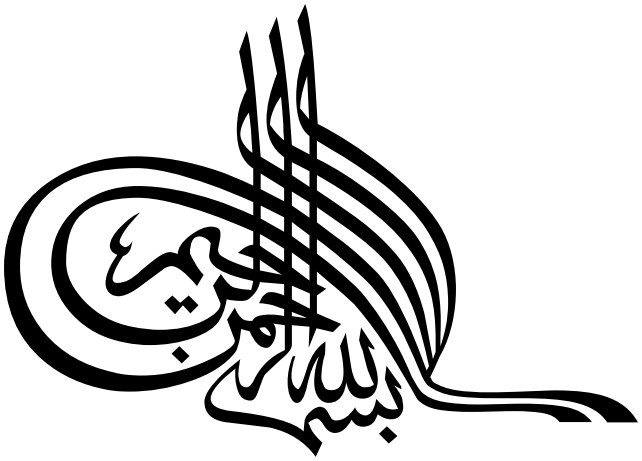
بسم الله الرحمن الرحيم

تصلح أن تكون دليلا وهداية لكل من رام الحق وطلبه، مشفوعة بقصيدتين جميلتين، إضافةً إلى نموذج مما منّ الله به على حضرته من البشارات.

## إتمام الحجة

هذا الكتاب ألفه سيدنا أحمد عليه السلام في حزيران/يونيو ١٨٩٤م إتمامًا للحجة على أحد معارضيه المولوي "الرسل البابا"، الذي نشر كتيبا بعنوان: حياة المسيح، حاول فيه إثبات عقيدة حياة المسيح الناصري عليه السلام، وأعلن تقديم جائزة قدرها ألف روبية لمن ينقض أدلته ويبطل براهينه. غير أنه قال أيضا إن هذه الأدلة المذكورة مخفية في طيات الكتيب ولا يدركها إلا الذي قرأ هذا الكتيب بدقة وتتلمذ على يده؛ وبهذا يكون قد ضَمِن لنفسه أن يتملص من الإقرار والاعتراف بإبطال أدلته، وفي هذا مخادعة ساذجة مكشوفة.

فألف سيدنا أحمد عليه السلام هذا الكتاب، ودلل فيه على وفاة المسيح بأدلة مستمدة من القرآن المجيد والأحاديث النبوية ومن أقوال الأئمة والسلف الصالحين بأسلوب سلس بيّن موجز. كما خاطب "الرسلَ البابا" بشيء من الشدة لما بدا منه من المراوغة والصلف والكبرياء. فاقترح عليه السلام أن يودع "الرسل البابا" مبلغ الجائزة لدى لجنة من ثلاثة أشخاص يقرّون خطيا أنهم سوف يسلّمونها لحضرته إذا تبين أنه قد أقام الحجة عليه وأفحمه. وقد أكد حضرته في أكثر من موضع أنه لا يطمع بالجائزة ولا يرغب فيها، ولا يهتمّ بالمال ولا بالدنيا وما فيها، وإنما تكمن أهمية هذا الأمر في أنه سيتم الحجة على الكاذب.

ولقد أرسل حضرته عليه السلام كتابه هذا إلى المولوي "الرسل البابا" أيضا في البريد المسجل، غير أنه لاذ بالصمت، وفي نهاية المطاف مات في مدينة أمرتسر بالطاعون في ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٢م.

كتب حضرته عليه السلام جزءا من هذا الكتاب باللغة العربية وجزءا آخر بالأردية.

## حجة الله

لقد نشر المولوي عبد الحق الغزنوي إعلانا بذئيا ضد سيدنا أحمد عليه السلام معترضا فيه على معرفته باللغة العربية، ومتحديا إياه للمناظرة باللغة العربية. فقبل حضرته عليه السلام التحدي واشترط قائلا: إنك ترى أنني أجهل العربيةَ جهلا تاما، ولكن إن هُزمتَ في المناظرة فلا أطلب منك إلا أن تعتبر غلبتي عليك معجزة من الله تعالى وأن تبايعني على الفور. فلم يردّ المولوي الغزنوي على ذلك، كما أن زميله الشيخ النجفي أيضا لم ينبس ببنت شفة؛ فبدأ حضرته عليه السلام بتأليف هذا الكتاب باللغة العربية الفصيحة في ١٧ آذار/مارس عام ١٨٩٧م وأكمل تأليفه في ٢٦ أيار/مايو عام ١٨٩٧م.

ولكي يقيم الحجة على من يكفّره من العلماء، دعا حضرته عليه السلام المولويَ البطالوي والمولوي الغزنوي والشيخ النجفي وأشياعهم للمبارزة وتحداهم بما يلي: "فليُناضلوني في هذا ولو متظاهرين بأمثالهم، وليبرهنوا على كمالهم، وإلا كشفتُ عن سبّهم وأخزيتُهم في أعين جُهّالهم. ومن يكتب منهم كتابا كمثل هذه الرسالة، إلى ثلاثة أشهر أو إلى الأربعة، فقد

كذّبني صدقا وعدلا، وأثبتَ أني لستُ من الحضرة الأحدية. فهل في الحيّ حيٌّ يقضي هذه الخطّة، ويُنجّي الأمّة من التفرقة؟ وليستظهرْ بالأدباء إن كان جاهلا لا يعرف طرق الإنشاء، وليعلم أنه من المغلوبين."

ثم قال حضرته ما مفاده: فلو تمكنوا من نشر كتاب مماثل لكتابي كيفًا وكمًّا في النظم والنثر، ثم لو حكَم أحد من أساتذة اللغة العربية مثل المولوي عبد الله أو غيره – حالفا بالله – بأن كتابهم يماثل كتابي أو أفضل منه، ثم لم يحلّ بالحالف عذابُ الله في غضون ٤١ يومًا من دعائي، لأحرقتُ جميع كتبي وتبتُ على يدهم. هكذا سوف يُسوَّى بشكل نهائي الخلافُ الدائر بيننا. ومن لا يخرج للمبارزة بعد هذا التحدي فليعلم الجميع أنه من الكاذبين.

ولكن لم يتصد أحد من هؤلاء المشايخ ولا غيرهم لهذا التحدي.

## ترغيب المؤمنين

هذا الكتاب هو القسم العربي من كتاب "البلاغ" الذي ألّفه سيدنا أحمد عليه السلام بعد أن نشر شخص متنصر يُدعى "أحمد شاه" كتابا بذيئا أسماه "أمهات المؤمنين" في عام ١٨٩٧م وأرسل ألف نسخة منه مجانا إلى علماء المسلمين ومشايخهم متحديا أن يردوا عليه. وقد ضمَّن الكتابَ عبارات بذيئة وفاحشة بحق النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات، مما أثار عاصفة من الغضب في صفوف المسلمين.

ومن العجيب أن حضرته ألّف هذا القسم من الكتاب بالعربية، واضعا من خلاله أسسًا وقواعد للرد على مسألة كهذه، وجعل القسم

الأوردي من الكتاب مختصا بذكر بعض التفاصيل والأمور الخاصة بتلك الحادثة تحديدا، وكأن في ذلك نبوءة بأن ما حدث الآن سيحدث ما يشابهه لاحقا في بلاد العرب، وسيكون أكثر شمولية وعلى أوسع نطاق. وهذا ما يحدث في هذه الأوقات، حيث اجترأ المسيحيون على مهاجمة الإسلام والنبي الكريم ﷺ وأزواجه المطهرات بصورة لم تحدث من قبل، ظانين أنهم سيوجّهون بذلك الضربة القاضية للإسلام بعد أن تبدَّى الضعف والهزال على الأمة عامة وعلى الأمة العربية خاصة.

هذا، وإن من أهم القواعد التي وضعها حضرته عليه السلام للتعامل في ظل هذه الظروف هو الحثُّ على التعقل والرد على هذه الهجمات بما يماثلها. فعلى المسلمين أن يبينوا للناس زيفها بدلاً من معاقبة الشخص المهاجم أو مطالبة الحكومة بمعاقبته، لأنه ليس الأول ولن يكون الأخير، وأيضا لأن هذا التصرف من المسلمين سيؤدي إلى شماتة الأعداء بهم، فكأنهم لا يملكون جوابا على هذه التهم.

كذلك فقد ذكَّر حضرته عليه السلام بأهمية حفظ الأمن والنظام وعدم إثارة الاضطراب والفوضى. وقد ذكّر بأن الحكام إذا أعطوا الناس حريتهم وعدلوا ومنعوا عدوان فريق على آخر، فهم بذلك يكونون قد أحسنوا إلى الجميع وإلى المسلمين خصوصا، ويصبح واجبا على المسلمين تأدية الشكر لهم. وعليهم ألا يصبحوا ألعوبة في أيدي بعض المتشددين الذين يتخذون الدين مطية لتحقيق مصالحهم ويحاولون جر العامة خلفهم لكي يصلوا إلى مآربهم.

كما ردّ حضرته عليه السلام أيضا على الشبهة التي أثارها ذلك المهاجم في كتابه ردا موجزا جامعا مانعا، فبيّن أن الأناجيل قد صورت المسيح عليه السلام في صورة جعلته محبا للزانيات راضيا بالتعامل معهن والاستئناس بحديثهن، وشَرِهًا إلى الأكل، مدمنا على الخمر. ومع تأكيده على براءة المسيح عليه السلام من هذه الصورة القبيحة، قد قدم المؤلف عليه السلام قاعدة لإفحام الخصوم في المناظرات؛ وهي بعرض ما لديهم من أمور تشابه الشبهات التي أرادوا إلصاقها بالإسلام، علّهم ينتبهون لما عندهم ويثوبون إلى رشدهم.

## حقيقة المهدي

كان الشيخ البطالوي من ألدّ أعداء سيدنا أحمد عليه السلام، وظل يناصبه العداء طوال حياته ويتحين الفرص لإلحاق الضرر به عليه السلام. فلما عجز عن مواجهته بالأدلة والبراهين اتخذ الوشاية إلى الحكومة الإنجليزية شرعة له. فبلّغ الحكومةَ بأن هذا الرجل ليس مخلصًا للدولة البريطانية بل هو متمرد عليها؛ لأنه يدعي بأنه المهدي المنتظر، بل هو أخطر من المهدي السوداني، فلا يليق بالحكومة إمهاله ومنحه حرية الدعوة. وتأكيدا على ذلك نشر كتيبا بالإنجليزية ادعى فيه أنه مخلص للحكومة البريطانية ولا يعتقد بظهور مهدي يخرج من بني فاطمة، يشن الحروب الدينية ويُدخل الكفار جميعا في الإسلام قسرا. كما أنه لا يرى ضرورة الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية، حيث يعتبر جميع الروايات الواردة عن المهدي السفاك من بني فاطمة مجروحة وضعيفة وموضوعة.

فألّف الإمام المهدي عليه السلام هذا الكتيب دحضًا لمزاعم الشيخ البطالوي واتهاماته، وأثبت أنه قد لجأ إلى النفاق والمداهنة فيما كتب إلى الحكومة من معتقداته عن المهدي. لقد ألف حضرته هذا الكتيّب على قسمين.. قسم باللغة الأردية وآخر باللغة العربية مع الترجمة الفارسية ونشره بتاريخ ٢١ فبراير عام ١٨٩٩م، وبالمقابل لم يكن لخصمه إلا أن يلزم الصمت والوجوم.

سيلاحظ القارئ المنصف من خلال قراءته لهذا الكتيب الوجيز أن حضرته عليه السلام قد لخّص بكلمات وجيزة نظريةَ الجهاد وظهور الإمام المهدي المنتظر من منظور إسلامي صحيح بأسلوب محكم وبليغ ومعجز وبلسان عربي مبين.

## هذه الطبعة

لقد ألّف سيدنا أحمد عليه السلام زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كُتب منفصلة منذ فترة طويلة، وإنما نُشرت ضمنَ الطبعة المعروفة بـــ "الخزائن الروحانية" التي تشتمل على كل ما كتبه عليه السلام بالعربية والفارسية والأردية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد – رحمه الله – الخليفةُ الرابع لسيدنا أحمد عليه السلام بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة. ولما كانت هذه الكتب الخمسة صغيرة الحجم فاستأذنّا سيدنا أمير المؤمنين مرزا مسرور أحمد الخليفة الخامس لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بنشرها ضمن مجلد واحد، فوافق حضرته على ذلك.

وثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا المجلد على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام عام ١٨٩٣م، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكَتَبَ - عادةً - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

## مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذه الكتب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود عليه السلام قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة، إفحامًا للمشايخ الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

**أولاً**: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، وهو كثير، كقوله عليه السلام:

- "البغيتين الزانيتين الميتين" (ص ١٠٠)

فاستخدم هنا "الميت" بمعني الميتة، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى:

- ﴿بلدة ميتا﴾ (الفرقان: ٢٦)
- ﴿تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ (الكهف:٦٠)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص.... وقال الله عز وجل ﴿السماء منفطر به﴾ فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و ٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعةِ في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله عز وجل ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجِرم)." (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

**ثانيا**: إضافة الشيء إلى نفسه كقوله: "وسخرِ بومُ ليلة الليلاء من الدرّة البيضاء". (ص ١٥٢)

ومثل هذا الاستخدام معروف في القرآن الكريم وكتب اللغة كـ ﴿حب الحصيد﴾ و ﴿دار الآخرة﴾ و "مسجد الجامع" وغيرها.

**ثالثا:** ورود إعراب بعض الأسماء على عكس ما هو المألوف عادة، كقوله عليه السلام: "ومَن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان." (ص٥٣)

ورد في "موسوعة الصرف والنحو":

من العرب من يقول في "أب" و "أخ" و "حم": هذا أبُك، ورأيتُ أبَك، ومررتُ بأبِك. أي إنه يعربها بحركات ظاهرة.... ومنهم من يلزمها الألف في حالات الإعراب الثلاث، ويعربها إعراب الاسم المقصور بحركات مقدرة على الألف سواء أضيفت أو لم تُضَفْ، نحو: "جاء أبًا" و "شاهدتُ أبًا" و "مررت بِأبًا" ومنه قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

(موسوعة الصرف والنحو للدكتور إميل بديع يعقوب، الأسماء الستة، ص ٨١، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الكتب القيمة، وهم الأساتذة الأفاضل: مصطفى ثابت، تميم أبو دقة، جمال أغزول، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مبشر أحمد كاهلون، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خانْ، الحافظ مظفر أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

**الناشر**

# تحفة بغداد

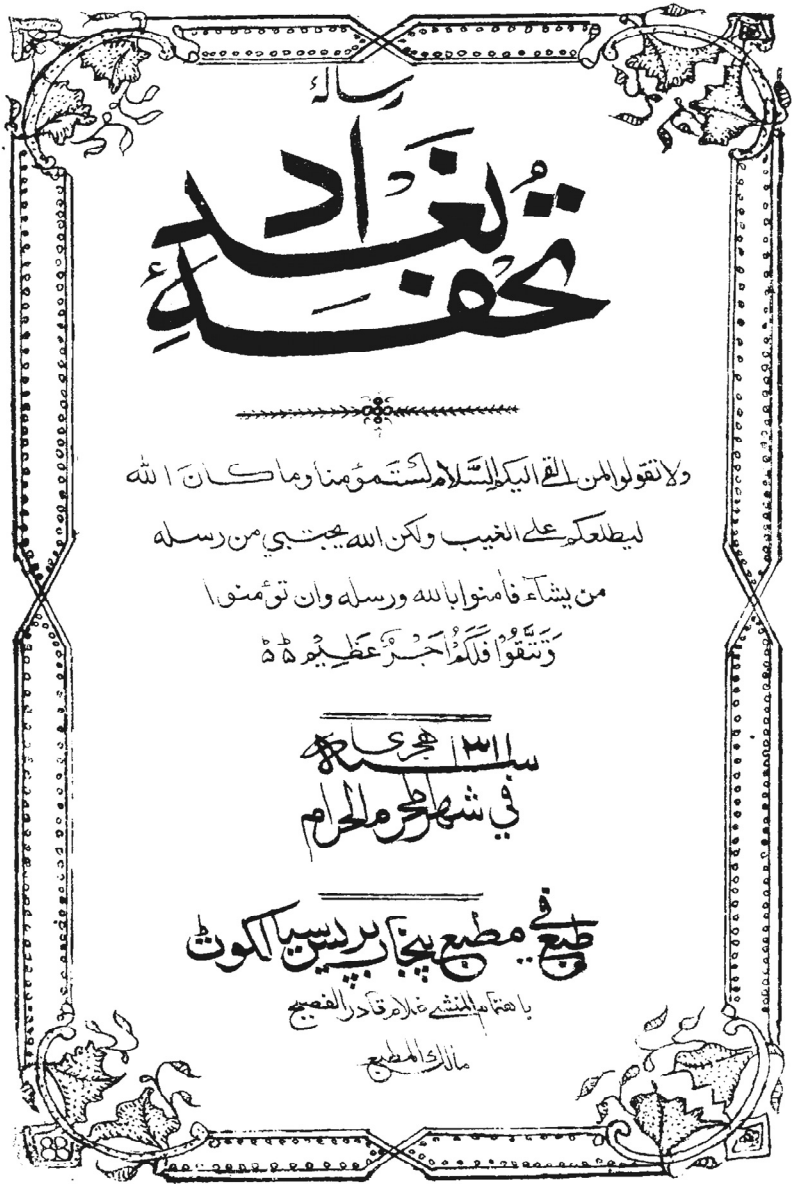
رسالة

# تحفة بغداد

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا
وتتقوا فلكم أجر عظيم ٥

سنة ١٣١١ هجرية
في شهر محرم الحرام

طبع في مطبع پنجاب پريس سيالكوٹ
باهتمام المنشي غلام قادر الفصيح
مالك المطبع

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإني رأيت في هذه الأيام اشتهارا ومكتوبًا أَرسل إليَّ السيدُ عبد الرازق القادري البغدادي من حيدرآباد دكن. فلما قرأت الاشتهار إذا هو من أخ مؤمن يخوّفني كما يخوّف الملكُ المقتدرُ المرتدَّ الكافرَ الفجّارَ، ويسُلُّ لقتلي السيف البتّار، وقد صَال عليَّ كرجل يهجم على رجل، فزفر زفرة القيظ، وكاد يتميّز من الغيظ، ونظر إليَّ كالمحملقين.

ورأيت أنه ما مسَّ وسائل العرفان، وما دنا أواصر تحقيق البيان، وكفّرني وسبّني، وحسبني من الذين كفروا أو ارتدوا، فأراد أن يكون أوّلَ اللاعنين والقاتلين. وإنه قد فتن قلوب بعض الناس، وأدناهم من شر الوسواس، فسنح لي أن أكتب في هذه الرسالة ما ينفعه وينفع عرب الحرمَين ويسرّ الناظرين. فالآن نكتب أولاً اشتهاره ومكتوبه، ثم نكتب جوابه ونهذّب أسلوبه.

فأيها القارئ! انظُرْ فيه بنظر الوداد، زادك الله في الصلاح والسداد، وهُنِّيتَ بما أُوتيتَ، ومُلِّيتَ بما أُولِيتَ، وما توفيقي إلا بالله النصير المعين.

## الاشتهار من السيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وحزبه، وبعد:

فمما لا يخفى على أساطين الدين المتين، وعلماء أئمة المسلمين، ما ظهر ظهور الشمس، وما بان بيان الأمس، من خرافات وكفريات المرزا غلام أحمد القادياني البنجابي، وما ادّعاه من أنه المسيح بن مريم، وأنه يُلقَى إليه الإلهامات من حضرة الحق ﷻ، ويُوحِي إليه ويُكلّمه كفاحًا ويُخاطبه شفاهًا، وأن الله أرسله لكسر الصليب وقتل الخنـــزير وإقامة الحدود الشرعية، والله تعالى يُخاطبه ويُناجيه بقوله: يا عيسى بن مريم إني أرسلتك للناس كافّةً فاصدَعْ بما تؤمر وأعرِضْ عن الجاهلين، وأن بيعته حق، وأن عيسى عليه السلام توفّاه الله وليس بحيّ، وأنه هو عيسى بذاته، وغير ذلك مما ترتجّ منه الأضالع، وتستكّ منه المسامع، كما رأيته مسطورا في كتابه المسمى **بمرآة كمالات الإسلام**، الذي عارض به القرآنَ، وهتَك به شريعة سيّدِ وُلْدِ عدنان، علاوة على ما ذكره في كتبه السابقة، من أساطيره الكاذبة. وهذا مما لا يطيق الصبر عليه إلا مَن طمس الله بصره وطبع على بصيرته.

والعجب العجاب أن في ديار الهند عامّةً، وفي رياسة حيدر آباد

خاصّة، مِن فحول العلماء وأشبال الفضلاء ما يضيق عن كثرتهم نطاق الحصر، هذا مع كونهم علموا واطّلعوا على شقاشق ذلك الدّجال المضلّ الضالّ البطّال، الذي لا يُطهّره في الدنيا إلا السيف البتّار، ولا في الآخرة إلا النّار، فلم أر مَن شمّر عن ساعدِ جِدِّه، وأَرْوى في مجال ميدان الحق فِرَنْدَه، وكفَحه بصارمِ همّته وبيانه، وطعَنه بسنان قلمه وتبيانه، وردَّ أقواله، وأوقفَه على شؤم أفعاله، وأنقذ عباد الله المؤمنين من شر فتنته، ونصر دين رسول الله ﷺ وشريعته. فوا أسفاه! ووا أسفاه! ثم وا أسفاه، على أهل همّة البطون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وحيث إني اطلعت على كل صفحات كتاب ذلك الضال، الممسوخ الدجّال، وما هتَك به شريعة سيّد الأنام، وما تعدّى بالازدراء على سيدنا عيسى عليه السلام، ووقفتُ على تمام عباراته التي لا يتفوّه بها إلا كل مخذول، أو زنديقًا شاكًّا في رسالة الرسول، مع تناقُض أقواله عن بعضها بعض، التزمت، وبالله أستعين، إذ هو الناصر والمعين، أن أرُدّ كتابه حرفًا بحرف، وصفًّا بصفٍّ، بكتاب أسمّيه "كشف الضلال والظلام عن مرآة كمالات الإسلام"، ردًّا يسرّ إن شاء الله نظر الناظر، ويشرح بفضل الله القلب والخاطر.

ثم عزمت أن أرسل كتاب المردود عليه إلى العراق وبغداد،

ليحكمون* العلماء الأعلام على مُصنَّفه كونَه من أهل الزيغ والإلحاد، فأكون إن شاء الله السبب الأقوى لحسم مادّة هذا الفساد، وجلاء تلك الغُمّة المدلهمّة عن سائر العباد، خدمةً مني للشريعة الأحمدية، وغيرةً على ناموس الْملّة المحمدية. وأؤمّل، والأمل بالله قوي، أن يكون إكمال هذا الردّ على المردود بظرف ثلاثة أشهر، فوجب أوّلاً شهرُ الحال بوجه الاشتهار لكافّة مَن وقف عليه، أن يعلموا علمًا يقينًا لا مِرية فيه مِن أن هذا الممسوخ وأمثاله يُطلَق عليهم قول النبي ﷺ دجّالون كذّابون يأتونكم بالأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم. هذا والله الهادي إلى سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل فقط.

المشتهر السيد عبد الرزاق القادري النقشبندي الرفاعي البغدادي، وارد حال بلدة حيدر آباد.

* هكذا في اشتهار البغدادي. (الناشر)

## مكتوب السّيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصّلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. الوصيّة لي ولإخواني بتقوى الله من العبد المُفتقر إلى رحمة المَلِك الحنّان، المدعو بالسيد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، أناله الله شفاعة نبيه الهادي، وحفظه من كيد الشياطين والأعادي، إلى خدمة الأجلّ والمطاع المبجّل العالم الفاضل، والمجتهد الكامل، حلاّلُ رموز المشكلات بألطف المعاني، وأظرف الترصيف والمباني، المولوي مرزا غلام أحمد القادياني، حفظه الله من زلة القدم، وعثرة اللسان والقلم، بحُرمة النبي الأكرم ﷺ، آمين.

أما بعد.. فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا يخفى أنه قد اطلعتُ على كتابكم المسمى بمرآة كمالات الإسلام، وعلِمت بما فيه، وأحطت فهمًا بمعانيه وفحاويه، ونكاته ومبانيه، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ولو لم تقسمون* على من اطّلع على ذلك الكتاب بأن يردّ خطأه، ويوضِّح لفظه، لما صرفنا عِنان القلم إلى ردّه. وقد جرت سُنّة أهل العلم من قديم الزمان وحادثه في الردّ على الباطل، وبالتزييف على العاطل. ولعل ورَدكم الاشتهار في هذا الباب، فلا تكونوا بالوجل، وارفعوا عنكم نقاب

* هكذا في مكتوب البغدادي. (الناشر)

الخجل. فلعل أن لا يتيسر طبع كتابنا لقرب سفرنا إلى الوطن، لكن أرجو أن تتحفوني بنسخة من مرآتكم، فإن النسخة التي هي عندي عارية، بشرط أن تُسرعون* بإرسالها في البريد، والسلام خير الختام.

ملتمسه السيّد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، غفر الله له

مؤرخة ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٠ هـ.

* هكذا في مكتوب البغدادي. (الناشر)

## جواب الاشتهار والمكتوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على رسوله محمد سيّد النبيّين وخاتم المرسلين، وفخر الأولين والآخرين، ومنبع كل فهم وحزم ونور وهدى وسراج منير للسالكين المتّبعين، وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدّين، وعلى كل من تبعه من الأولياء والشهداء والصلحاء أجمعين.

السّلام عليكم، أيها الصلحاء المعزَّرون الموقَّرون المعظَّمون، مِن إخوانكم المحقَّرين المكفَّرين المطرودين المهجورين.

**وبعد**.. فإنه قد بلغني مكتوبك واشتهارك يا أخي بقريتي "قاديان"، فأشكرك وأدعو لك، فإنك ذكّرتني وذاكرتني سبُلاً تحسبها مستقيمة، ولُمْتَني غيرةً على دين الله ورسوله كالمغضبين، فجزاك الله أحسن الجزاء، وأحسن إليك وهو خير المحسنين. وأرى أنّك رجل صالح طيّب، فإنك ما صبرت على ما حاك في صدرك، ولم تألُ نُصحًا ولم تداهن قولا، وكذلك سِيَرُ الصالحين.

ولكن.. أيها الخِلُّ الودود، والحِبُّ المودود! عفا الله عنك، قد استعجلتَ وحسبت أخاك المؤمن بالله ورسوله وكتابه مرتدًّا ومن الكافرين. ولوّمتني ورمَيتني بالسِّهام قبل أن تُفتِّش حقيقة الأمر وتفهم سرّ الكلام، أو تستفسر مني كدأب المحققين. والعجب

منك.. ومن مثلك رجل صالح، تقيّ نقيّ، حليم كريم.. أنك تكتب في اشتهارك أن جزاء هذا الرجل المرتد أن يُقتَل بالسّيف البتّار، أو يُلقى في النار، كما هو جزاء المرتدين.

أيها الأخ الصالح! أسرّك الله ورعاك، وحفظك وحماك، وفتح عينك وهداك، لا تخوّفني من سيفٍ بتّارٍ ولا رُمح ولا نار، وقد قُتلنا قبل سيفك بسيفٍ لا تعلمه، وذُقنا طعم نارٍ لا تعرفها، وإنّا إن شاء الله بعد ذلك من المنعمين.

أيها العزيز! إن الذين أخلصوا قلوبهم لله، وأسلموا وجوههم لله، وشربوا كأسًا من حُبّ الله، فلا يضيّعهم الله ربّهم، ولا يتركهم مولاهم، ولو عاداهم كلّ ورق الأشجار، وكل قطرة البحارِ، وكل ذرة الأحجار، وكلّ ما في العالمين. بل الذين يطيعونه ولا يبتغون إلا مرضاته، هم قوم لا يحزنهم إلا فراقه، وإذا وجدوا ما ابتغوا فلا يبقى لهم همٌّ ولا غمٌّ بعد ذلك ولو قُتلوا وأُحرقوا، ولا يضرّهم سبُّ قوم ولا لعنُ فرقة، ويجعل الله كلَّ لعنةٍ بركةً عليهم، وكلَّ سبٍّ رحمةً في حقهم. ألا يعلم ربنا ما في صدورنا؟ أأنت أعلم منه؟ فلا تكن من المستعجلين.

يا أخِي! ما تركتُ السبيل، وما عاصيتُ الرب الجليل، وليس كتابنا إلا الفرقان الكريم، وليس نبيّنا ومحبوبنا إلا المصطفى الرحيم، ولعنة الله على الذين يخرجون عن دينه مثقال ذرّة، فهم يدخلون

جهنم ملعونين. ولكن يا أخي.. إن في كتاب الله نكاتًا ومعارف لا يزاحمها عقيدة ولا يناقضها حكمٌ، ولا يُلقّاها من الأمم إلا الذي وجد وقت ظهورها، وكان من المنقطعين المبعوثين. ولله أسرارٌ وأسرارٌ وراء أسرارٍ لا تطلَع نجومها إلا في وقتها، فلا تجادل الله في أسراره. أتجترئ على ربك وتقول لما فعلت كذا و لم ما فعلت كذا؟

يا أخي! فوِّضْ غيب الله إلى الله ولا تدخل في غيوبه، ولا تزخّ دقائق المعارف التي دقّ مأخذها في ظواهر الشرع، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، وثبِّتْ نفسك على سبيل المتقين. ما كان إيمان الأخيار من الصحابة والتابعين بنُزول المسيح عليه السلام إلا إجماليا، وكانوا يؤمنون بالنُزول مجملا، ويفوّضون تفاصيلها إلى الله خالق السماوات والأرضين. وكيف يجوز نزول المسيح عليه السلام على المعنى الحقيقي، والله قد أخبر في كتابه العزيز أنه تُوفِّي ومات؟

وقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾✪

وقال: ﴿فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾○

وقال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾✱

وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾✱

---

✪ آل عمران: ٥٦ ○ المائدة: ١١٨ ✱ الزمر: ٤٣ ✱ الأنبياء: ٩٦

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ❖

يعني ماتوا كلهم كما استدل به الصِّدّيق الأكبر عند وفاة النبي ﷺ، فما بقي شك بعد ذلك في وفاة المسيح وامتناع رجوعه إن كنتم بالله وآياته مؤمنين. وقد ختم الله برسولنا النبيين، وقد انقطع وحي النبوة، فكيف يجيء المسيح ولا نبي بعد رسولنا؟ أيجيء معطَّلا من النبوة كالمعزولين؟ وقد بشّرنا رسول الله ﷺ أن المسيح الآتي يظهر من أمته وهو أحدٌ من المسلمين. وفي الصحاح أحاديث صحيحة مرفوعة متصلة شاهدة على وفاة عيسى عليه السلام، خصوصًا في البخاري بيان مصرح في هذا الأمر. فالعجب كل العجب على فهم رجل يشكّ في وفاته بعد كتاب الله ورسوله ويتذبذب كالمرتابين. وبأيِّ حديث بعد الله وآياته نترك متواترات القرآن؟ أنُؤْثِر الشكّ على اليقين؟

والقوم لا يتفق على صعود المسيح حيًّا إلى السماء، بل لهم آراءٌ شتّى، بعضهم يقول بالوفاة وبعضهم بالحياة. ولن تجد من النصوص الفرقانية والأحاديث النبوية دليلا على حياته، بل تسمع من الأخبار والآثار ومن كل جهة نعيَ الموت. وقد تُوفّي رسولنا ﷺ، أهو خيرٌ منه، أم هو ليس من الفانين؟ ورآه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج في الموتى من الأنبياء عليهم السلام، أفتظن أن رسول الله ﷺ أخطأ في

❖ آل عمران:١٤٥

رؤيته، أو قال ما يُخالف الحق؟ حاشا.. بل إنه أصدق الصادقين.

فهذا هو السبب الذي ألجأنا إلى اعتراف وفاة المسيح، وشهد عليه إلهامي المتواتر المتتابع من الله تعالى. وما نرى في هذه العقيدة مخالفة بقول رسول الله ﷺ ولا بعقيدة الصحابة ولا التابعين. والصحابة كلهم كانوا يؤمنون بوفاة المسيح، وكذلك الذين جاؤوا بعدهم من عباد الله المتبصّرين. ألا تنظر صحيح البخاري كيف فسّر فيه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾• ، فقال: متوفّيك: مميتُك. وأشار الإمام البخاري إلى صحّة هذا القول بإيراده آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في غير محلّه، وهذه عادة البخاري عند الاجتهاد وإظهار مذهبه كما لا يخفى على الماهرين.

أيها الأخ الصالح! انظُرْ كيف أشار البخاري – رحمه الله – إلى مذهبه بجمع الآيتين في غير المحلّ وإراءة تظاهُرهما. واعترف بأن المسيح قد مات، فتدبَّرْ فإن الله يحب المتدبّرين. وما كان لي منفعةٌ وراحةٌ في ترك كتاب الله وسُنن رسوله وحملِ أوزار خسران الدنيا والآخرة، وسماع لعن اللاعنين.

أيها الأخ الكريم! لَلحقُّ أحقُّ أن يُتّبع، والصدق حقيق بأن يُقبَل ويُستمَع، ويد الحق تصدع رداء الشك، والحق هو الجوهر الذي يظهر عند السبك، ويتلألأ في وقته الذي قدّر الله له، ولكل نبأٍ

---

• آل عمران: ٥٦

مستقرٌّ، ولكل نجمٍ مَطلعٌ، ولا تُعرف الأسرار إلا بعد وقوعها. فطوبى لمن فهم هذا السر وأدرك الأمر كالعاقلين. وإنّي أتيقّن أن مثلك.. مع كمال فضلك وتقواك.. لو كان مُطّلعًا على معارف اطّلعتُ عليها لكفَّ لسانه من لعني وطعني، ولَقَبِلَ ما قلتُ من معارف الملّة والدّين، ولكني أظنّك ما فهمتَ حقيقة مقالي، وما علمتَ صورة محالي، وما ظني فيك إلا الخير، وأسأل الله لك فضله ورحمته وهو أرحم الرّاحمين.

يا قُرّة أرضٍ مباركة وسُلالةَ أهلها! أنت بحمد الله تقيّ ونقيّ وزكيّ، وإني أحبّك وأصافيك كالمخلصين. وأُوتيك موثقًا من الله على أني أُوافقك وأقبل قولك، إن تُرِني آياتِ الفرقان على صحة زعمك، وتأتِني بسُلطان مبين. وما أبتغي إلا الحق، وقد شققتُ عصا الشقاق، وارتضعتُ أفاويق الوفاق، فجادِلْني بالحكمة وآيات كتاب الله السبّاق، وستجدني إن شاء الله من المنصفين. وإن كنت أن• تشتهي أن تسبّني أو تلعنني أو تكذّبني أو تقتلني بسيف بتّار أو تلقيني في نارٍ، فاصنع ما شئت، وما أرُدّ عليك إلا دعاء الخير والعافية. يا أهل البيت.. يرحمكم الله في الدنيا والآخرة، وآواكم في المرحومين.

أيها الشيخ! دعِ النـــزاع، وما ينبغي النـــزاع، فاتّق الله وأدرِكْ فرصة لا تُضاع، وارتحلْ إليّ رحلة الصادق المُعِدّ، وسِرْ نحوي سير

• *هكذا ورد في الأصل، والظاهر أن "أن" من خطأ النسخ، والله أعلم. (الناشر)*

المُجدّ، وتفضَّلْ وتجشَّمْ إلى بيتي، وكُلْ إلى شهرين من قرصي وزيتي، سيُريك الله حالاً لا ينكشف عن يد غيري من أهل البلدان وجَوّابتها، ولا من تأليفات محدودة البيان، فتعرفني بعين اليقين. وإن تقصدني مُخلصًا فأدعو لكً في آناء الليل وأطراف النهار، وأرجو أن يطمئن قلبك وأرى آثار الاستجابة، وتنجاب غشاوة الاسترابة، والله قدير ونصير ومُعين.

أيها الأخ الشريف الصالح! لا تنظُرْ إلى تكفير العلماء وتكذيبهم، فإني أعلم من الله ما لا يعلمون، وقد علمتُ حقيقة الأمر من ربّي وهم من الغافلين. ولا تنظر إلى ذلّتي وهواني، وحقارتي في أعين إخواني، فإن لي من الله تعالى في كل يوم نظرةً. أُقلَّبُ نحو الشمال ونحو اليمين، وأتقلّبُ في الحالَين بؤس ورَخاء، وأُنقَلُ مع الريحَين زعزع ورُخاء، والعاقبة خير لي إن شاء الله، وإني من المبشَّرين. اليوم يحقّرون ويكذّبون ويكفّرون، وأراهم عليَّ حريصين لو كانوا قادرين، وسيأتي زمان يظهر صدقي فيه ويُري اللهُ عبادَه آيات فضله عليَّ، فيجتلون أنوار عناياته ومطارف تفضّلاته، فيأتونني مُنكسرين. فطوبى لعين رأتني قبل وقتي، وطوبى لسعيد جاءني كالمخلصين.

أيها الشيخ! الوقت قد دنا، ومعظم العمر قد فنى، فأْتني على شريطة الصبر والتوقّف وقبول الهُدى، وعُدْ إلى الحق ودعِ العداء، ولا تنس حقك في العُقبى، ولا تُبارز المولى، وسارِعْ إليَّ مُرتدعًا، ليغفر لك الله ما سلف وما مضى، وطاوِعِ الحق وكن من

المطاوعين.

وإن كنت لا تقدر على هذا السفر البعيد، فلك طريق أُخرى. فإن كنت فاعلَها.. فأخرِجْ أوّلاً من صدرك كلَّ ما دخل فيه من سوء الظن، ثم قُمْ وتوضّأْ وصلِّ ركعتين، وصلِّ وسلِّمْ واستغفرْ استغفار التائبين، ثم اضطجعْ مستقبلا على مُصلاك، وتَخَلَّ بمُناجاة مولاك، واسأل الله لاستكشاف حالي، وحقيقية مقالي، ثم نَمْ قائلاً: يا خبير أخبِرْني في أمر أحمد بن غُلام مرتضى القادياني، أهو مردودٌ عندك أو مقبول؟ أهو ملعون عندك أو مقرون؟ إنك تعلم ما في قلوب عبادك، ولا تُخطئ عينك، وأنت خير الشاهدين. ربنا آتنا من لدنك علمًا جاذبًا إلى الحق، ونظرًا حافظًا من نقل الخطوات إلى خطط الخطيّات، وأدخِلْنا في الموفَّقين. ما كان لنا أن نُقدّم بين يديك، أو نتصرّف في سرائر عبادك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وافتح عيوننا، ولا تجعلنا من الذين يُعادون أولياءك، أو يحبّون المفسدين. آمين ثم آمين.

واستخِرْ يا أخي من جمعة إلى جمعة أُخرى، وعقِّبْ تهجُّدَك بهذه الركعتين، وأخبِرْني إذا أردت أن تشرعَ في هذا لأُرافقك في دُعائك، وأدعو لك في ابتغائك، وأرجو أن يسمع ربي ندائي، ويقبل دُعائي، إنه كان بي حفيًّا، وإنه نور عيني وقوة أعضائي، والله إني لمن المقبَّلين.

أيها العزيز! أراك فتىً صالحًا، فأرجو أن تقبل ما قُلتُ لك،

وأرجو أن تُدركك رِقّةٌ على دين سيّدي وسيّدك وجدّك ﷺ، وتسلك مسلك العارفين.

تَذكَّرْ يا أخي يــوم التــنادي وتُبْ قبــل الرحيل إلى المعادِ
فأخرِجْ كلَّ حــقدك مِن جَنانٍ وزَكِّ النفس من ســمّ العــنادِ
وخَفْ قهــر المهيمنِ عند ذنبٍ وقِــفْ ثم انتهِجْ سبــل الرشادِ
وأُقسِــم أنني يا ابن الكــرامِ لقد أُرْسِلتُ مــن رب العــبادِ
وقد أُعــطيتُ علمًا بعد علمٍ وكأسًا بعد كأس مِن جوادي
وحِبِّي كــل حيــن يجتبيــني ويُدنيــني ويعــطيني مــرادي
فما أُشقَى بلعــن اللاعنــينا وصدقي سوف يذكر في البلادِ
وكأسٍ قد شربنا فــي وِهــادٍ وأُخرى نشــرَبَنْ فوق المصادِ
ولست أخاف من موتي وقتلي إذا ما كان موتي في الجهادِ
وآثرْنا الحبــيب عــلى حيــاة وقمنــا لــلشهــادة بالعتــادِ
وما الخسران في موتٍ بتــقوى وخسرُ المــرء في سبل الفسادِ
وإني قــد خرجت إلى ذُكــاءٍ ففــارت عينُ نورٍ من فؤادي
بحمــد الله إن الحِبّ مــعــنا وما يرمي متــاعي بالكسادِ
ويدنيــني بحضرته بلــطــفٍ ويسقيــني مــدام الاتّــحادِ
وإنّ هــداية الفرقــان ديــني وأدعوكم إلى نهــج السَّــدادِ
فــقُمْ إن شئت كالأحباب طوعًا وإما شئت فاجلِسْ في الأعادي

وقد بارى العدو بعزمِ حـــربٍ وبارزْنا، فيـــا قـــومي.. بدادِ
وكان نصيحـــة لله فـــرضـــي فقد بلّغتُ فـــرضي بالـــوداد

أيها الأخ العزيز! ما جئتُ كطارق ليل، أو غثاء سيل، إن جئتُ إلا في وقت الضرورة وعلى رأس المائة، وجعلني الله لهذه المائة مجدِّدًا لأجدّد الدين، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة من يجدد دينها، فتحسَّسْ.. مَن مجدّد هذه المائة؟ وتفكَّرْ فإن الله يؤيّد المتفكّرين.

وقد جاء في أخبار أُخرى أن رسول الله ﷺ لما تُوفي صحت* الأرض فقالت: يا رب بقيت خالية إلى يوم القيامة من أقدام الأنبياء صلاة الله عليهم أجمعين. فأوحى الله تعالى إليها وقال: إني أخلق عليك أُناسًا قلوبهم كقلوب الأنبياء، منهم الأقطاب، ومنهم الأبدال، ومنهم الغوث، ومنهم دون ذلك، وكلٌ من المكلَّمين الملهَمين، ومنهم من يكون قلبه كقلب نوح وإبراهيم وموسى، ومنهم الذي كان قلبه كقلب عيسى، ويجيئون على أقدام النبيين.

فانظر، يا أخي، آثارَ رحمة الله كيف أكرم هذه الأمّة وجعلهم بأنبياء بني إسرائيل مُشابهين. وإن تعجَب فعجبٌ قول الذين يقولون: كيف جاء مثيل المسيح.. وإنْ هذه إلا كلمة الكفر؟ ولا ينظرون إلى ما قال الله ورسوله، ولا يتفكرون في الآيات والآثار ويعيشون

* *يبدو أنه سهو والصحيح "صيّحت" أو "صاحت" بمعنى صوّتت ونادت أو ضجّت. (الناشر)*

كالنائمين.

يا أخي، انظر في البخاري وغيره من الصحاح، كيف بشّر نبيّنا ورسولنا ﷺ وقال: إنه سيكون في أمّته قوم يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء ويُسمَّون محدَّثين. وقال الله جلّ شأنه ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[٥]، وحثَّ عباده على دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٦]، فما معنى الدعاء لو كُنّا من المحرومين؟ وأنت تعلم أن الذين أنعم الله عليهم أوّلاً هم الأنبياء والرسل، وما كان الإنعام من قسم درهم ودينار، بل من قسم علوم ومعارف، ونزول بركات وأنوار، كما تَقرّرَ عند العارفين.

وإذا أُمرنا بهذه الدعاءِ في كل صلاة فما أمَرَنا ربُّنا إلا ليُستجاب دعاؤنا، ونُعطَى ما أُعطيَ من الإنعامات للمرسلين. وقد بشّرنا – عز اسمه – بعطاء إنعامات أنعم على الأنبياء والرُّسُل من قبلنا وجعلنا لهم وارثين. فكيف نكفر بهذه الإنعامات ونكون كقوم عمين؟ وكيف يمكن أن يُخلف الله مواعيده بعد توكيدها ويجعلنا من المخيَّبين؟

أنت تعلم يأ أخي أن سراة الْمُنعَمين عليهم هم الأنبياء والرسل، وقد بشّرنا الله بعطاء هُداهم وبصيرتهم الكاملة التي لا تحصل إلا بعد مكالمة الله تعالى أو رؤية آياته. عفا الله عنك.. كيف زعمت أن أولياء الله محرومون من مُكالمة الله ومخاطباته وليسوا من المكلَّمين؟

---

[٥] *الواقعة: ٤٠-٤١* [٦] *الفاتحة: ٦-٧*

يا أخي أنت تعلم أن كتب القوم مملوّة من ذكر مكالمات الله بأوليائه، ومخاطبات حضرة الحق بعباده المقرّبين، وهو الكريم الذي يُلقي الروح على من يشاء من عباده ويزيد من يشاء في الإيمان واليقين. أما قرأت في "فتوح الغيب" الذي لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كيف ذكر حقيقة المكالمات؟ وقال: إن الله تعالى يكلّم أولياءه بكلام بليغ لذيذ، وينبئهم من أسرار، ويخبرهم من أخبار، ويعطيهم علم الأنبياء، ونور الأنبياء، وبصيرة الأنبياء، ومعجزات الأنبياء، ولكن وراثةً لا أصالة، ويجعلهم متصرّفين في الأرض والسماوات وفي جميع ملكوت الله. فانظُرْ إلى مراتبهم ولا تتعجب، فإن الله فيّاضٌ يعطي عباده ما يشاء وليس بضنين.

واللهُ قصّ علينا قصص الملهَمين في كتابه العزيز، وأنبأنا أنه كلَّم أُمَّ موسى عليها السلام، وكلَّم ذا القرنين، وكلَّم الحواريّين. وما كان أحدٌ منهم نبيًّا ولا رسولاً، ولكن كانوا من عباده المحبوبين. أليس من أعجب العجائب أن يكلّم الله نساء بني إسرائيل ويعطي لهنّ عِزّةَ مكالماته وشرف مخاطباته، وما يعطي لرجال هذه الأمّة نصيبا منها وهي أمّة خير المرسلين؟ وقد سمّاها خير الأمم.. وختَم بها الأمم كلها، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[٥]، يعني فيها كثير من المكمّلات والمكمّلين.*

---

[٥] الواقعة: ٤١

* هكذا ورد في الأصل وربما حصل هنا سهو من الناسخ، والصحيح: المكلَّمات والمكلَّمين. (الناشر)

وأنت ترى يا أخي.. عافاك الله في الدارين.. كيف اشتدت الحاجة في هذه الأيام إلى ظهور مجدّد يؤيّد الدين، ويقيم البراهين، ويرجم الشياطين. ألا ترى أن الضلالة قد غلبت، وغارات الكافرين عمّت وأحاطت، وكم من أمم تبّت وهلكت؟ ألا تنظر هذه المفاسد؟ ألست من المتألّمين على مصائب الإسلام؟ ألم تأتك أخبارها أو أنت من الغافلين؟ أما تكاثرت فتن الكفّار؟ أما جاء وقت ظهور الآثار؟ أما عمّت الفتن في البراري والبلاد والديار؟ أما جاء وقت رحمة أرحم الراحمين؟ أما عَنَّ لنا في زمننا هذا قِبَلُ الذياب، في ليلة فتيّة الشباب، غُدافيّة الإهاب، وصرنا كالمحصورين؟

أُنظُرْ يا أخي كيف أحاط بالناس ظلام وظلم ومظلمة، وخُوّفنا من كلّ طرف بأنواع النباح، وارتفعت الأصوات بالأرنان والنياح، وضُربت علينا المسكنة بالاكتساح، وصال الكُفار كالحَيْن المجتاح، وعفَتْ آثار التقوى والصلاح، وصُبَّت علينا مصائب لو صُبّت على الجبال لدكّتها وكسّرتها كالرداح، وامتلأت الأرض شِركًا وكذبا وزورًا ومن الأفعال القِباح، وتراءت صفوف الطالحين.

وكنت أبكي بكاء الماخض على ضعف الإسلام في تلك الأيام، وأرى مسالك الهُلْك، وأنظر إلى عون الله العلاّم، فإذا العناية تراءت وهبّتْ نسيم ألطاف الله القسّام، وبُشِّرتُ بأعلى مراتب الإلهام، وأصفى كأس المُدام، كما تُبشَّرُ الحامل عند مخاضها بالغلام، فصرت من المسرورين. فأُمِرتُ أن أُفرِّق خيري على رِفقتي، وكان على الله

ثقتي، فكفّروني ولعنوا وسبّوا وأَضْرَوا بي الخطوبَ وألّبوا، وأُوذيت من ألسنة القاطنين والمتغرّبين.

ورأيت أكثر العلماء أسارى في أيدي أنفسهم وأهوائهم، ورأيتهم كغلام عليه سملٌ، وفي مشيه قزلٌ، وفي آذانه وقرٌ، وعلى عينه غشاوة، وفي قلبه مرض، وهو كَلٌّ على مولاه، وليس فيه خير يسرّ المشترين. يُظهرون على الإخوان شَباءةَ * اعتدائهم، وينسون صولة أعدائهم، وأرى قلوبهم مائلة إلى الصِّلات لا إلى الصَّلاة، ويستعجلون للاستهداء لا للاستهداء، ويُؤْثِرون ثوب الخيلاء على ثواب مواساة الأخلاّء، ويأبرون إخوانهم كالعقارب، ولو كانوا من الأقارب، لا يخافون رب الأرباب، ولا يتّقونه في أساليب الاكتساب، ويسعون إلى باب الأمراء، وينسون حضرة الكبرياء، ثم يكفِّرون إخوانهم ويحسبون أنهم من المحسنين.

والذين يؤثرون الله على نفوسهم وأعراضهم وأموالهم لا يضرّهم إكفار المكفرين ولا تكذيب المكذبين. أليس الله بكاف عبده؟ ومن يُصافي مثله بالمصافين؟ سبقت رحمته حسنات العاملين، ولا يضيع فضله سعي المجاهدين.

أيها الأخ المكرّم! ارفقْ فإن الرفق رأس الخيرات، ومن علامات الصالحين. وعليك أن تَعرِض عليّ شُبُهاتك لكي أعطيك ما فاتك،

---

* *هكذا ورد في الأصل وربما هو سهو من الناسخ، والصحيح: شَبَاة، وهي إبرة العقرب وحدُّ كل شيء. (الناشر)*

وستجدني إن شاء الله صديقًا صادقا ورفيق الطريق كالخادمين. وقد أعطاني الله من لدنه قوة فأَدرَأُ بها عن قلوب الناس شبهة، وفتح عليَّ أبواب تعليم الخلق وإتمام الحجّة وإراءة الحق، وإني من فضله لمن المؤيَّدين. ولكن الذين لا يبتغون الحق فهم لا يعرفونني، وقد رأوا آياتٍ من الله تعالى ثم هم من المنكرين. يصُولون ويسُبّون ويُحَمْلقون وكادوا يتميَّزون من الغيظ، ولا يفكّرون كالمسترشدين. ووالله إني صادق ولست من المفترين. ووالله إني لست خاطِبَ الدنيا الدنيّة وجيفتِها، فيا حسرة على الظّانين ظنّ السوء، ويا حسرة على المسرفين!

إنما مثلي كمثل رجل آثَرَ حبًّا على كل شيء، وتبتّلَ إليه وسعى في ميادين الاقتراب، واقتعد للقائه غارب الاغتراب، وترك تراب الوطن وصحبة الأتراب، وقصد مدينة حبيبه وذهب، وترَك لِحبِّه البيتَ والفضة والذهب، وترَك النفس لمحبوبه حتى صار كالفانين. وبعزة الله وجلاله إني آثرت وجه ربّي على كل وجه، وبابه على كل باب، ورضاءه على كل رضاء. وبعزّته إنه معي في كل وقتي، وأنا معه في كل حين. وآثرت دولة الدين وهي تكفيني، ولو لم يكن حبّةٌ لتجهيزي وتكفيني. وإني منعم مع يد الإملاق، وفارغٌ من الأنفس والآفاق، وشغَفني ربي حُبًّا، وأُشرِبَ في قلبي وجهه، وأنا منه بمنـــزلة لا يعلمها أحد من العالمين.

أيها العزيز! كان بعض الأسرار في أوائل الزمان مستورًا،

وكذلك كان قدرا مقدورًا، ثم في زماننا تبيّنَ القضاء، وبرِح الخفاء، وظهر خطأ العاسفين. وكذلك فعل ربنا ليقُمّ المتكبرين من علماء السوء وليُظهر قدرته على رغم أنف المتعصّبين. وإن مثل نزول المسيح كمثل نزول إيليا قد وعد الله لنـــزوله، ثم جاء يحيى مقامه، إنّ في ذلك لَهُدًى للمتفكرين. وإن كنت لا تعلم فاسأل اليهود والنصارى، وقد تواترت هذه القصة عندهم وما اختلف فيها اثنان، ففتِّشْ ولا تكن من المتقاعسين.

أيها الأخ العزيز! إن قصة إيليا من المتواترات القطعية اليقينية في أهل الكتاب، وكشف الله تلك الحقيقة على أنبيائهم، فبهداهم اقْتَدِهْ ولا تكن من المبدعين. ثم اعلم أننا قد اعتصمنا وتمسّكنا بمثال قد انجلى من قبل، ولا مثال لكم، فأي فريق أحقّ بالأمن؟ فلا تجترئوا على المحدَثات واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون سنن الله إن كنتم من الطالبين. وإنَّا أريناكم سنّة الله في الذين خلوا من قبلكم، وما بيَّنتم مِن سنّة على دعواكم، ولن تجدوا لسُنن الله تبديلا، فلا تُخالفوا كالمجترئين.

وأنتم تعلمون أن الله قد ردّ على أقوالكم في كتابه، وذكر موت المسيح بلفظ التوفّي كما ذكر موتَ نبيّنا بذلك اللفظ، فأنتم تؤوّلون ذلك اللفظ في المسيح، وأما في سيدنا فلا تؤوّلونه، فتلك إذًا قسمة ضيزى وخيانة في دين الله، ولكنكم لا تتّقونه، ولا تجيبون تدبّرًا بل تذرِقون كطائر في وقت طيرانه ولا تنـــزلون لتصفيةٍ، ولا تخافون

حَبْضَ قياس الصادقين. وإن كنتم على حق مبين فلم لا تأتونني بآية شاهدة على حياة المسيح ونزوله وعلى سُنّة خلت من قبل؟ وكيف نقبل بِدْعاتكم التي تُخالف كتاب الله وسُنن رسوله وسُنن الصادقين الذين خلوا من قبل؟ أنقبل قولكم ونذَر قول أصدق المعلمين؟

فأيها الشيخ الصالح! لا تكذّبوا آيات الله، ولا تغمِطوا نِعَمَه بعد نزولها، ولا تزدهوا المأمورين. وإن الذين يُنوَّرون من نور ربهم لا يخافون أحدًا إلا الله، فلا تُسمِّ أحدًا منهم وجِلاً ولا خجِلاً، ولا تبارز الله ولا تجترئْ على رب السماوات والأرض، ولا تقفُ ظنونًا لا تعلم حقيتها، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، فيظهر الحق وتكون من المتندّمين. إنْ أَكُ كاذبا فعليَّ وبال كذبي، وإن أكُ صادقا فالله يعينني وينصرني ويُرِي الخَلْق صدقي ونوري، والله لا يضيع عباده الصادقين.

وقد كُفِّر مثلي كثير من الأولياء والأقطاب والأئمة، فبعضهم صُلبوا وقتلوا، وبعضهم أُخرجوا من أوطانهم وديارهم وأُوذوا، حتى جاءهم نصر الله، فما أُضيعوا وما خُيِّبوا، وزادهم الله بركةً وعزّة وجعل كثيرا من أفئدةٍ تهوي إليهم، وبلّغ آثار بركاتهم إلى قرن آخرين، وكذلك بشَّرني ربّي وقال: "إني سأُوتيكَ* بَرَكةً وأُجلّي

* **حاشية:** من كان يؤمن بالله وآياته، فقد وجب عليه أن يؤمن بأن الله يوحي إلى من يشاء من عباده، رسولاً كان أو غير رسول، ويكلّم من يشاء، نبيًّا كان أو من المحدَّثين. ألا ترى أن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه كلَّم أُمَّ موسى وقال: ﴿لا تَخَافِي ولا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسَلِينَ﴾❶. وكذلك أوحى إلى الحواريين وكلّم ذا

القرنين وأخبَرنا به في كتابه، ثم بشّر لنا وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّن الآخِرِينَ﴾.[2] وفي هذه الآية أشار إلى أن هذه الأمّة تُكلَّم كما كُلِّمت الأمم من قبل، فمن كان له صدق رغبة في الاتّعاظ بالقرآن فلا يتردد بعد بيان كتاب الله ولا يكون من المرتابين. ومن لم يبال امتثالَ أوامره وانتهاء نواهيه فما آمن به وما كان من المؤمنين.

وقد اتفق الأولياء كلّهم على أن لله تعالى مخاطبات ومكالمات بالمحدَّثين، كما قال سيدي وحبيبي الشيخ عبد القادر الجيلاني – ﷺ – في كتابه "الفتوح" تعليما للسالكين. ومن ملخصات كلامه أنه قال: إن لأهل الله علامات يُعرَفون بها، فمنها الخوارق والكشوف، ومكالمات الله تعالى، وخوف الله وخشيته، وإيثارُه على غيره، وكل ما يجب للمتقين.

وقال: إذا متَّ عن الخَلْق قيل لك: رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومُناك، وإذا متَّ عن الإرادة ومُناك قيل لك: رحمك الله وأحياك، فكنت من المرحومين. فحينئذ تُحيى حياة لا موت بعدها، وتُغنَى غناءً لا فقر بعده، وتُعطَى عطاءً لا منع بعده، وتُراحُ براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعيم لا بؤس بعده، وتُعلَّم علمًا لا جهل بعده، وتُؤمَّن أمنًا لا تخاف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتُعَزّ فلا تُذلّ، وتُقرَّب فلا تُبعَد، وتُرفَع فلا تُوضَع، وتُعظَّم فلا تُحقَّر، وتُطهَّر فلا تُدنَّس، ونجّاك الله وطهّرك من أدناس طرق الفاسقين.

فيتحقق فيك الأماني، وتصدُق فيك الأقاويل، فتكون كبْريتًا أحمرَ فلا تكاد تُرى، وعزيزًا فلا تُماثَل، وفريدًا فلا تُشارَك، ووحيدًا فلا تُجانَس، وتكون عند ربك من أهل السماء لا من أهل الأرضين. فردُ الفرد، وترُ الوتر، غيب الغيب، سرّ السرّ، فحينئذ تكون وارثَ كل رسول ونبيّ وصدّيق، فتُعطَى كلَّ ما أُعْطُوا من الأنوار والأسرار، والبركات والمخاطبات، والوحي والمَكالمات، وغيرها من آيات رب العالمين. وبكَ تُختَم الولاية، وإليك تصدُر الأبدال، وبك تنكشف الكروب، وبك تُسقَى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك تُدفَع البلايا والمحن من الخاص والعام وأهل الثغور، والراعي والرعايا، والأئمة والأُمّة، وسائر البرايا، فتكون شحْنةَ البلاد والعباد ومن المأمورين.

فينطلق إليك الأرجلُ بالسعي والترحال، والأيدي بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال، والألسنُ بالذكر الطيّب والحمد والثناء في جميع المحالّ، ولا يختلف إليك اثنان من أهل الإيمان، وتهوي إليك أفئدة من العُلماء والأُمّيّين، ويدعوك لسانُ الأزل، ويُعلّمك ربُّ المُلك، ويكسوك أنوارًا منه والحُلل، ويُنـــزِلك منازلَ مَن سلَف من أولي العلم الأُوَل، من الأنبياء والصدّيقين.

فحينئذ يُضاف إليك التكوين وخرق العادات، فيُرَى ذلك منك في ظاهر العقل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقًّا في العلم، فتدخل حينئذٍ في قومٍ مُوجَعٍ، وفي زمرة المنكسرين

الذين انكسرت قلوبهم، وكُسرت إراداتهم البشرية، وأُزيلت شهواتهم الطبيعية، فاستُؤنفتْ لهم إرادة ربّانية، وشهوات وظيفية، وكانوا من المبدَّلين. ويُكشَف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول، ويخرق العادات والرسوم، ويكلّمهم الله تعالى بالكلام اللذيذ، والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام، والمنازل العالية، والقُرب منه مما سيؤول أمرُهم إليه وجفَّ به القلمُ من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة وإثباتًا منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل، وهو الوقت المقدَّر لهم من أرحم الراحمين.

وقال الله تعالى في بعض كتبه: يا بن آدم أنا الله لا إله إلا أنا. أقول لشيء: كُن، فيكون. أَطِعْني أجعَلْك تقول للشيء: كُنْ، فيكون. قد جعل الله أولياءه أوتادَ الأرض، وجعل الدنيا لهم جنّةَ المأوى، فلهم جنّتان: الدنيا والآخرة. وهم كالجبل الذي رسا، تفرّدوا في الصدق والوفاء والتقوى، فتَنَحَّ عن طريقهم ولا تُزاحِمْ يا مسكين. الرجال الذين ما قيّدهم أحد عن قصد الحق من الآباء والأمهات والبنات والبنين، فهم خيرُ مَن خلَق ربّي وبثَّ في الأرض وذرَأ، فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته أجمعين.

أيها السالك! إذا قوي علمك ويقينك، وشرح صدرك وقوي نور قلبك، وزاد قربُك من مولاك، ومكانُك لديه، وأمانتُك عنده وأهليّتُك لحفظ الأسرار، فعُلِّمتَ من لدنه، ويأتيك قسْمُك قبل حين. وتلك كرامةٌ لك وإجلالٌ لحرمتك، فضلاً منه ومنّةً وموهبةً، ثم يَرِدُ عليك التكوين، فتُكَوَّن بالإذن الصريح الذي لا غُبار عليه، والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامٍ لذيذ ألذّ من كل لذيذ، وإلهامٍ صدقٍ من غير تلبُّسٍ، مُصفًّى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين.

تمَّ كلام السيّد الجليل قُطب الوقت إمام الزمان ﷺ، وقد كتبناه بتلخيصٍ منَّا، فارجع إلى كتابه: "فتوح الغيب" إن كنتَ من المرتابين. وقد ظهر من كلام الإمام الموصوف أن الوحي كما ينـــزل على الأنبياء كذلك ينـــزل على الأولياء، ولا فرْق في نزول الوحي بين أن يكون إلى نبيٍّ أو وليٍّ، ولكلٍّ حظٌّ من مكالمات الله تعالى ومخاطباته على حسب المدارج. نعم.. لوحي الأنبياء شأنٌ أتمّ وأكمل. وأقوى أقسامِ الوحي وحيُ رسولنا خاتم النبيين.

وقال المجدّد الإمام السرهندي الشيخ أحمد – ﷺ – في مكتوب يكتب فيه بعض الوصايا إلى مريده محمد صدّيق:

اعلم أيها الصديق، أن كلامه سبحانه مع البشر قد يكون شفاهًا، وذلك لأفرادٍ من

أَنوارَها حتى يتبرَّكَ بثيابك الملوكُ والسلاطينُ." وقال: "إني مُهينٌ مَن أراد إهانتَك، وإنّا كفيناك المستهزئين. يا أحمدُ، بارَكَ اللهُ فيك، ما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى، لتُنذرَ قومًا ما أُنذرَ آباؤهم ولِتستبينَ سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمِرتُ وأنا أوّلُ المؤمنين. قُلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. كلٌّ بركة مِن محمد ﷺ، فتَبارَكَ مَن علَّم وتعلَّمَ. وقل إنِ افتريتُه فعليّ إجرامي، ويمكُرون ويمكُر الله والله خير الماكرين. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهِره على الدين

---

الأنبياء، وقد يكون ذلك لبعض الكُمَّلِ من متابعيهم، وإذا كثُر هذا القسم من الكلام مع واحد منهم يُسمّى مُحدَّثًا، وهذا غير الإلهام وغير الإلقاء في الروع وغير الكلام الذي مع المَلَك، إنما يُخاطَب بهذا الكلام الإنسانُ الكامل، والله يختص برحمته من يشاء. تمَّ كلامه، فارجعْ إلى كلامه إن كنت من المنكرين.

واذكُرْ قصة من قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [3]، وما كان من المرسلين.

واذكُرْ ما قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [4] فانظُرْ كيف كلَّم مَلَكُ اللهِ مريمَ وما كانت نبيّةً، فاتّقِ اللهَ ولا تكن من المعتدين.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن عمرو بن الحارث قال: بينما عمرُ يخطب يوم الجمعة إذا ترك الخُطبة ونادى يا ساريةُ الجبل مرتين أو ثلاثا، ثم أقبلَ على خطبته. فقال ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: إنه لمجنون.. ترَك خطبة ونادى "يا ساريةُ الجبلَ". فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال: يا أمير المؤمنين! تجعل للناس عليك مقالا؟ بينما أنت في خطبتك إذ ناديتَ: "يا ساريةُ الجبلَ". أيُّ شيء هذا؟ قال: والله، ما ملكتُ ذلك حين رأيتُ ساريةَ وأصحابه يقاتلون عند جبل ويُؤتَون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملكْ أن قلتُ: "يا ساريةُ الجبلَ"، ليلحقوا بالجبل. فلَم تمض الأيام حتى جاء رسولُ سارية بكتابه أن القوم لقُونا يوم الجمعة، فقاتلناهم من حين صلّينا الصبح إلى أن حضرت الجمعةُ، فسمعنا صوتَ مناد يُنادي: الجبلَ مرتين، فلحقنا بالجبل.. فلم نزل لعدوّنا قاهرين حتى هزمهم الله تعالى وترائى فتح مبين. (المؤلف)

---

[1] القصص: ٨ [2] الواقعة: ٤٠-٤١ [3] الكهف: ٨٢ [4] مريم: ١٨-٢٠

كله. لا مبدِّلَ لكلمات الله. إني معك، فكُنْ معي أينما كنتُ. كُنْ مع الله حيثما كنتَ. أينما تُولّوا فثَمَّ وجهُ الله. كنتم خيرَ أُمّة أُخْرجتْ للناس وفخرًا للمؤمنين. ولا تيأَسْ مِن رَوح الله. ألا إن روح الله قريب. ألا إن نصر الله قريب. يأتيك مِن كلّ فَجٍّ عميقٍ. ينصرك الله مِن عنده. ينصرك رجالٌ نوحي إليهم من السماء. لا مبدِّلَ لكلمات الله، وإنك اليوم لدينا مَكينٌ أمين. وقالوا إنْ هذا إلا اختلاق. قُل الله ثم ذَرْهم في خوضهم يلعبون. ومَن أظلم ممن افترى على الله كذبا. وإنّ عليك رحمتي في الدنيا والدين، وإنك لمن المنصورين. بشرى لك يا أحمدي، أنت مرادي ومعي، غرَستُ كرامتك بيدي. أكان للناس عجبًا، قُلْ هو الله عجيب. يجتبي من يشاء من عباده، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وإذا نصر الله المؤمنَ جعَل له الحاسدين. تَلطَّفْ بالناس وتَرحَّمْ عليهم، أنت فيهم بمنـــزلة موسى، فاصبر على جور الجائرين. أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون. الفتنة هنا فاصبر كما صبر أولوا العزم. ألا إنها فتنة من الله ليحبّ حبًّا جَمًّا. وفي الله أجرك، ويرضى عنك ربك، ويتم اسمك. وإن يتخذونك إلا هُزوًا، قل: إني من الصادقين، فانتظِروا آياتي حتى حين. الحمد لله الذي جعَلك المسيحَ ابن مريم. قل هذا فضل ربي وإني أجرّد نفسي من ضروب الخطاب، وإني أحد من المسلمين. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم واللهُ يُتمّ نوره ويحيي الدين. نريد أن نُنـــزِل عليك آيات من السماء ونمزّق الأعداء كل ممزَّق. حُكم الله الرحمن لخليفة الله السلطان. فتوكّل على الله واصنَعِ الفُلْكَ بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم، وأممٌ حَقَّ عليهم العذاب. ويمكرون والله خير الماكرين. قُلْ عندي شهادة من

الله فهل أنتم مؤمنون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مسلمون. إن معي ربي سيهدين. رب أَرِني كيف تحيي الموتى. رب اغفر وارحم من السماء. رب لا تذَرْني فردا وأنت خير الوارثين. رب أَصْلِحْ أمّة محمد. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. ويخوِّفونك مِن دونه، إنك بأعيننا. سمّيتُك المتوكّل. يحمدك الله مِن عرشه. نحمدك ونصلّي. يا أحمد، يتمّ اسمك ولا يتمّ اسمي. كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل وكن من الصالحين الصدّيقين. أنا اخترتُك وألقيت عليك محبّة مني. خذوا التوحيدَ التوحيدَ يا أبناء الفارس. وبَشِّرِ الذين آمنوا أن لهم قدمَ صدقٍ عند ربهم. ولا تصعِّرْ لخَلْقِ الله ولا تسأَمْ من الناس، واخفضْ جناحك للمسلمين. أصحاب الصفّة، وما أدراك ما أصحاب الصفَّة؟ ترى أعينَهم تفيض من الدمع، يصلّون عليك ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. شأنك عجيب، وأجرك قريب، ومعك جند السماوات والأرضين. أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تُعانَ وتُعرَف بين الناس. بوركت يا أحمد، وكان ما بارك الله فيك حقًّا فيك. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتُك لنفسي، وأنت مني بمنـــزلة لا يعلمها الخلق. وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيثَ من الطيّب. انظُرْ إلى يوسف وإقباله، واللهُ غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أردتُ أن أَستخلفَ فخلقتُ آدمَ ليقيم الشريعة ويحيي الدين. كتاب الوليِّ ذو الفقار علي، ولو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من أبناء الفارس. يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسْه نار. جَرِيُّ اللهِ في حُلل المرسلين. قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله. وصلِّ على محمد وآل محمد سيِّدِ وُلْدِ آدم وخاتَمِ النبيين. يرحمك ربك ويعصمك من عنده وإن لم يعصمك الناس.

يعصمك الله من عنده وإن لم يعصمك أحد من أهل الأرضين. تبّتْ يدا أبي لهب وتبّ، ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفا. وما أصابك فمن الله، واعلم أن العاقبة للمتقين. وأَنذِرْ عشيرتك الأقربين، إنا سنُريهم آية من آياتنا في الثيِّبة ونردّها إليك، أمرٌ من لدنا إنا كنا فاعلين. إنهم كانوا يكذّبون بآياتي وكانوا بي من المستهزئين. فبشرى لك في النكاح، الحقُّ من ربك فلا تكوننّ من الممترين. إنا زوّجْناكَها، لا مبدِّلَ لكلمات الله، وإنا رادُّوها إليك، إن ربك فعّالٌ لما يريد، فضلٌ من لدنا ليكون آية للناظرين. شاتانِ تُذبَحان، وكل من عليها فان. ونريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ونريهم جزاء الفاسقين. إذا جاء نصر الله والفتح، وانتهى أمر الزمان إلينا، أليس هذا بالحق، بل الذين كفروا في ضلال مبين. كنتُ كنــزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرَف. إن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقْناهما. قل إنما أنا بشرٌ يوحى إليّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ، والخير كله في القرآن، لا يمسّه إلا المطهَّرون. ولقد لبثتُ فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون. قل إن هدى الله هو الهدى، وإن معي ربي سيهدين. رب اغفر وارحم من السماء. رب إني مغلوب فانتصِرْ. إيلي إيلي لما سبقتاني. يا عبد القادر، إني معك، أسمع وأرى. غرستُ لك بيدي رحمتي وقدرتي، وإنك اليوم لدينا مَكينٌ أمين. أنا بُدُّك اللازم، أنا محييك، نفختُ فيك من لدني روحَ الصدق. وألقيت عليك محبة مني ولتُصنَع على عيني كزرعٍ أخرجَ شَطْأَه فآزَرَه فاستغلظ فاستوى على سوقه. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخر، فكنْ من الشاكرين. أليس الله بكاف عبده. أليس الله عليما بالشاكرين. فقبِل الله عبدَه وبرّأه مما قالوا وكان عند الله وجيها. فلما تجلى ربه للجبل جعله دَكًّا، والله مُوهِنُ كيد الكافرين. ولنجعله آية للناس ورحمة منا ولنعطيه مجدًا من لدنا كذلك

نجزي المحسنين. أنت معي وأنا معك. سرُّك سرّي. لا تحاط أسرار الأولياء، إنك على حق مبين. وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين. لا يصدِّق السفيه إلا ضربة الإهلاك. عدوٌّ لي وعدو لك، عجلٌ جسدٌ له خُوار. قل أتى أمر الله فلا تكن من المستعجلين. يأتيك قمرُ الأنبياء وأمرُك يتأتّى، وكان حقا علينا نصر المؤمنين.* يوم يجيء الحق وينكشف الصدق ويخسر الخاسرون. وترى الغافلين يخرّون على المساجد، ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. تموت وأنا راض منك. سلام عليكم طِبتم فادخلوها آمنين."

وأمّا عقائدنا التي ثبّتنا الله عليها، فاعلم يا أخي أنّا آمنّا بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وآمنّا بأنه خاتم النبيين. وآمنَّا بالفرقان أنه من الله الرحمن، ولا نقبل كل ما يُعارض الفرقان ويُخالف بيّناته ومُحكماته وقصصه ولو كان أمرًا عقليًّا، أو كان من الآثار التي سمّاها أهلُ الحديث حديثًا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين؛ لأن الفرقان الكريم كتابٌ قد ثبت تواترُه لفظًا لفظًا، وهو وَحْيٌ مَتلُوٌّ قطعيّ يقينيّ، ومَن شكّ في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامّة، وله مرتبة فوق مرتبة كل كتاب وكل وحي، ما مسَّه أيدي الناس، وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقام، ومَن آثرَ غيره عليه فقد آثرَ الشك على اليقين.

---

* *قد أُشير في الأصل إلى تاريخ هذا الإلهام حيث كُتب تحت هذه الجملة بخط صغير: ٣٠ جولاي سنة ١٨٩٣م. (الناشر)*

وكم من فِرق الإسلام يُخالف بعضهم بعضا في أخذ بعض الأحاديث أو تركها، فالأحاديث التي يقبلها الشافعية لا يقبل أكثرها الحنفيةُ، والتي يقبلها الحنفية لا يقبلها الشافعية، وكذلك حال فِرق أُخرى من المسلمين. وكم من حديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه.. وهو أصحُّ الكتب عند أهل الحديث بعد كتاب الله.. ولكن لا يقبل الفرقة الحنفية أكثر أحاديثه، كحديث قراءة الفاتحة خلف الإمام والتأمينِ بالجَهر وغيره، ولا يكونون إلى تلك الأحاديث من الملتفتين. ولكن ما كان لأحد أن يسمّيهم كافرين أو يحسبهم من الذين أضاعوا الصلاة ومن المبتدعين.

فالحق أن الأحاديث أكثرها آحادٌ ولو كانت في البخاري أو في غيره، ولا يجب قبولها إلا بعدَ التحقيق والتنقيد وشهادةِ كتاب الله بأن لا يُخالفها في بيّناته ومُحكماته، وبعدَ النظرِ إلى تعامُل القوم وعِدّة العاملين. فإذا كان الأمر كذلك فكيف يُكفَّرُ أحدٌ لترك حديثٍ يعارِض القرآنَ أو لأجل تأويلٍ يجعل الحديث مطابقًا بالقرآن ويُنجّي المسلمين من أيدي المعترضين؟ وكيف تكفِّرون المؤمن بالله ورسوله وكتابه لأجل حديث من الآحاد الذي يُحتمل فيه شائبة كذب الكاذبين؟

فانظر مثلا إلى مسألة وفاة المسيح عليه السلام، فإنها قد ثبت* ببيّنات كتاب الله المتواتر الصحيح، وتشهد على وفاته قريبًا من ثلاثين آية

* *يبدو أنه سهو الناسخ، والصحيح "ثبتت". (الناشر)*

بالتصريح قد كتبناها في كتابنا: "إزالة الأوهام" إفادةً للطالبين. فإن تذكرتَ بعد ذلك حديثًا دمشقيًّا الذي ذُكر في "مسلم"، فاعلم أنه فُسّر على ظاهره، ولا شك أنه يُعارض الفرقان على تفسيره الظاهر ويُخالف بيّناته ويخالف أحاديث أُخرى قد ذكرناها في "الإزالة"، ولا يرضى مسلم أن يترك القرآن اليقيني القطعي بحديث واحد لا يبلغ إلى مرتبة اليقين. ولو فعلنا كذلك وآثرنا الآحاد على كتاب الله لفسد الدين، وبطلت الملة، ورُفع الأمان، وتزلزل الإيمان، واشتد علينا صولة الكافرين. نعم.. نؤمن بالقدر المشترك الذي لا يُخالف القرآن، وهو أنه يجيء المسيح الموعود مجدّدًا على رأس المائة عند غلبة النصارى على ظهر الأرض، ويخرج في أرض أفسدوها وجعلوا مسلمي أهلها متنصّرين، فيكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ويُدخل السعادة في الباقين.

وإن حاكَ في صدرك شيء من لفظ نزولٍ عند منارة دمشق، فقد أثبتنا أن النـــزول من السماء مُحال باطل لا يصدّقه الفرقان بل يكذّبه بقول مبين. فإن كنت تؤمن بالفرقان وتؤثره على غيره، فآمِنْ بوفاة المسيح وعدم نزوله من السماء، كما تقرأ في كلام رب العالمين. والعجب أن لفظ النـــزول من السماء لا يوجد في حديثٍ وإن هو إلا فِرْية المفترين. والأحاديث كلها قد اتفقت على أنَّ المسيح الموعود من هذه الأمة، فإن النبوة قد خُتِمَت وإن رسولنا خاتم النبيين.

والنـــزول في الحديث بمعنى نزول المسافر من مكان إلى مكان، فإن النَزيل هو المسافر، فلو سلم صحة الحديث فيثبت أن المسيح الموعود أو أحدٌ من خلفائه يسافر من أرض وينـــزل بدمشق في وقتٍ من الأوقات، فلم يبكون الناس على لفظ دمشق؟ بل يثبت من لفظ النـــزول عند منارة دمشق أن وطن المسيح الموعود الذي يخرج فيه هو مُلكٌ آخر، وإنما ينـــزل بدمشق بطريق المسافرين. هذا إذا سلّمنا الحديث بألفاظه، وفيه كلام.. لأن الأحاديث من الظنيات إلا الحصة التي ثبتت من تعامل المؤمنين.

ولو كانت الآثار المدونة في البخاري وغيره من اليقينيات كالقرآن الكريم للزم مِن إنكارها الكفرُ كلزوم الكفر من إنكار آيات القرآن كما لا يخفى على الماهرين في الشرع المتين. فحينئذٍ يلزم أن يكون المسلمون كلهم كافرين، ويلزم أن لا ينجو من ورطة الكفر أحد من أكابر المسلمين وأصاغرهم بل من الأئمة السابقين المتقدمين؛ لأن ترك بعض الأحاديث وإنكار بعضها بلاءٌ عام أحاطت الفقهاء والأئمة والمحدثين أجمعين.

ومع ذلك.. إذا كان نبيّنا ﷺ خاتم الأنبياء، فلا شك أنه مَن آمنَ بنـــزول المسيح الذي هو نبي من بني إسرائيل فقد كفَر بخاتم النبيين. فيا حسرة على قومٍ يقولون إن المسيح عيسى بن مريم نازلٌ بعد وفاة رسول الله، ويقولون إنه يجيء وينسخ من بعض أحكام الفرقان ويزيد عليها، وينـــزل عليه الوحي أربعين سنة، وهو خاتم المرسلين.

وقد قال رسول الله ﷺ: "لا نبي بعدي"، وسمّاه الله تعالى خاتم الأنبياء، فمِن أين يظهر نبي بعده؟ ألا تتفكرون يا معشر المسلمين؟ تتبعون الأوهام ظلما وزورًا، وتتخذون القرآن مهجورًا، وصرتم من البطّالين.

وإنَّا نؤمن بملائكة الله ومقاماتهم وصفوفهم، ونؤمن أن نزولهم كنـــزول الأنوار، لا كترحُّل الإنسان من الديار إلى الديار، لا يبرحون مقاماتهم ومع ذلك كانوا نازلين وصاعدين. وهم جند الله وجِيرةُ السماوات وخلطاؤها، لا يُفارقون مقاماتهم، وإنْ منهم إلا له مقام معلوم، يفعلون ما يؤمرون، ولا يشغلهم شأن عن شأن ويؤدّون طاعة رب العالمين.

ولو كان مدار انصرام مهماتهم.. تباعُدَهم من مقاماتهم.. لما جاز أن تُتوفَّى الأنفس في آنٍ واحد، بل وجب أن لا يموت ميّت في المشرق في الآن الذي قدّر الله له قبل أن يفرغ مَلَكُ الموت مِن قبض نفس رجلٍ في المغرب الذي هو شريك بالمائت الأوّل في الآن المذكور وقبل أن يرحل إلى المشرق، وإنْ هذا إلا كذب مبين. إنما أمرهم إذا أرادوا شيئا بِحُكْمِ الله أن يقولوا له كن فيكون، وما كان لهم أن ينـــزلوا بشقّ الأنفس وصرف الوقت ونقل الخطوات وتركِ مكان كسكّان الأرضين.

ونؤمن بأن حشر الأجساد حق، والجنة حق، والنار حق، وكل ما جاء في القرآن حق، وكلّ ما علّمَنا رسول الله ﷺ حق، وهو خير

الأنبياء وختم المرسلين. ومن عزا إلينا ما يُخالف الشرع والفرقان مثقال ذرة فقد افترى علينا وأتى ببهتان صريح كالمفترين. ألا إنّا بريئون من كل أمرٍ يُنافي قول رسولنا ﷺ، وإنّا مؤمنون بجميع أمورٍ أخبر بها سيّدنا ونبيُّنا، وإن لم نعلم حقيقتها أو نُودَع معارفها بإلهام مبين.

وإنّا بريئون من كل حقيقة لا يشهدها الشرع، واعتصمنا بحبل الله بجميع قلبنا، وجميع قوتنا، وجميع فهمنا، وأسلمنا الوجهَ لك ربَّنا فاجعلْنا من المحسنين. ربنا أفرِغْ علينا صبرًا على ما نُؤذَى وتوفَّنا مسلمين.

وما أُفضِّلُ روحي على أرواح إخواني، ولكن الله قد منَّ عليَّ وجعلني من المنعمين. فمن آلائه أنه أنعم عليَّ بالمكالمات والمخاطبات، وعلّمني من أسرارٍ ما كنت أن أعلمها لو لا أن يعلّمني الله، وجعلني للأنبياء من الوارثين.

ومِن آلائه عليَّ أنه وجد قوم النصارى يفسدون في الأرض ويتّخذون العبد إلهًا بغير الحق، ويُضلّون عباد الله، فبعثني لأكسر صليبهم وأمزّق بعيدهم وقريبهم وأَجُذّ هامَ المجرمين.

ومن آلائه أنه آتاني آياتٍ من السماء، وأتمّ الحجّة على الأعداء، وخجَّل كل بخيل وضنين. فوعَزّتِه وجلالِه إني على حق مبين. وترى كالوابل آياتِ صدقي إن تصاحبني كالطالبين. ووالله.. ثم تالله.. إن جاءني أحد على قدم الصدق والطلب، لرأى شيئا من آيات ربي إلى

أربعين. وأكفَرَني الحسداء قبل أن يباروني للنضال، ويتوازنوا في الكمال، ويتحاذوا في الفعال، وعيّروني طاغين. ولما رأوا الآيات قالوا إنْ هذا إلا سحرٌ مبين أو جَفْرٌ ونجومٌ، فمشوا خبطَ عشواءَ، وكانوا قومًا عمين. أشرقت الشمس وما كان معها غيمٌ، ولكن لا ينفع العُمْيَ نورٌ ولا ضوء، واستخلصهم الشيطان لنفسه، فهو لهم قرين.

يا أخي، تحسبني كافرًا، وإني مؤمنٌ موحِّدٌ، أتبع رسولي وسيدي ﷺ، وجعلني الله وارثًا لعلومه وباعه وبَعاعه، وأرجو أن يشيّع نعشي في اتّباعه، ومع ذلك أخضع لك بالكلام وأستنـــزل منك رفق الكرام، فلا تغلُظْ عليَّ ولا تُشمتْ بي الكُفّارَ، ولا تُرِني النارَ، ولا تسلُلْ سيفك البتّارَ، والمؤمن هَيْنٌ لَيْنٌ، والصالحون يحملون أوزار إخوانهم، ويسارعون إلى تسلية قلوبهم، وتسرية كروبهم، ولا يريدون أن يقتلوهم تقتيلاً، وأن يجعلوهم عضين.

والاختلاف في فِرق الإسلام كثيرة، ولكن لا تنهضُ فرقة لقتل فرقة، وقد قال رسول الله ﷺ: إن اختلاف أمّتي رحمة. فأَطْفِئْ يا أخي نارَك، وأَغْمِدْ بتّارَك، واقتدِ بسنن الصالحين. لِمَ تؤذي من يحبُّ خير الورى؟ أَتَسُرُّ به روحَ المصطفى؟ أو تُرضي به ربَّنا الأعلى؟ فاعلم أن الله ورسوله بريّانِ من الذين يُعادون أولياءهما، فإن كنت ترجو شفاعة رسولنا فلا تؤذ المحبّين المصافين، واتق الله، ثم اتق الله، ثم اتق الله، ليغفر ذنوبك ويُحِلَّك مقعد المنعَمين.

أيها الإنسان الضعيف المحتاج، إن مَقْتَ الله أكبر من مقتك، فخَفْ فأسه وكن من المرتعشين.

هَـــدَاك الله هَـــل قَتْلي يُباحُ ... وهَـــل مِثْلي يُـــدمَّرُ أو يُجـــاحُ
وهل في مذهب الإسلام أني ... أرى خـــزيًا ولم يَثبُـــتْ جُناحُ
وصـــــدقي بَيّنٌ للناظـــرينا ... كتـــابُ الله يشهـــدُ والصِّحاحُ
وما كان الأذى خُلقَ الكرامِ ... ولكـــن هكـــذا هبّـــتْ رياحُ
وإنّ الحُـــرَّ يفهم قولَ حُـــرٍّ ... وتشفي صدرَه الكَلِـــمُ الفِصَاحُ
ولا أخشى العدا في سُبل ربي ... وأرض الله واســـعـــة بَـــدَاحُ
لنا عند المصائب يا حبيـــبي ... رضاءٌ ثـــم ذوقٌ وارتيـــــاحُ
فلا تقفُ الهوى وانظُرْ مآلي ... وربّـــي إنّه نُـــصـــحٌ قَـــراحُ
ومِن عجب، أُشرّفكم وأدعو ... ومنـــك المَشْـــرفيّـــةُ والرِّماحُ
وبَلْدتُكم حديقةُ كلّ خـــيرٍ ... فمنكم سيّـــدي يُرجى الصلاحُ
كمثلك سيّدٌ يؤذين، عجبٌ! ... وفي بـــغدادَ خـــيراتٌ كِفـــاحُ
أرى يا حِبِّ تذكُرني بسببٍ ... فمـــا هـــذا؟ وسِيرتكم سماحُ
أخذْنا كلَّ ما أعطيتَ تحفًا ... وصـــافينا وزاد الانشـــراحُ
فخُـــذْ مني جوابي كالهدايا ... ولكـــن كان منـــك الافـــتتاحُ
إذا اعتلقَتْ أظافيري بخصمٍ ... فمرجِـــعهُ نَـــكالٌ أو طُـــلاحُ
وإنْ وافيـــتني حبًّـــا وسلمًا ... فلِلـــزُّوّارِ بُشرى والـــنجاحُ

وإن لـــم تقرَبَنْ أنهارَ مـــاءٍ فـــلا تعطيك مِن مـــاءٍ رياحُ
ورشحُ الصلد سهلٌ عند جهدٍ ويوبقكم قُعودٌ وانسطاحُ
ومـــا نألوك نصحًا يا حَبِيبِي وجـــاهَـــدْنا ليرتبـــط النِّصاحُ
ونُصحي خالص لا نوعَ هزلٍ وجِـــدٌّ لا يخالِطُه الـــمِـــزاحُ
فيا حِـــبّي تَفكَّرْ في كلامي فإن الفكر للتـــقوى وِشـــاحُ
ولي وجدٌ لقومي فوق وجدٍ وما وجدُ الثـــواكل والنِّياحُ
إليكم يـــا أولي مجدٍ إليكمْ وإن لم تنتهـــوا فالـــوقت لاحُ
ولي قـــدرٌ عظيم عند ربّي وسُـــؤلي لا يُـــرَدُّ ولا يُـــزاحُ
ومثلي حـــين يبكي في دعاءٍ فـــيسعى نـــحوه فضلٌ مُتاحُ
وكادت تلمَعَنْ أنوارُ شمسي فيَتْـــبَعها الورى إلا الـــوَقاحُ
ويـــأتي يـــومُ ربّي مِثلَ بَرْقٍ فلا تبقى الكِلابُ ولا النُـــباحُ
ولي مِن لُطف ربي كل يومٍ مـــراتبُ للعـــدا فيها افتضاحُ
ونـــورٌ كامل كالبدر تـــامٌ ووجـــهٌ يـــستنير ولا يُـــلاحُ
ونحن اليوم نُسقَى مِن غَبوقٍ وبعد الليـــل عيـــدٌ واصطباحُ
وأعـــطاني المهيمن كل نورٍ ولي مِـــن فـــضله رَوحٌ وراحُ
أتقتلني بـــغير ثبوت جرمٍ فقُـــلْ ما يصدُرَنْ مني جُناحُ؟
قتلنا الكافرين بسيف حُججٍ فـــلا يُـــرجى لـــقاتلنا فلاحُ
وليس لنا سوى الباري ملاذٌ ولا تُرْسٌ يصون ولا السِّلاحُ

أتعلم كيف يَسفَعُ بالنواصي مليـــكٌ لا يناوحـــه الطِّـــماحُ
يَهُدُّ الـــربّ ذروةَ كلّ طَودٍ وتتبَعـــه الأسنّـــة والصِّـــفاحُ
أتقتلني بسيف يا خصيمي؟ وقتـــلي عنـــدكم أمـــرٌ مُباحُ
وقد مِتْنا بسيف من حبيبٍ على ذرّاتـــنا تســـفي الـــرِّياحُ
وأَيْن سيوفكم يا شيخَ قومٍ وحلَّ بقـــاعكم حزبٌ شِحاحُ
وصال الحزب واختلسوا كذئبٍ ولم يكُ أمـــرهم إلا اكتـــساحُ
وقد صُبّتْ عليكم كلُّ رُزْءٍ فمـــا في بيتـــكم إلا الـــرَّداحُ
وكم مِن مسلمٍ ذَابُوا بجوعٍ وعاشوا جائعيـــن وما استراحوا
وبحر العلم يعرِف موج بحري ولكـــن عنـــدكم مـــاءٌ وَجاحُ
نظمت قصيدتي من ارتجالٍ وأين الفضل لولا الاِقـــتراحُ
فخُـــذْ مني بعفوٍ كالكرامِ ودونك مـــا هو الحقّ الصُّـــراحُ
وإن بارزتني من بعد نُصحي فـــتعلم أنـــني بـــطلٌ شَنَـــاحُ

يا أخي.. حفظك الله! إني قد كتبت هذا المكتوب، ترحّمًا على حالك، وإصلاحًا لخيالك، فاستشفَّ لآليَه، وَالْمَحِ السرّ المودَع فيه، وقد أسمع أن أخلاقك تُحَبُّ، وبعَقْوَتك يُلَبُّ، وأنت باذلٌ خرْقٌ ذو سماحةٍ وفتوّة من المحسنين. فلا أظن فيك أن تَردَ موردَ مأثمة، وتَقفَ موقفَ مندمة، وتتَّبِعَ سبلَ تبعةٍ ومعتبةٍ، بل أظن أن تميل إلى معذرةٍ

عن بادرة. وظني فيك جليل، فحَقِّقْ حسن ظني، واتق الله إني أراك مِن وُلْدِ الصالحين.

وإن كنت في شك مما كتبنا في كُتُبِنا، فأيُّ حرج عليك من أن تسألني كل ما لا تعرف حقيقته، ولا تفهم ماهيته، وعسى أن تحسب كلمةً من الكفر وهو من معارف كتاب الله وحقائق الدين. والعاقل يتأهّب دائما لمزايلة مركزه عند وجدان الحق المبين. فقُمْ وأَفْعِم لك سَجْلاً من مائنا المَعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# إتمام الحجّة

على الذي لجّ وزاغ

عن المحجّة

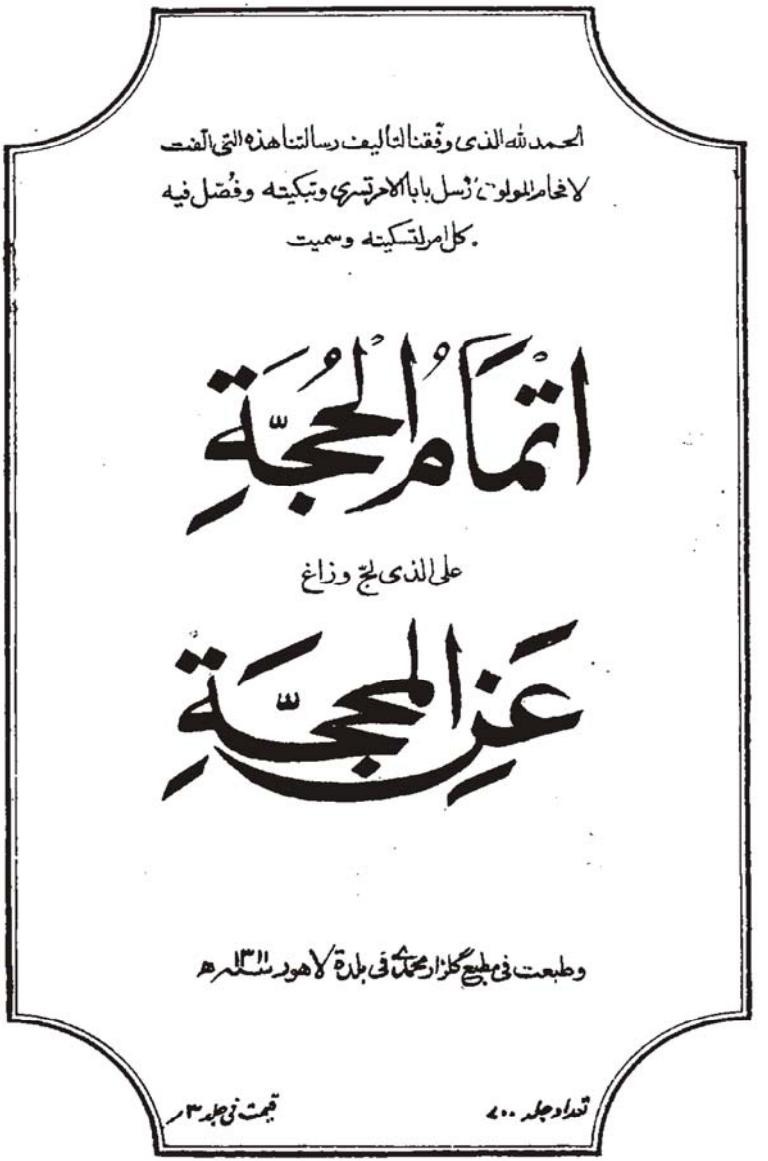
الحمد لله الذي وفقنا لتاليف رسالتنا هذه التي الفت
لافحام المولوي رسل بابا الارتيري وتبكيته وفصل فيه
كل امر لتسكيته وسميت

اتمام الحجة

على الذي لج وزاغ

عن المحجة

وطبعت في مطبع گلزار محمدي في بلدة لاهور سنة ١٣١١ هـ

تعداد جلد ٢٠٠ قيمت في جلد ٣ ر

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقيم حجته في كل زمان، ويجدّد ملّته في كل أوان، ويبعث مصلحا عند كل فساد، وينتاب الخَلْقَ منه هادٍ بعد هاد، ويمنّ على عباده بإراءة طرق سَداد، ويسوّي الصراط للمتأهّبين. يهدي الخَلق بكتابه إلى أسراره، ولا يُسمَح عقل بكشف أستاره، يُلقي الروح على من يشاء من عباده، ويفتح على من يشاء أبواب إرشاده، فلا يغشاه درنٌ ولا ينتطحه قرنٌ، ويُدخله في الطيبين. يدعو من يشاء، ويطرد من يشاء، ويُخيّب من يشاء، ويُعطي من يشاء من نعماء عظمى، ويجعل رسالاته حيث يشاء، ويعلم مَن بها أحقّ وأولى. الناس كلهم ضالّون إلا من هداه، وكلهم ميّتون إلا من أحياه، وكلهم عُميٌ إلا من أراه، وكلهم جياع إلا من غذّاه، وكلهم عِطاش إلا من سقاه، ومن لم يهده فلا يكون من المهتدين.

والصلاة والسلام على رسوله ومقبوله محمد خير الرسل وخاتم النبيين، الذي جاء بالنور المنير، ونجّى الخلق من الظلام المبير، وخلّص السالكين من اعتياص المسير، وهيّأ لهم زادًا غير اليسير، وآتى صُحفًا مُطهَّرة كشجرة طيّبة، اغتذى كل طالب بجَنى عُودها، ورغبت كل فطرة سليمة في استشارة سعودها، وما بقي إلا الذي كان شقيَّ الأزل ومن المحرومين.

والسلام على آله الطيبين الطاهرين، الذين أشرقت الأرض بنورهم، وظهر الحق بظهورهم، ولا شك أنهم كانوا بُدورَ الإمامة، وجبال طرق الاستقامة، ولا يُعاديهم إلا من كان مورد اللعنة، وزائغا عن المحجّة، ورحِم الله رجلا جمَع حُبّهم مع حبّ الصُحْبة أجمعين. وعلى أصحابه وصفوة أحبابه الذين كانوا له أتبَعَ مِن ظلّه، وأطوَعَ من فعله. تركوا بروق الدنيا وزينتها برؤية لَعْله؛ ونهضوا إلى ما أُمروا بإذعان القلب وسعادة السيرة، وجاهدوا في الله على ضعف من المريرة، وما كانوا قاعدين. تبتّلوا إلى الله تبتيلا، وجمعوا خزائن الآخرة وما ملكوا من الدنيا فتيلا، وما مالوا إلى امتراء المِيرة، وبذلوا أنفسهم لإشاعة الملّة، وقَفَوا ظلالَ رسول الله ﷺ حتى صاروا من الفانين. شرَوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الرب اللطيف، ورضوا لمرضاته بمفارقة المألف والأليف، وأنحوا أبصارهم عن الدنيا وما فيها، وأخذتهم جذبةٌ عظمى فجُذبوا إلى الله ربّ العالمين.

**أما بعد**.. فاعلم أن أُخُوّة الإسلام يقتضي النصح وصدق الكلام، ومن أُعطيَ علمًا من علوم فأخفاه كسرٍّ مكتوم فهو أحد من الخائنين. وإن العلوم لا تنتهي دقائقها، ولا تُحصى حقائقها، ولا مانع لظهورها، ولا محاق لبدورها، وكم من علم تُرِك للآخرين. وقد علّمني ربّي من أسرار، وأخبرني من أخبار، وجعلني **مجدّد** هذه المائة، وخصّني في علومه بالبسطة والسعة، وجعلني لرسله من

الوارثين. وكان من مفائح* تعليمه، وعطايا تفهيمه، أن المسيح عيسى بن مريم **قد مات بموته الطبعيّ وتُوفّي** كإخوانه من المرسلين. وبشّرني وقال إن **المسيح الموعود** الذي يرقبونه **والمهدي المسعود** الذي ينتظرونه **هو أنت**، نفعل ما نشاء فلا تكوننّ من الممترين. وقال: **إنّا جعلناك المسيح ابن مريم**، ففَضَّ خَتْمَ سِرِّه وجعلني على دقائق الأمر من المطّلعين. وتواترت هذه **الإلهامات**، وتتابعت **البشارات**، حتى صرتُ من المطمئنين. ثم تخيّرتُ طريق الحزامة، ورجعتُ إلى كتاب الله خفيرِ طرق السلامة، فوجدتُه عليه أوّلَ الشاهدين. وأيُّ بيان يكون وضح◈ من بيانه: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾؟ فانظُرْ، هداك الله قبلَ تَوَفّيك وجعَلك من المستبصرين. وأكّده الله بقوله: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾، ففَكِّرْ فيه يا من آذيتني، وحسبتني من الكافرين. وهذا نصّ لا يردّه قولُ مُبارٍ بآثار، ولا يجرحه سهمُ مُمارٍ في مضمار، ولا ينكره إلا من كان من الظالمين.

والذين غاض دَرُّ أفكارهم، وضعفت جوازل أنظارهم، لا ينظرون إلى كتاب الله وبيّناته، ويتيهون كرجل تبِع جهلاته، ويتكلمون كمجانين. يقولون إن لفظ التوفّي ما وُضع لمعنى خاص بل عمّت معانيه، وما أُحكمتْ مبانيه، وكذلك يكيدون كالمفترين.

---

* *يبدو أنه سهو الناسخ ولعل الصحيح "منائح" . (الناشر)*

◈ *هذا سهو من الناسخ والصحيح "أوضح" . (الناشر)*

وإذا قيل لهم إن هذا اللفظ ما جاء في القرآن كتاب الله الرحمن إلا **للإماتة وقبضِ الأرواح المرجوعة، لا لقبضِ الأجسام العنصرية،** فكيف تصرّون على معنى ما ثبت من كتاب الله وبيان خير المرسلين ﷺ؟ قالوا إنّا ألفَينا آباءنا على عقيدتنا ولسنا بتاركيها إلى أبد الآبدين.

**ثم إذا قيل** لهم إن خاتم النبيين وأصدق المفسرين فسّر هكذا لفظ التوفّي في تفسير هذه الآية؛ أعني: ﴿**تَوَفَّيْتَنِي**﴾، كما لا يخفى على أهل الدراية، وتبِعه ابن عباس ليقطع عرق الوسواس، وقال: **متوفِّيك: مميتُك،** فلِمَ تتركون المعنى الذي ثبت مِن **نبي** كان أوّل المعصومين، ومِن ابن عمّه الذي كان من الراشدين المهديين؟ قالوا: كيف نقبل ولم يعتقد بهذا آباؤنا الأوّلون؟ وما قالوا إلا ظلمًا وزورًا ومن الفِرْية ولم يحيطوا آراءَ سلفِ الأمّة إلا الذين قربوا منهم من المخطئين، وما تبعوا إلا الذين ضلّوا من قبل من فَيْجٍ أعوَجَ ومن قوم محجوبين. فما زالوا آخذين بآثارهم حتى حصحص الحق، فرجع بعضهم متندّمين. وأمّا الذين طبَع الله على قلوبهم فما كانوا أن يقبلوا الحق وما نفعهم وعظ الواعظين. والعلماء الراسخون يبكون عليهم ويجدونهم على شفا حفرة نائمين.

يا حسرة عليهم! لِمَ لا يفكّرون في أنفسهم أن لفظ **التوفّي** لفظٌ قد اتضح معناه من سلسلة شواهد القرآن، ثم من تفسير نبيّ الإنس

ونبيّ الجانّ، ثم مِن تفسير صحابيّ جليل الشان، ومَن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان، فأي حجة أوضحُ من هذا إن كانوا مؤمنين؟ ولو جاز صرفُ ألفاظ تحكُّمًا من المعاني المرادة المتواترة، لارتفع الأمان عن اللغة والشرع بالكلية، وفسدت العقائد كلها، ونزلت آفات على الملّة والدين. وكل ما وقع في كلام العرب من ألفاظ وجب علينا أن لا ننحت معانيها من عند أنفسنا، ولا نقدِّم الأقلّ على الأكثر إلا عند قرينة يوجب* تقديمه عند أهل المعرفة، وكذلك كانت سُنن المجتهدين.

ولما تفرقت الأمّة على ثلاث وسبعين فِرقة من الملّة، وكلٌّ زعم أنه من أهل السنّة، فأيُّ مخرج من هذه الاختلافات، وأي طريق الخلاص من الآفات من غير أن نعتصم بحبل الله المتين؟ فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقان، ومن تبِعه فقد نجا من طرق الخسران. ففكِّروا الآن.. **إن القرآن يتوفَّى المسيح** ويكمل فيه البيان، وما خالفه حديثٌ في هذا المعنى بل فسّره وزاد العرفان، وتقرأ في **البخاري والعيني وفضل الباري** أن **التوفّي** هو **الإماتة**، كما شهد ابنُ عبّاس بتوضيح البيان، وسيّدُنا الذي إمام الإنس ونبيّ الجانّ، فأيّ أمرٍ بقي بعده يا معشر الإخوان وطوائف المسلمين؟

وقد أقرّ المسيح في القرآن أن فساد أمّته ما كان إلا بعد موته،

* *يبدو أنه سهو الناسخ والصحيح "توجب". (الناشر)*

فإن كان عيسى لم يمت إلى الآن، فلزمك أن تقول إن النصارى ما أفسدوا مذهبهم إلى هذا الزمان. والذين نحتوا معنى آخر **للتوفّي** فهو بعيد عن التشفّي، وإن هو إلا من أهوائهم، وفساد آرائهم، ما أنزل الله به من سلطان، كما لا يخفى على أهل الخبرة وقلبٍ يقظان. وإن لم ينتهوا حقدًا، وأصرّوا على الكذب عمدًا، فليُخرجوا لنا على معناهم سندًا، وليأتوا من الله ورسوله بشرح مستند إن كانوا صادقين. وقد عرفتم أن رسول الله ﷺ ما تكلَّمَ بلفظ **التوفّي** إلا في معنى الإماتة، وكان أعمقَ الناس علما وأوّلَ المبصرين. وما جاء في القرآن إلا لهذا المعنى، فلا تحرّفوا كلمات الله بخيال أدنى، ولا تقولوا لما تصِف ألسنتُكم الكذبَ ذلك حق وهذا باطل، واتقوا الله إن كنتم متقين.

لِمَ تتبعون غلطًا ورجمًا بالغيب، ولا تبغون تفسير مَن هو منـــزه من العيب، وكان سيّدَ المعصومين؟ فاجتنبوا مثل هذه التعصّبات، واذكروا الموت يا دُودَ الممات، أتُتركون في الدنيا فرحين؟ فاذكروا يومًا يتوفّاكم الله ثم تُرجعون إليه فُرادى فُرادى، ولا ينصركم مَن خالف الحق وعادى، وتُسألون كالمجرمين.

وأمّا قول بعض الناس من الحمقى أن الإجماع قد انعقد على رفع عيسى إلى السماوات العُلى بحياته الجسماني◈ لا بحياته الروحاني◈،

◈ *يبدو أنه سهو والصحيح: "الجسمانية" و "الروحانية" . (الناشر)*

**فاعلم** أن هذا القول فاسد ومتاع كاسد، لا يشتريه إلا من كان من الجاهلين. **فإن المراد من الإجماع إجماع الصحابة، وهو ليس بثابت في هذه العقيدة**، وقد قال ابن عباس: **متوفّيك: مميتُك**، فالموت ثابت وإن لم يقبل عفريتُك. وقد سمعتَ يا من آذيتني أن آية: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ تدل بدلالة قطعية وعبارة واضحة أن الإماتة التي ثبتت من تفسير ابن عباس، قد وقعت وتمّت وليس بواقع كما ظن بعض الناس. أفأنت تظن أن النصارى ما أشركوا بربهم وليسوا في شُرُك كالأسارى؟ وإن أقررت بأنهم قد ضلوا وأضلوا، فلزمك الإقرار **بأن المسيح قد ماتَ وفاتَ**، فإن ضلالتهم كانت موقوفة على وفاة المسيح، فتفكَّر ولا تُجادل كالوقيح. وهذا أمر قد ثبت من القرآن، ومن حديث إمام الإنس ونبيّ الجانّ، فلا تسمع رواية تخالفها، وإن الحقيقة قد انكشفت فلا تلتفت إلى من خالفها، ولا تلتفت بعدها إلى رواية والراوي، ولا تُهلك نفسَك من الدعاوي، وفكِّر كالمتواضعين.

هذا ما ذكّرناك من **النبي والصحابة** لنـــزيل عنك غشاوة الاسترابة، وأما حقيقة **إجماع** الذين جاءوا بعدهم، فنُذكّرك شيئا من كَلِمهم، وإن كنتَ من قبل من الغافلين.

**فاعلم** أن **الإمام البخاري**، الذي كان رئيس المحدِّثين من فضل البارئ، كان **أول المقِرّين بوفاة المسيح**، كما أشار إليه في الصحيح،

فإنه جمَع الآيتين لهذا المراد، ليتظاهرا ويحصل القوة للاجتهاد. وإن كنتَ تزعم أنه ما جمع الآيتين المتباعدتين لهذه النيّة، وما كان له غرض لإثبات هذه العقيدة، فبيِّنْ لِمَ جمع الآيتين إن كنتَ من ذوي العينين؟ **وإن لم تبيّن، ولن تبيّن**، فاتق الله ولا تُصرّ على طرق الفاسقين.

ثم بعد **البخاري** انظروا يا ذوي الأبصار، إلى كتابكم المسلّم "**مجمَع البحار**"، فإنه ذكر اختلافات في أمر عيسى عليه السلام، وقدّم الحياة ثم قال: و**قال مالك: مات**. فانظروا "المجمع" يا أهل الآراء، وخذوا حظّا من الحياء، هذا هو القول الذي تكفرون به وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وباعدتم عن مقام الاتّقاء، أليس منكم رجل رشيد يا معشر المفتتنين؟

وجاء في الطبراني والمستدرك عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة. ثم بعد هذه الشهادات، انظروا إلى **ابن القيّم المحدّث** المشهود له بالتدقيقات، فإنه قال في "**مدارج السالكين**" إن **موسى وعيسى** لو كانا حيَّين ما وسعهم* إلا اقتداء **خاتم النبيين**. ثم بعد ذلك انظروا في الرسالة "**الفوز الكبير وفتح الخبير**" التي هي تفسير القرآن بأقوال خير البريّة، وهي من ولي الله الدهلوي حكيم الملّة، قال: **متوفّيك: مميتُك**. و لم

* *يبدو أن الألف سقط هنا سهوا والصحيح " وسعهما" . (الناشر)*

يقل غيرها من الكلمة، و لم يذكر معنى سواها اتّباعا لمعنى خرج من مشكاة النبوّة. ثم انظر في "الكشّاف"، واتق الله ولا تَخْتَرْ طرق الاعتساف كمجترئين.

ثم بعد ذلك تعلمون عقيدة الفِرق **المعتزلة**، فإنهم لا يعتقدون **بحياة عيسى**، بل أقرّوا بموته وأدخلوه في العقيدة. ولا شك أنهم من المذاهب الإسلامية، فإن الأمّة قد افترقت بعد القرون الثلاثة، ولا ينكر افتراق هذه الملّة، والمعتزلة أحد من الطوائف المتفرّقة. وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني المقبول عند الثقات، في كتابه المعروف باسم "الطبقات": وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول: كثير من كلام الصوفية لا يتمشى ظاهره إلا على قواعد المعتزلة والفلاسفة، فالعاقل لا يُبادر إلى الإنكار بمجرّد عزاء ذلك الكلام إليهم، بل ينظر ويتأمل في أدلّتهم. ثم قال: ورأيت في رسالة سيدي **الشيخ محمد المغربي الشاذلي**: اعلم أن طريق القوم مبني على شهود الإثبات، وعلى ما يقرب من طريق المعتزلة في بعض الحالات. هذا ما نقلنا من لواقح الأنوار، فتدبّر كالأخيار، ولا تعرض كالأشرار، ولا تخترْ سبل المعتدين.

وإن قلتَ إن **الإجماع** قد انعقد على عدم العمل بالمذاهب المخالفة **للأئمّة الأربعة**، فقد بيّنّا لك حقيقة الإجماع، فلا تصُلْ كالسِّباع، وفكِّرْ كأولي التقوى والارتياع، واذكر قول الإمام **أحمد**

الذي خاف الله وأطاع، قال: من ادّعى الإجماع فهو من الكاذبين.

ومع ذلك نجد كثيرا من الاختلافات الجزئية في **الأئمّة الأربعة**، ونجدها خارجة من إجماع الأئمّة، فما تقول في تلك المسائل وفي قائلها؟ أأنت تقرّ بغوائلها، أو أنت تجوّز العمل عليها والتمسك بها ولا تحسبها من خيالات المتبدِّعين؟ وأنت تعلم أن **الإجماع** ليس معها ومع أهلها، وكل ما هو خارج من الإجماع فهو عندك فاسد ومتاع كاسد، وتحسب قائلها من الملحدين الدجّالين. وإن كنتَ تزعم أن الإجماع قد انعقد على **حياة عيسى المسيح** بالسند الصحيح والبيان الصريح، فهذا **افتراء منك ومن أمثالك، ألا لعنة الله** على الكاذبين المفترين.

أيها المستعجلون.. لِمَ تسعون مكذبين؟ ومن أعظم المهالك تكذيب قوم كُشِف عليهم ما لم يُكشف على غيرهم من دقائق سبيل الحق واليقين. وكم من أُناس ما أهلكهم إلا ظنونهم، وما أرداهم إلا سبّ الصادقين. دخلوا حضرة أهل الله مجترئين، وما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين.

وإن المنكرين رموا كل سهم وتبعوا كل وهم، فما وجدوا مقاما في هذا الميدان، وجاهدوا كل جهد فما بقي عندهم سوى الهذيان، فلما انثلت الكنائن، ونفدت الخزائن، ولم يبق مفرّ ولا مآب، ولا ثنية ولا ناب، مالوا إلى السبّ والتكفير، والمكر والتزوير، لعلهم

يغلبون بهذا التدبير، حتى اجترأ بعض الناس من وساوس الوسواس الخنّاس على أن يخدع بعض العوام بصرير الأقلام، فألّف كتابا لهذا المرام، وقيّض القدر لهتك ستره أنه أشاع الكتاب بشرط الإنعام، وزعم أنه سكّتَنا وبكّتَنا وأدّى مراتب الإفحام، وصار من الغالبين. فنهضنا لنعجُم عُودَ دعواه، وماءَ سُقياه، ونمزّق الكذّاب وبلواه، ونُري جنوده ما كانوا عنه غافلين. فإن **إنعامه** أوحشَ الذين هم كالأنعام، وإعلامه أوهشَ بعضَ العَيْلام، وما علموا خبث قوله وضعف صوله، وحسبوا سرابه كماء معين. وكنتُ آليتُ أن لا أتوجّه إلا إلى أمر ذي بال، ولا أضيع الوقت لكل مناضل ونضال، ورأيتُ تأليفه مملوّا من الجهلات، ومشحونا من الخزعبلات، ومجموعا من ديدن الغباوة، وموضوعا من قريحة الشقاوة، فمنعتني عزّةُ وقتي وجلالة همّتي أن ألطّخ يديّ بدم هذا الدود، وأبعد عن أمر المقصود، ولكني رأيت أنه يخدع كلَّ غمر جاهل بإراءة إنعامه وتُرّهات كلامه، ولو صمتْنا فلا شك أنه يزيد في اجترامه، ويخدع الناس بتزوير إفحامه، وإنه ولَج الفخّ فنرى أن نأخذه ثم نذبحه للجائعين. وإنه يطير طيران الجراد، ليأكل زرع رب العباد، فرأينا لتأييد عين الحقيقة ومجاريها، أن نصطاد هذه الجراد مع ذراريها، ونُنج الخلق من كيد الخائنين. فوالذي حبانا بمحبّته، ودعانا إلى تأييد أحبّته، إنّا لا نرغب في عطاء هذا الرجل وإنعامه، بل نحسبه فضولا كفضول كلامه، وما نريد إلا أن نُريه جزاء اجترامه، لئلا يغترّ بعض

الجهلة من المتعصّبين.

**فاعلم** يا من ألّف الكتاب ويطلب منّا الجواب، إنا جئناك راغبين في استماع دلائلك، لننجيك من غوائلك، ونجيح أصل رذائلك، ونريك أنك من الخاطئين. وأنت تعلم أن حمل الإثبات ليس علينا بل على الذي ادّعى الحياة ويقول إن عيسى ما مات وليس من الميتين. فإن حقيقة الادّعاء اختيار طرق الاستثناء بغير أدلّة دالّة على هذه الآراء، أعني إدخال أشياء كثيرة في حكم واحد، ثم إخراج شيء منه بغير وجه الإخراج وسبب شاهد، وهذا تعريف لا ينكره صبي ولا غبي، إلا الذي كان من تعصّبه كالمجنونين.

فإذا تقرّر هذا فنقول إنّا نظرنا إلى زمان بُعث فيه المسيح، فشهد النظر الصحيح أنه كل من كان في زمانه من أعدائه وأحبّائه وجيرانه، وإخوانه وخلانه وخالاته، وأمهاته وعمّاته وأخواته، وكل ما كان في تلك البلدان والديار والعمران، كلهم ماتوا وما نرى أحدا منهم في هذا الزمان؛ فمَن ادّعى أنّ عيسى بقي منهم حيّا وما دخل في الموتى فقد استثنى، فعليه أن يُثبت هذا الدعوى.

وأنت تعلم أن الأدلة عند الحنفيين لإثبات ادعاء المدّعين **أربعة أنواع** كما لا يخفى على المتفقهين.

**الأول**: قطعيّ الثبوت والدلالة وليس فيها شيء من الضعف والكلالة، كالآيات القرآنية الصريحة، والأحاديث المتواترة

الصحيحة، بشرط كونها مستغنية من تأويلات المؤوّلين، ومنَزّهة عن تعارض وتناقض يوجب الضعف عند المحققين.

**الثاني**: قطعي الثبوت ظني الدلالة، كالآيات والأحاديث المؤوَّلة مع تحقُّق الصحّة والأصالة.

**الثالث**: ظنّيّ الثبوت قطعيّ الدلالة، كالأخبار الآحاد الصريحة مع قلّة القوّة وشيء من الكلالة.

**الرابع**: ظنّيّ الثبوت والدلالة، كالأخبار الآحاد المحتملة المعاني والمشتبهة.

ولا يخفى أن الدليل القاطع القوي هو **النوع الأول** من الدلائل، ولا يمكن مِن دونه اطمينان السائل. **فإنّ الظنَّ لا يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**، ولا سبيل له إلى يقين أصلاً. ولم أزل أرقُب رجلا يدّعي اليقين في هذا الميدان، وأتشوّف إلى خبره في أهل العدوان، فما قام أحد إلى هذا الزمان، بل فرّوا مني كالجبان، فأودعتهم كاليائسين وانطلقت كالمتفرّدين، إلى أن جاءني بعد تراخي الأمد، تلك رسالتك يا ضعيف البصر شديد الرمد، ونظرت إليه نظرة وأمعنت فيه طرفة، فعرفت أنه من سقط المتاع، ومما يستوجب أن يُخفَى ولا يُعرض كالبَعاع. ولو غشِيك نور العرفان، وأمعنتَ كرجل له عينان، لسترتَ عوارك، وما دعوت إليه جارك، ولكن الله أراد أن يُخزيك، ويُري الخلق خزيك، فبارزتَ وأقبلت، وفعلت ما فعلت، وزوّرت

وسوّلت، وكتبت في كتابك الإنعام، لتُرضي به الأنعام، ولكن رتَقتَ وما فتَقت، وخدعتَ في كل ما نطقت، وإنّا نعلم أنك لست من المتموّلين.

ومع ذلك لا نعرف أنك صادق الوعد ومن المتقين، بل نرى خيانتك في قولك كالفاسقين. فما الثقة بأنك حين تُغلب وترتعد ستفي بما تعد؟ وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل، فإن وردت غدير الغدر، فمن أين نأخذ العَين يا ضيِّقَ الصدر؟ وما نريد أن تُرجع الأمر إلى القضاة ونحتاج إلى عون الولاة، ونكون عرضة للمخاطرات. ونعلم أنك أنت من بني غبراء، لا تملك بيضاء ولا صفراء، فمن أين يخرج العَين مع خصاصتك وإقلالك وقلة مالك؟ ومع ذلك للعزائم بدواتٌ، وللعِدات معقّبات، وبيننا وبين النَجْز عقبات، ولا نأمن وعدكم يا حزب المبطلين. فإن كنتَ من الصادقين لا من الكاذبين الغدّارين، وصدقت في عهد إنعامك وما نويتَ حنثًا في إقسامك، فالأمر الأحسن الذي يسرد غواشي الخطرات، ويجيح أصل الشبهات، ويهدي طريقا قاطع الخصومات، أن تجمع **مال الإنعام عند رئيس من الشرفاء الكرام**، ونحن راضون أن تجمع عند الشيخ **غلام حسن** أو الخواجه **يوسف شاه** أو المير **محمود شاه** قطعًا للخصام، ونأخذ منهم سندًا في هذا المرام، فهل لك أن تجمع عَينك عند رجلٍ سواءٍ بيني وبينك، أو لا تقصد سبيل المنصفين؟ وإنّا لا نعلم مكنون طويّتك، فإن كنت كتبتَ الرسالة من

صحة نيّتك، لا من فساد طبيعتك، فقُمْ غيرَ وانٍ ولا لاوٍ إلى عدوان، واعمل كما أمرنا إن كنتَ من الصادقين. وإنّا جئناك مستعدّين ولسنا من المعرضين ولا من الخائفين، بل نُسَرُّ بالإقدام ولو على الضِرغام، ولا نخاف أمثالك من الناس، بل نحسبهم كالثعالب عند البأس. وأزمعْنا أن نفتّش خباءتك، ونستنفض حقيبتك، ونحسر اللثام عن قربتك، وقلّما خلص كذّاب أو بورك له اختلاب، وقد بقينا عامًا لا نخشّن كلامًا، ولا نجيب مكفِّرًا ولوّامًا، وصبرنا ورأينا اجْلِخْماما، حتى ألجأتْنا مرارةُ الكلمات إلى جزاء السيئات بالسيئات، وعلاجِ الحيّات بالعصي والصَّفاة، فقمنا لنهتك أستار الكاذبين.

فلا نلتفت إلى القول العريض، ونريد أن تبرز إلينا بالصُّفر والبِيض، و**تجمع مبلغك عند أحدٍ من الرجال الموصوفين**، وتأمرهم ليعطوني مبلغك عندما رأوك من المغلوبين. فإن لم تفعل فكذبك واضح، وعذرك فاضح، **ألا لعنة الله على الكاذبين، ألا لعنة الله على الغادرين الناكثين، الذين يقولون ولا يفعلون**، ويعاهدون ولا ينجزون، ولا يتكلمون إلا كالخادعين المزوّرين، فعليهم **لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**. فاتّقِ لعنة الله وأَنجِزْ ما وعدتَ كالصادقين. وإن كنت لا تقدر على الإيفاء، وليس عندك مال كالأمراء، فاطلبْ **لعونك قوما** يأسُون جراحك ويريّشون جناحك، فإن كانوا من المصدّقين المعتقدين، فيعينونك كالمريدين، مع أن دِين

القوم جبرُ الكسير وفكُّ الأسير، واحترام العلماء واستنصاح النصحاء. على أنك لن تطالب بدرهم إلا بعد شهادة حَكم، وأما الحَكم فلا بد من الحَكمَين بعد جمع العَين. ووكّلنا إليك هذا الخَطبَ، ولك كل ما تختار اليابس أو الرطبَ، فإن جعلتَ حَكَمَين كاذبَين، فنقبلهما بالرأس والعين، ولا ننظر إلى الكذب والمَين، بيد أننا نستفسرهما بيمين الله ذي الجلال، وعليهما أن يحلفوا* إظهارًا لصدق المقال، ثم نمهلهما إلى عام، ونمدّ يد المسألة إلى خبير علاّم، فإن لم تتبين إلى تلك المدّة أمارة الاستجابة، فنُشهد الله أنّا نُقرّ بصدقك من دون الاسترابة، ونحسبك من الصادقين.

وأعجبني لِمَ تصدّيتَ لتأليف الكتاب، وأيّ أمر كتبتَ كالنادر العجاب، بل جمعتَ فضلة أهل الفضول، واتبعتَ جهلات الجهول، وما قلت إلا قولاً قيل من قبلك، ونُسج بجهل أكبر من جهلك، وما نطقتَ بل سرقت بضاعة الجاهلين. وما نرى في كلامك إلا عبارتك التي نجد ريحه كسَهْك الحيتان المتعفنة، ونتنِ الجيفة المنتنة، ونراه مملوًّا من تكلّفات باردة ركيكة، وضحكة الضاحكين. وفعلتَ كل ذلك لرُغفان المساجد، وابتغاءِ مرضاة الخَلق كالواجد، لا لله رب العالمين.

يا من ترَك الصدقَ ومانَ، قد نبذت الفرقان، ولا تعلم إلا الهذيان، وتمشي كالعمين، لا تعلم إلا الاختراق في مسالك الزور،

* *يبدو أنه سهو والصحيح: "يحلفا" . (الناشر)*

والانصلات في سكك الشرور، ولا تتقي براثن الأسد وتسعى كالعُمي والعُور، وإنّا كشفنا ظلامك، ومزّقنا كلامك، وستعرف بعد حين. أتؤمن بحياة المسيح كالجهول الوقيح، وتحسبه كأنه استُثْنِيَ من الأموات، وما أقمت عليه دليلا من البيّنات والمحكمات، ولا من الأحاديث المتواترة من خير الكائنات، فكذبتَ في دعوى الإثبات، وباعدتَ عن أصول الفقه يا أخا الترّهات. أيها الجهول العجول، المخطئ المعذول، قِفْ وفكِّرْ برزانة الحصاة، ما أوردتَ دليلا على دعوى الحياة، وما اتبعتَ إلا الظنيات، بل الوهميات. ونتيجة الأشكال لا يزيد على المقدّمات، فإذا كانت المقدّمتان ظنّيّتَين فالنتيجة ظنّية، كما لا يخفى على ذوي العينين. وإن كنتَ لا تفهم هذه الدقائق، ولا تدرك هذه الحقائق، فسَلِ الذين من أولي الأبصار الرامقة، والبصائر الرائقة، وانظر بعينِ غيرك إن كنت لا تنظر بعينك في سيرك، واستنـــزلِ الريَّ من سحاب الأغيار، إن كنتَ محرومًا من دَرِّ الأمطار.

ألا تعلم يا مسكين أن قولك يُعارض بيّنات القرآن، ويخالف مُحكمات الفرقان؟ وقد تبيّن معنى التوفّي من لسان سيّدِ الإنس ونبيِّ الجانّ، وصحابته ذوي الفهم والعرفان. وأيّ فضل لمعنى العوام، بعد ما حصحص المعنى من خير الأنام، ومَن يأباه إلا من كان من الفاسقين؟

فتندّم على ما فرّطتَ في جنب الله وبيّناته، واتبعتَ المتشابهاتِ

وأعرضتَ عن محكماته، ووثَبْتَ كخليع الرسن، وتركتَ الحق كعَبَدةِ الوثن. وإني نظرتُ رسالتك الفينة بعد الفينة، فما وجدتُها إلا راقصة كالقينة، ووالله إنها خالية عن صدق المقال، ومملوّة من أباطيل الدجّال، فعليك أن تنقُد المبلغ في الحال، لنريك كذبك ونوصلك إلى دار النكال. وعليك أن تجمع مالك عند أمين الذي كان ضمينا بيقين، وإلا فكيف نوقن أنّا نقطف جناك إذا أبطلنا دعواك، وأريناك شقاك؟ يا أسير المَتْربة، لستَ من أهل الثروة، بل من عَجَزة الجهلة، فاترُكْ شِنْشِنة القِحَة، واجمعِ المال وجانِبْ طرق الفِرية والتَعلّة، فواهًا لك إن كنت من الصادقين الطالبين، وآهًا منك إن كنت من المعرضين المحتالين. وقد أوصينا واستقصينا، ونقّحنا تنقيح من يدعو أخا الرشد ويكشف طرق السَّدَد، وأكملنا التبليغ لله الأحد، وننظر الآن أتجمع المال وتُرِي العهد والإيمان، أو تُرِي الغدر وتتبع الشيطان كالمفسدين.

ووالله الذي يُنـــزل المطر من الغمام، ويُخرج الثمر من الأكمام، إني ما نهضتُ لطمعٍ في الإنعام، بل لإخزاء اللئام، ليتبين الحق وليستبين سبيل المجرمين، وإن الله مع المتّقين. ووالله الذي أعطى الإنسان عقلاً وفكرًا، لقد جئتَ شيئًا نُكْرًا، وأبقيتَ لك في المخزِيات ذكرا. وقد كتبنا من قبل اشتهارا، وواعدْنا للمجيبين إنعاما، وأقررنا إقرارا، فما قام أحدٌ للجواب، وسكتوا كالبهائم والدواب، وطارت نفوسهم شعاعا، وأرعدت فرائصهم ارتياعا،

وأكبّوا على وجوههم متندّمين.

أفأنت أعلم منهم أو أنت من المجانين؟ إنهم كانوا أشدَّ كيدًا منك في الكلام، بل أنت لهم كالتِّلام، فكان آخر أمرهم خزي وخذلان وقهر رب العالمين. وإن الله إذا أراد خزي قوم فيعادون أولياءه، ويؤذون أحبّاءه، ويلعنون أصفياءه، فيبارزهم الله للحرب، ويصرف وجههم بالضرب، ويجعلهم من المخذولين. ألا تفكرون في أنفسهم أنّ الله يُنـــزل نُصرته لنا بجميع أصنافها، **ويأتي الأرض ينقصها من أطرافها**، ويحفظنا بأيدي العناية، ويسترنا بملاحف الحماية، فلا يضرّنا كيد المفسدين؟ يعلم من كان له ومن كان لغيره، وينظر كل ماش في سيره، ولا يهدي قوما مسرفين، ويبير الفاسقين ويمحو أسماء المفترين من أديم الأرضين. هو الغيور المنتقم، ويعلم عمل المفسد الفتّان، ويأخذ المفترين بأقرب الأزمان، فيُنـــزل رجزه أسرعَ من تصافُح الأجفان. فتوبوا كالذين خافوا قهر الرحمن، وأنابوا قبل مجيء يوم الخسران، وغيَّروا ما في أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، يا معشر أهل العدوان. اطلبوا الرحم وهو أرحم الراحمين. فتندّم يا مغرور على جهلاتك، واعتذر من فرطاتك، وفكِّر في خسرك وانحطاط عرضك وانكشاف سترك، وازدجِرْ كالخائفين.

واعلمْ أنه من نهض ليستقري أثر حياة عيسى، فما هو إلا كجادع مارن أنفِه بموسى، فإن الفساد كل الفساد ظهر مِن ظنِّ حياة المسيح، واسودّت الأرض من هذا الاعتقاد القبيح، ومع ذلك

لا تقدرون على إيراد دليل على الحياة، وتأخذون بأقوال الناس ولا تقبلون قول الله وسيد الكائنات. وتعلمون أنه **من فسّر القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ**، ثم تتبعون أهواءكم ولا تتقون مَن ذرأ وبرأ، وتتكلمون كالمجترئين. وإذا قُرئ عليكم آيات الفرقان فلا تقبلونها، وإنْ قُرئ نصف القرآن، وإنْ عُرِضَ غيره، فتقبلونه مستبشرين. لا تلتفتون إلى كتاب الله الرحمن، وتسعون إلى غيره فرحين. وليت شعري! كيف يجوز الاتكاء على غير القرآن بعد ما رأينا بيّنات الفرقان؟ أتوصلكم غيرُ القرآن إلى اليقين والإذعان؟ **فأْتوا بدليل إن كنتم صادقين**.

**يا حسرة على أعدائنا! إنهم صرفوا النظر عن صحف الله الرحمن**، وما طلبوا معارفها كطلاّب العرفان، وأفنوا زمانهم وعمرهم في أقوال لا توصلهم إلى روضات الإذعان، ولا تسقيهم من ينابيع مطهّرة للإيمان، وما نرى أقوالهم إلا كصوّاغين باللسان.

فيا معشر العُمي والعُور.. اتقوا الله ولا تجترئوا على المعاصي والفجور، وتخيّروا طريقا لا تخشون فيه مسَّ حيفٍ ولا ضربَ سيف، ولا حُمَةَ لاسعٍ ولا آفةَ وادٍ واسع، وقوموا لله قانتين. وفكّروا في قولي.. هل صدقتُ فيما نطقتُ، أو ملتُ فيما قلتُ، وتفكروا كالخاشعين. ما لكم لا تستعدّون لقبول الحجّة وتزيغون عن المحجّة، تركضون في امتراء الميرة، ولها تتركون أقارب العشيرة. وما أرى

فيكم من ترك لله الأقارب والأحباب، وجدَّ في الدين ودأب. لم لا تتأدّبون بآداب الصلحاء، ولا تقتدون بطرق الأتقياء؟ أنكرتم الحق وما رأيتم سُقياه، وما وطأتم حصاه، وما استشرفتم أقصاه، وتركتم الفرقان وهُداه، وكنتم قوما عادين.

يا أهل الفساد والعناد.. اتقوا الله رب العباد. أين ذهب تقاكم؟ وأضلّكم علمُكم وما وقاكم. لا تفهمون **القرآن** ولا تمسّون **الفرقان**، فأين غارت مزاياكم، وأين ذهب ريّاكم؟ ما أجد كلامكم مؤسَّسًا على التقوى، وأجد قلوبكم متدنسة بالطغوى. فما بال قرب* كان لها كمثلكم الملاّحُ، وما بال أرض يحرثها كحزبكم الفلاّحُ؟ ولا شك أنكَم أعداء الدين وعِدا الشرع المتين. ونعلم أن قصر الإسلام منكم ومن أيديكم عفا، ولم يبق منه إلا شفا، ولولا رحمة ربي لأحاطه الدجى، وكان الله حافظه وهو خير الحافظين.

ألا تنظرون أنكم كَمْ فَجٍّ سلكتم، وكم رجلٍ أهلكتم، وكم بِدَعٍ ابتدعتم، وكم قومٍ خدعتم، وكم عرضٍ اختلستم، وكم ثعلبٍ افترستم؟ أمّا الآن فالحق قد بان ورحم الرب الرحيم، واستنار الليل البهيم، وأنار الدين القويم، وظهر أمر الله وكنتم كارهين. إن لله في كل يوم نظرةً، فنظر الدينَ رحمةً، ووجده غرضًا لسهام الأعداء، وكالوحيد الطريد في البيداء، فأقامني برحمة خاصة في أيام إقلال

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "القوارب". (الناشر)*

وخصاصة، ليجعل المسلمين من المنعَمين، ويعطيهم ما لم يعط لآبائهم ويرحم الضعفاء، وهو أرحم الراحمين.

وما قمتُ بهذا المقام إلا **بأمر قدير**، يبعث **الإمام** ويعلم الأيام، حكيم عليم يرى أيام الغي والضلال، وصراصر الفساد في النساء والرجال. تناهى الخَلق في التخطي إلى الخطايا، وعقروا مطا المطايا، ودفنوا الحق في الزوايا، ولمع الباطل كالمرايا، **فرأى هذا كلَّه ربُّ البرايا**، فبعث **عبدًا من العباد**، عند وقت الفساد، أعَجبتم من فضله يا جَمْرَ العناد؟ فلا تتكئوا على الظنون، ولله أسرار كالدرّ المكنون، يبلي عباده في كل زمان، وكل يوم هو في شان.

وأُقسِم بعلاّمِ المخفيّات، ومُعينِ الصادقين والصادقات، أني من الله رب الكائنات. ترتعد الأرض من عظمته، وتنشق السماء من هيبته، وما كان لكاذب ملعون أن يعيش عمرا مع فِريته، فاتقوا الله وجلال حضرته. ألم يبق فيكم ذرّة من التقوى؟ أنسيتم وعظ كفّ اللسان وخوف العقبى؟ يا أيها الظانّون ظن السوء.. تعالوا ولا تفرّوا من الضوء.

**يا قوم إني من الله.. إني من الله.. إني من الله، وأُشهد ربي أني من الله. أؤمن بالله وكتابه الفرقان، وبكل ما ثبت من سيّد الإنس ونبيِّ الجانّ. وقد بُعثتُ على رأس المائة، لأجدّد الدين وأُنوّر وجه الملّة، والله على ذلك شهيد، ويعلم من هو شقي وسعيد.** فاتقوا الله

يا معشر المستعجلين.. أليس فيكم رجل من الخاشعين؟ أتصولون على الأسود ولا تميّزون المقبول من المردود؟ وفي الأمّة قوم يلحقون بالأفراد، ويكلّمهم ربهم بالمحبّة والوداد، ويُعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، ويُطعمهم ويسقيهم، ويكون فيهم وعليهم ولهم، ويُحاطون من رب العالمين. لهم أسرار من ربهم لا يعلمها غيرهم، ويشرَبُ قلبهم هوى المحبوب ويُوصَلون إلى المطلوب. ينوّر باطنهم ويترك ظاهرهم في الملومين، فطوبى لفتى يأتمّ بآدابهم، وتنكسر جبائر مكرِه في جنابهم، ويسرج جواد الصدق لصحبة الصادقين.

هذا ما كتبنا وألّفنا لك الكتاب، فإذا وصلك فأمْلِ الجواب. وحاصل الكلام أنّا قائمون للخصام، لنذيقك جزاء السهام، ومن آذى الأحرار فأباد نفسه وأبار. فاسمَعْ مني المقال، إني أرقُب أن تجمع المال، فإذا جمعتَ وأتممت السؤال، فاعلم أن **أحمد** قد صال وأراك الوبال والنكال. يا مسكين إن **موت عيسى** من البديهيات، **وإنكاره** أكبر الجهلات، ولكن صدِئ قلبُك وغلُظ الحجاب، فردّدتْ وتقاذفتْ بك الأبواب، فلا تصغَى إلى العظات، ويؤذيك الحق كالكَلِمِ المحفِظات، وأرداك تباهيك بكتابك وهو أصل تبابك. وإني عرفت سرّك ومعمّاه، وإن لم يَدْرِ القوم معناه. وما تريد إلا أن تفتتن قلوب السفهاء، وتخدع الجهلاء، لتكون لك عزّةٌ في الأشقياء، وتفوز في الأهواء، وهذا خاتمة الكلام، فتدبّرْ كالعقلاء، ولا تقعد كالعمين.

هداك الله هل تُرضي العواما لكي تستجـــلِبنْ منهم حُطاما
وهل في ملّة **الإســـلام** أثرٌ من الكَلِـــمِ التي تَبرِي خِصاما
أعندك حُجّـــةٌ **إجماعُ قومٍ** أضاعوا **الحق** جهلا واهتضاما
ومثلك أُمّةٌ قتلتْ **حسيـــنا** إذا وجدتْ كمنـــفرد إمـــاما

**تـــــمّـــــت**

# الوَصِيَّةُ للهِ لِقَوْمٍ لا يَعْلَمُوْنَ

أيها العلماء والمشايخ والفقهاء.. إني رأيت تَعاميَكم في مصنّفاتكم، فتأجج قلبي لجهلاتكم. إنكم تسيرون في المَعامي، ولا تخافون جَوْبَ الحوامي◈. وإني عِفْتُ أن أفصّل حالاتكم، وأبيّن مقالاتكم. أتعاميتم مع سلامة البصر، وتجاهلتم مع العلم والخبر؟ كان عندكم العقل والفهم الصافي، ولكن النفس صارت ثالثة الأثافي. إن حبّ العَين سلَب عينَيكم، والطمع في كرم الناس مـــحَق كريمَتَيكم. أَقَرَأْتم العلومَ للقِرى، وتعلّمتم لرُغفان القُرى؟ وباعدتم عن الإخلاص الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء. تركتم الشريعة واتّبعتم النفس الدنيّة، وصرتم قوما خاسرين. أكلتم الدنيا بأنواع الدقاقير*، وما نجا من فخّكم أحدٌ من القبيل والدبير. طورًا تلدغون في حلل العِظات، وأخرى بالكَلِم المحفظات. وأَجِدُ فيكم ما يَسِمُ بالإخلاق، وما أجد شيئا من محاسن الأخلاق. فإنّا لله على مصيبة الإسلام، وإمحالِ رياض خير الأنام. وإنّا نكتب قصّتكم متجرّعًا بالغصص، ومتورّعا من مبالغات القِصص. إنكم جعلتم الإسلام مَصْطَبة المقيِّفين، أو خانَ المدروزين والمُشَقْشِقين. اتقوا الله ويوم

◈ *يبدو أنه سهو الناسخ وربما هو "الموامي" كما ورد كثيرا في كتب حضرته عليه السلام. (الناشر)*

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "الدقارير" . (الناشر)*

الأهوال، وحلولَ الآفات وتغيُّرَ الأحوال، واذكروا الحِمام ومساورة الإعلال، وفضوح الآخرة وسوء المآل. واتركوا الكِبر والعُجب والخيلاء، فإنها لا يزيدكم* إلا الغطاء. ولا تصحّ صفة العبودية إلا بعد ذوبان جذبات الحيّة، أعني هوى النفس الذي هو على بحر السلوك كزبد، فلا تُطيعوا الزبد كعبد، واطلبوا بحر ماء معين.

واعلم يا طالبَ الحقّ الأهمّ، أن علماء السوء ما يخرجون من الفم هو أضرّ على الناس من السمّ، ومِن كل بلاء يوجد على وجه الأرضين، فإن السموم إذا أضرّت فلا تضرّ إلا الأجسام، وأما كلامهم فيضرّ الأرواح ويُهلك العوام، بل ضررهم أشد وأكثر من إبليس اللعين. يلبسون الحق بالباطل، ويسلّون سيوف المكر كالقاتل، ويُصرّون على كلمات خرجت من أفواههم وإن كانوا على خطأ مبين. فاستعِذْ بالله منهم ومن كلماتهم، واجتنِبْهم وجهلاتهم، وكن مع العلماء الصادقين. ولا تضحك على مواجيد الأولياء، والأسرار التي كُشفت على تلك الأصفياء، فإنهم مظاهر نور الله وينابيع ربّ العالمين. واعلم أنهم قوم صادقون في الأحوال، والمحفوظون في الأفعال والأعمال، ويُعلَّمون من أشياء لا يعلمها عقل العلماء، ويُعطَون من علم لا يُعطَى مثله أحدٌ من العقلاء. فلا يُنكرهم إلا الذي فيه بقيّة من مسّ الشيطان، وأثرٌ من آثار الجانّ، ولا يكفّرهم

* يبدو أنه سهو والصحيح: "تزيدكم". (الناشر)

إلا الأعمى الذي ليس همّه إلا تكفير الصالحين.

ألا إن لله عبادًا يحبّهم ويحبّونه، آثرَهم وملأ قلوبهم مِن حبّه وحبّ مرضاته، فنسوا أنفسهم استغراقا في محبّة ذاته وصفاته، فلا تُعلِّق همّتك بإيذاء قومٍ لا تعرفهم ومنازلهم، وإنّك لا تنظر إليهم إلا كعمين. إنهم خرجوا مِن خلقٍ كان مشابهَ خلقِ وجودِك، وسعوا إلى مقام أعلى وتباعدوا عن حدودك، ووصلوا مكانا لا تصل إليها أنظارك، ولا تدركها أفكارك، ونزلوا بمنـــزلة لا يعلمها إلا رب العالمين. فلا تدخل في أقوالهم كمجترئين، ولا تتحرك بسوء الظنون وقلة الأدب معهم كالمعتدين، فيعاديك ربك وتلحق بالخاسرين. فإيّاك يا أخي أن تقع في ورطة الإنكار، وتلحق بالأشرار، وتهلك مع الهالكين.

واعلم أن كتاب الله الرحمن، كسبعةِ أبحرٍ من أنواع نكات العرفان، يشرب منها كل طير بوسع منقاره، ويختار حقيرًا ولا يشرب إلا قدرا يسيرا. والذين وسَّع مَداركَهم عناياتُ ربهم، فيشربون ماء كثيرا وهم أولياء الرحمن وأحبّاء أحسن الخالقين. يهُبُّ على قلوبهم نفحاتٌ إلهية، فيتعالى كلامهم، فيجهله عقول الذين ليسوا من العارفين. والذين يُعطَون أفعالا خارقة للعادة، وأعمالا متعالية عن طور العقل والفكر والإرادة، فلا تعجب من أن يُعطوا كلمات، ورُزقوا من نكات تعجز العلماء عن فهمها، فلا تنهَضْ كالمستعجلين.

وإن كنت من الذين أراد الله بهم خيرًا، فبادِرْ وسِرْ إليهم سيرًا، ودَعْ زورًا وضيرًا، وكن من الحازمين. وكم من كلمات نادرات بل محفظات، تخرج من أفواه أهل الله إلهامًا من الله الذي هو مؤيّد الملهَمين، فينهضون لله ويُبلّغونها ويُشيعونها، فتكون سببَ مرضاة الله كهفِ المأمورين. ثم تلك الكلمات بعينها بغير تغيير وتبديل تخرُج من فمٍ آخر، فيصير قائلها من الذين تركوا الأدب واجترءوا وصاروا من الفاسقين. فتأدَّبْ مع أهل الله ولا تعجَلْ عليهم ببعض كلماتهم. وإن لهم نيّات لا تعرفها، وإنهم لا ينطقون إلا بإشارة ربّهم، فلا تُهلك نفسك كالمجترئين. لهم شأن لا يفهمه إنسان، فكيف مثلك فتّان، إلا مَن سلك مسلكهم، وذاق مذاقهم، ودخل في سِككهم، فلا تنظرْ إلى وجوه مشايخ الإسلام وكبراء الزمان، فإنهم وجوه خالية من نور الرحمن، ومن زيّ العاشقين. ولا تحسب كلمات المحدَّثين المكلَّمين ككلماتك أو كلمات أمثالك من المتعسّفين. فإنها خرجت من أنفاس طيّبة، ونفوس مطهَّرة مُلهَمة، وهي قريب العهد من الله تعالى كثمرٍ غضٍّ طريٍّ أُخذ الآن من شجرة مباركة للآكلين. والقوم لما لم يفهموا كلمات لطيفة دقيقة حِكَميّة إلهيّة، فعزَوا أهلها إلى الفُسّاق والزنادقة والكفّار وأهل الأهواء. فيا حسرة عليهم وعلى تلك الآراء، إنهم قد هلكوا إن لم يتوبوا ولم يرجعوا منتهين. والأحرار ينتقلون من القالب إلى القلب، وهم انتقلوا من القلب إلى القالب، ونبذوا كل ما علموا وراء ظهورهم للبخل

الغالب، فأصبحوا كقشرٍ لا لُبَّ فيه وأكلوا الجيفة كالثعالب، وكفّروني ولعنوني من غيرِ علم ليستروا الأمر على الطالب، وقالوا كافر كذّاب، واتبعوا دأب الذين خلوا من قبلهم من أهل التباب. وكانوا يقولون من قبل إنّ رجلا لا يخرج من الإيمان باختلافات ليس فيها إنكار تعليم القرآن، وإنما الحُكم بالتكفير لمن صرّح بالكفر واختاره دينا، وأنكر دين الله القدير وجحد بالشهادتين كالأعداء اللئام، وخرج عن دين الإسلام، وصار من المرتدّين. وقالوا لو رأينا في هذا الرجل خيرا أو رائحةً من الدين ما كفّرنا وما كذّبنا وما تصدّينا للتوهين. كلا، بل قسَتْ قلوبهم من الإصرار على الإنكار، ودعاوى الرياء وفتاوى الاستكبار، فطبع عليها طابع وما وُفِّقوا أن يرجعوا مع الراجعين. ولو شاء الله لأصلح بالهم وطهّر مقالهم، وجذبهم وأراهم ضلالهم، ولكنهم زاغوا وأحبّوا عيوبهم، فغضب الله عليهم وأزاغ قلوبهم، وتركهم في ظلمات، وجعلهم كصُمٍّ وعمين.

أيها العَجول، اتق الله وخَفْ أولياء الله الودود، ولا خَوْفَك من الأسود، وإذا رأيتَ رجلا تبتّلَ إلى الله، وما بقي له شيء يشغله عن ربّه، فلا تتكلم فيه ولا تتجرّأ على سبّه، أتحارب الله يا مسكين، أو تقتل نفسك كالمجانين؟ واعلم أن أولياء الرحمن يُطرَدون ويُلعَنون ويُكفَّرون في أوائل الزمان، ويقال فيهم كل كلمة شرّ، ويسمعون من قولهم كل الهذيان، ويسمعون أذًى كثيرا من قومهم ومن أهل العدوان، ويسمّونهم أجهلَ الناس وأضلّ الناس، مع كونهم من أهل

العارفة والعرفان، ويسمّونهم دجّالين وعَبَدة الشيطان؛ ثم يجعل الله الكرّةَ لهم، ويُؤيَّدون ويُنصَرون ويُبرَّأون مما يقولون، ويأتيهم الدولةُ والنصرة من عند الله في آخر أمرهم من الله المنّان، وكذلك جرت عادة الله الديّان، أنه يجعل العاقبة للمتّقين.

وإذا جاء نصره فترى قلوب الناس كأنها خُلقت خلقًا جديدا، وبُدِّلت تبديلا شديدا، وترى الأرض مخضرّة بعد موتها، والعقول سليمة بعد سخافتها، والأذهان صافية والصدور مطهّرة بإذن قادرٍ قيّومٍ ومُعين. فيسعون إليهم بالمحبّة والوداد، نادمين من أيام العناد، ويُثنون عليهم باكين قائلين إنّا تُبنا فاغفر لنا ربنا إنّا كنّا خاطئين، ومن يرحم إلا هو وهو أرحم الراحمين. هذا مآل الذين سُعدوا وفُتحت أعينهم وجُذبوا، وأمّا الذين شقوا فلا يرون حتى يُرَدّون إلى عذاب مهين.

رب أَرِنا أيامَك، وصدِّقْ كلامك، وفرِّجْ كرباتِنا، واغفِرْ زلاّتِنا، وارْضَ عنّا وتعال على ميقاتنا، وانصرنا على القوم الكافرين. وصلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على رسولك خاتم النبيين. آمين ربنا آمين.

# حجة اللّه

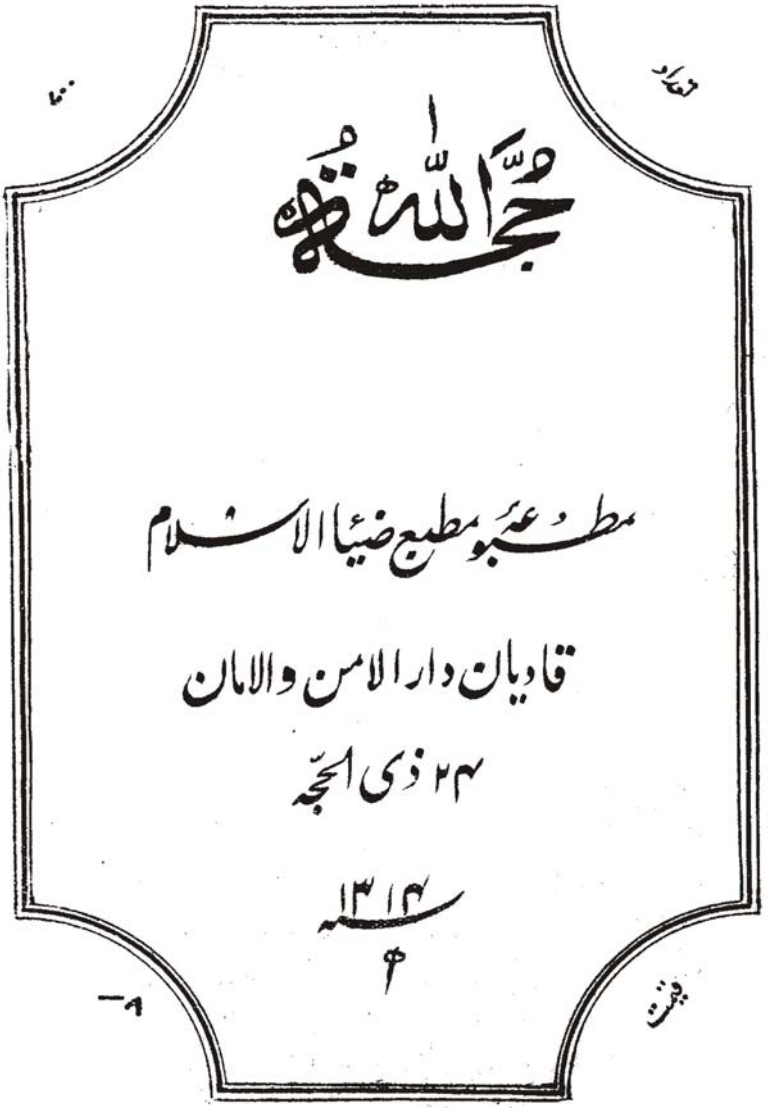


**صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب**

# الإعلان فاسمعوا يا أهل العدوان

أيّها الناظرون! اعلَمُوا، رحِمكم الله ورزَقكم رزقًا حسنًا من التفضّلات الجليّة والألطاف الخفيّة، أن هذه رسالتي قد تمّت بالعناية الإلهيّة محفوفةً بالأسرار الأنيقة الربّانية، ومشتملةً على محاسن الأدب، والمُلَح البيانيّة؛ فكأنّها حديقة مخضرّة، تُغرّد فيها بلابل على دوحة الصفاء، وتُصبي ثمراتها قلوب الأدباء. ومَن أمعنَ فيها بإخلاص النيّة، وصدق الطويّة، فلا شكّ أنه يُقرّ بفصاحة كلماتها، وبراعة عباراتها، ويُقرّ بأنها أعلى وأملح من التدوينات الرسمية، وعليها طلاوة أكثر من المقالات الإنسانية. وأمّا الذي جُبِلَ على سيرة النقمة والعناد، فيجحد بفضلها ويترك متعمّدًا طريق القسط والسَداد، ولو كانت نفسه من المستيقنين. فنحن نُقبِل الآن على زُمر تلك المنكرين، ولقد وعيتَ أسماءهم فيما سَبَقَ مِن ذكر المكفّرين والمكذّبين.. أعني شيخ "البَطالة" وأمثاله من المفسّقين الفاسقين. فليُناضلوني في هذا ولو متظاهرين بأمثالهم، وليبرهنوا على كمالهم، وإلا كشفتُ عن سبّهم وأخزيتهم في أَعين جُهّالهم. ومن يكتب منهم كتابا كمثل هذه الرسالة، إلى ثلاثة أشهر أو إلى الأربعة، فقد كذّبني صدقًا وعدلاً، وأثبتَ أني لستُ من الحضرة الأحدية. فهل في الحيّ حيٌّ يقضي هذه الخطّة، ويُنجّي مِن التفرقة الأُمّةَ؟ وليستظهرْ بالأدباء إن كان جاهلا لا يعرف طرق الإنشاء، وليعلم أنه من المغلوبين. وسيذهب الله

ببصره ببرق من السماء، فيُعْشِيه كما يُعشِي الهجيرُ عينَ الحِرباء، ويُطفئ وطيسَ المفترين.

أيها المكذّبون الكذّابون! ما لكم لا تجيئون ولا تناضلون، وتدعون ثم لا تُبارِزون؟ ويلٌ لكم ولما تفعلون يا معشر الجاهلين!

المُعْلِن

غلام أحمد القادياني

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

# ضميمةُ "حُجّة الله"

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

## قُتِل الإنسان ما أكفرَه

أيها الناظرون، والأدباء المنقّدون! أنتم تعلمون أني كتبتُ من قبل هذا كتبًا في العربية، وزيّنتُها كالبيوت المشيّدة المزدانة، ورأيتم أنها تحاكي الدُرر العمّانية، وتحاسي الدِرَرَ العرفانيّة. وكنتُ أتوقع أنّ العلماء يعُدّونها من الآيات، ويعقدون لِزَوْري حُبُكَ النِّطاق بصحّة النيّات، وما زِلْتُ أسلّي بالي بهذا الأمل، حتى وجدتُهم فاسدَ النيّة والعمل، وبدا أن فراستي قد أخطأتْ، وأعين العلماء ما انفتحت، وتراءى اليأسُ وآثارُ الرجاء انقطعتْ، وبلغ الأمر إلى حدٍّ أنّ الشيخ الذي هو للطالبين كسَدٍّ زرَى على مقالي، وتكلّم في أقوالي، وقال إنْ هو إلا قول رقيق وما هو بكلام جزلٍ، بل كسقطٍ وهزلٍ، وليس من غرر البيان، ولا من محاسن الكنايات والتبيان. وكل ما رصّعتُ في كتبي من الجواهر العربية، والنوادر الأدبية، واللطائف البيانية، والنكات المبتكَرة المصبية، أراد المفسدُ المذكور أن يُطفئ نورها، ويمنع ظهورها، ويجعل الناس من المنكرين أو المرتابين. ومع ذلك ادّعى أنه في الأدب رحيب الباع، خصيب الرباع، ومن المتفرّدين. وكذلك خدَع الناس بتلبيساته، وأضحك الأطفال بخزعبيلاته، وجاء بزُور مبين. وجئنا بلولوءٍ رَطْبٍ فما استجاد، ونفَضنا عليه عجماتٍ

فما استحلى ثمارَنا وما أرَى الوداد، بل زاد بُخلاً وعنادًا كالمستكبرين. وقال إن كُتب هذا الرجل مملوّة من الأغلاط والأغلوطات، ومُبعَّدة من لطائف الأدب ومُلح المحاورات، وليست كماء مَعين. فما حَكَمَ بما وجب، بل أخفى الحق ومنع وحجب، وتصدّى لخدع العوام بعد ما شُغف بالكلام. وكان يعلم أنّ كتم الشهادة مأثمة، وتكذيب الصادق معصية، ولكنه آثر الدنيا على الآخرة، والنفسَ الأمّارة على الحضرة الأحدية. وأراد الله أن يرفعه فأخلدَ إلى الأرض كالفاسقين. وليس في نفسه جوهر من غير تصلّف كالنسوان، وخدع الناس بتزويق اللسان، وإنّه من المزوّرين. يريد أنً يُطفئ نورًا، ظلما وزورًا، ويزيد الناس رهقًا وكفورًا، ويصرف عن الحق قومًا جاهلين. ووالله إنه لا يعلم ما البلاغة وأفنانها، وكيف يحق أداؤها وبيانها، وما وصل مقامًا من مقامات فهم الكلام، وإن هو كالأنعام، ومن المحرومين.

**فالأمر** الذي يُنجّي الناس من غوائل تزويراته، وهباء مقالاته، أن نعرض عليه كلامًا منّا وكلامًا آخر من بعض العرب العرباء، ونلبس عليه اسمنا واسم تلك الأدباء، ثم نقول أَنْبِئْنا بقولنا وقول هؤلاء، إن كنت في زرايتك من الصادقين. فإن عرفَ قولي وقولهم وأصاب فيما نوَى، وفرّق كفلق الحبّ من النوى، فنعطيه **خمسين رُوفية** صِلةً منّا أو غرامةً، ونحسب منه ذلك كرامةً، ونعُدّه من الأدباء الفاضلين،

ونقبل أنه كان فيما زرَى من الصادقين. فإن كان راضيا بهذا الاختبار، ومتصدّيًا لهذا المضمار، فليُخبرْنا بنيّة صالحة كالأبرار، وليُشعِْ هذا العزم في الجرائد والأخبار، كأهل الحق واليقين.

وأمّا أنا فبعد اطّلاعي على ذلك الاشتهار، سأرسل إليه أوراقا للاختبار، ليحكم الله بيني وبين هذا الكَفّار، وهو أحكم الحاكمين. وإني أرى مُذ أعوام، أنّ هذا الرجل لا يمتنع من الهذيان، ولا يتّقي أَخْذَ الله الديّان، فألجأني بخله إلى هذا الامتحان. فإن جاء المضمارَ وأثبت ما ادّعى، ومازَ كَلِمي من كلمات أخرى، فله ما سمع منّا ووعَى، وإن شمّر ذيله وانثنَى، وما طالَبنا ما وَعَدْنا وما انبرى، بل انساب ودخل جُحْره وانزوى، وما ترك التكذيب وما انتهى، فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيى، والسلام على من اتّبع الهدى.

**المُعْلِن**

**مِيرزا غلام أحمد القادياني**

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعَلني مَظهَرَ الآيات، وصيَّرني ظلَّ سيّدِ الكائنات، وجعل اسمي كاسمه بأنواع التفضّلات، فأتمّ النعم عليّ لأحمَدَه وأكون له أحمَدَ تحت السماوات، ونضَّر بي إيمان الناس ليُحمّدوني وأكون مُحمَّدًا بين المخلوقات. فأنا أحمَدُ وأنا محمَّد كما جاء في الروايات، وأُعطيتُ حقيقةَ اسمَيْ نبيِّنا فخرِ الموجودات، كانعكاس الصُوَر في المرآة، فنصلِّي ونسلِّم على هذا النبي الأمّيّ الذي تنعكس أنواره في الصالحين والصالحات، وتُفتَح باسمه أبواب البركات، وتتم بنوره **حجّة الله** على الكافرين والكافرات؛ وعلى آله الطاهرين والطاهرات، وأصحابه المحبوبين والمحبوبات، وجميع عباد الله الصالحين.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الطالبون، والأخيار المسترشدون، أن الله أتم حجّتي على الأعداء، وأرَى لي الخوارق وأسبغَ من العطاء، ورأيتم كيف نزلت الآيات من السماء، وكيف فُتِحت الأبواب للطلباء، ثم الذين بخلوا يُنكرونني لاعنين، ويتركون الديانةَ والدين. جرّدوا من غير حقّ سيفَ العدوان، وشهّروا حُسام السبّ والطغيان، وما كانوا منتهين. إنهم يؤذونني ويسبّونني ويكفّرونني، ولا أعلم لِمَ يُكفّرونني. أيكفّرون رجلا يقول إني من المسلمين؟ يُصرّون على سبل الضلال والنكوب، فأين خوف الله وتقوى القلوب، وأين سِيَر الصالحين؟ أما

جاءهم الآيات؟ أما ظهرت البيّنات؟ أما حصحص الحق ورُفع الشبهات؟ أفتَعاهدوا على أنهم لا يرجعون إلى حقّ مبين؟ أو تقاسموا على أنهم يُصرّون على تكذيبٍ وتوهينٍ؟ أيُخوّفونني بالسبّ والشتم والتكفير، ويتربصون بي الدوائر بالحيلِ والتدابير؟ والله يعلم كيد الخائنين. إنه يعلم ما في نفسي ونفسهم، وإنه لا يُحب المفسدين. وإني عنده مكين أمين، وإن بيني وبينه سرّ لا يعلمه إلا هو، فويلٌ للمعتدين. أتحسب الأعداءُ أن العداوة خيرٌ لهم، بل هي شرّ لهم، لو كانوا متفكّرين. أيظنّون أنهم يهدّون ما بنتْه أنامل الرحمن؟ أو يجوحون ما غرسته أيدي الله ذي المجد والسلطان؟ كلا.. بل إنهم من المفتونين.

يا معشر الجهلاء والسفهاء.. وزُمر الأعداء والأشقياء! أأنتم تطفئون نور حضرة الكبرياء، أو تدوسون الصادقين؟ اتّقوا الله، ثم اتّقوا إن كنتم عاقلين. أيها الناس.. فارقِوا فُرُشَ الكَرَى، فإن الوقت قد دنَا، وإنّ أمر الله أتَى، وإنّه يريد ليُحيي الموتى. فهل تريدون حياة لا نزع بعده ولا رَدَى؟ وهل تحبّون أن يرضَى عنكم ربكم الأعلَى، أو تُصعّرون خدَّكم مُعرضين؟

واعلموا أني أُعطِيتُ **قميصَ الخلافة**، وتسربلتُ لباسها من حضرة العزّة، فارحموا أنفسكم ولا تعتدوا كل الاعتداء، ألا ترون إلى ما تنـــزل من السماء، أما بقي فيكم رجل من المتّقين؟ ولو كان هذا الأمر من غير الرحمن، لمزّقه الله قبل تمزيقكم يا أهل العدوان.

انظروا كيف عَنِتُّم بل مُتُّم في جُهد الصباح والمساء، ومددتم إلى الله يد المسألة والدعاء، فرُدِدْتم مخذولين في الحافرة، وما حصل إلا إضاعة الوقت وزفرات الحسرة. فما لكم لا تتفكّرون في أقدار تنـــزل، ولا ترغبون في أنوار تُستكمل، أهذا فعل الإنسان؟ أهذا من الكاذب الدجّال الشيطان؟ فلا تُهلكوا أنفسكم بجهلات اللسان، واستعينوا متضرّعين.

يا حسرة عليكم! إنّكم لا تنظرون متوسّمين، وإذا نظرتم نظرتم لاعبين، ولا تُمعِنون خاشعين. أتُترَكون في هذا اللهو واللعب، ولا تُقادون إلى نارٍ ذات اللهب، ولا تُسألون عمّا عملتم مستكبرين؟ لا تُلْهِكم أموالكُم وأولادكم، فإن الحِمام ميعادكم، ثم قهرُ الله يصطادكم، وأين المفرّ من ربّ السماوات والأرضين؟

وقد رأيتم آية الكسوف فنسيتموها، ثم رأيتم آية الله في "آتم"⊙

---

⊙ *هو القس عبد الله آتهم، كان مسلما ثم ارتدّ وتنصّر وأصبح نشيطا في نشر المسيحية. كان شغله الشاغل الإساءة إلى الإسلام ونبيه ﷺ، حتى سمّى نبّينا المصطفى ﷺ دجالا- والعياذ بالله. فتحداه المسيح الموعود عليه السلام وخاض معه في ١٨٩٣م بمدينة أمرتسر الهندية في مناظرة استمرت خمسة عشر يوما. وأعلن حضرته عليه السلام عند نهاية المناظرة أن الله تعالى أنبأه بأن آتهم سيُلقى في الهاوية في خمسة عشر شهرا إلا أن يتوب. فارتعب من هذه النبوءة وامتنع نهائيا من الهجوم على الإسلام قلمًا ولسانًا. عندها ألهم الله تعالى إلى المسيح الموعود عليه السلام: "اطلع الله على همه وغمه" .. أي حين لاحظ الله خوفه وامتناعه عن الهجوم على الإسلام أنقذه من الهلاك. فأثار القساوسة والمشايخ ضجة أن النبوءة لم تتحقق. عندئذ طلب منه حضرة المسيح الموعود عليه السلام أن يعلن أنه لم يَخَفْ ولم يرتعب من النبوءة ووعده*

فكذّبتموها، وتجلّت لكم آية موت "أحمد بيك" فما قبلتموها، وقرأتم كتبَ بلاغةٍ رائعة فيها آية فصاحة معجبة، فكأنكم ما قرأتموها، وظهرت في ندوة المذاهب* آياتٌ فنبذتموها، وقد كانت معها أنباء الغيب فما باليتموها، وكأيّنْ من آياتٍ شاهدتموها، فكأنّكم ما شاهدتموها، وكم من عجائب آنستموها، فما ظلّت لها أعناقكم خاضعين. والآن أشرقتْ آية في "عِجل جسد له خُوار"◈، فهل فيكم من يقبلها كالأحرار، أو تولّون مُدبرين؟

وتقولون إنّ "آتم" ما مات في الميعاد، وتعلمون أنه خاف فيه قهر رب العباد. ففكّروا ألم يجِبْ أن تُرْعَى شريطة الإلهام، ويؤخَّر أجله إلى يوم يُنكِر كاللئام؟ وقد سمعتم أنه ما تألّى إذا دُعِيَ للإقسام، وما ذهب مستغيثا إلى الحكّام، فانظروا.. أما تحقّقَ كذبه؟ أما بلغ الأمر

---

*بجائزة أيضا إذا حلف، لكنه لم يتجرأ عليه، وهكذا كتم الحق. فأخبر الله المسيح الموعود عليه السلام أنه سيَهلك قريبا جدا. فمات بعد مدة وجيزة من نشر النبوءة الأخيرة. (الناشر)*

* *يشير حضرته عليه السلام إلى المؤتمر الأعظم للأديان الذي عُقد في لاهور أيام ٢٦ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٨٩٦م، واشترك فيه ممثّلو شتى الأديان، وصار مقاله عليه السلام فيه غالبًا على كل مقال آخر، مؤكدًا غلبة الإسلام على باقي الأديان، وذلك باعتراف الأصدقاء والأعداء. (الناشر)*

◈ *هذا الإلهام تلقاه المسيح الموعود عليه السلام عن هندوسي يدعى "ليكهرام البشاوري". كان "ليكهرام" سليط اللسان بذيء الكلام يعادي الإسلام عداء شديدًا ويسبّ النبي ﷺ سبًّا فاحشًا. وقد هلك بدعاء المسيح الموعود عليه السلام عليه في السادس من آذار/ مارس عام ١٨٩٧م، ولم يُعثر على قاتله، فكانت آيةً بينة على صدق الإسلام. وسيأتي ذكره في الكتاب بشيء من التفصيل. (الناشر)*

إلى الإفحام؟ إنّه زجّى الزمانَ في صمتٍ وسكوت، وأتمّ الميعاد كمضطرب مبهوت، وألقى نفسه في متاعب وشوائب، وتراءى مُنكسرًا كأنّه رأَى نوائب، وما تفوّه بكلمة يخالف الإسلام، حتى أكمل الأيام. فهذه القرائن تحكم ببداهةٍ أنه خشِي عظمة الإسلام بكمال خشية، وكان من قبل يُجادل المسلمين، ويُخاصم كالمؤذيين، وأمّا بعد نبأ الإلهام، فامتنع من النـــزاع والخصام، وصار كقلمٍ رديّ، وسيف صديّ، وجَهِلَ أوصافَ المَصافّ وأخلافَ الخلاف، وكنتُ أعطيه أربعة آلاف، إذا قمت لإحلاف، فما تألّى، بل ولّى؛ فانظروا.. أهذه علامة الصادقين؟ ثم إذا انقضت أشهر الميعاد، فقسّى قلبه ورجع إلى الإنكار والعناد، فلذلك مات بعد ما أنكر وأبى، ولو أنكر في الميعاد لمات فيها وفنَى. فلا شك أن هذا النبأ سوّد وجوه المنكرين، و**أرغَمَ** مَعاطِسَ المكذّبين، وإنّ فيه آيات للطالبين، وإنّه مكتوب في كتابي "البراهين"، وإنه يوجد في أخبار خاتم النبيين، **فآمنوا به إن كنتم مؤمنين.**

ومن آياتي أنّ الأحرار نافسوا في مُصافاتي، وآثروا لعن الخَلق لموالاتي، وتركوا أنفسهم لنفائس نكاتي، وصَبَوا إلى رؤيتي وجاءوا تحت راياتي، إنّ في ذلك لآيات للمتدبّرين.

ومن آياتي أن العدا رغبوا عن معارضتي، بعد ما رأوا عارضتي، ووَجَدوا كالبخيل القالي، بعد ما وجدوا عذوبة مقالي، وأَلِفوا

بالحسد كاللئام، بعد ما أَلْفَوا دُرَرَ الكلام، إنّ في ذلك لآيات للمتعمّقين.

ومن آياتي أني لبثتُ على ذلك عُمُرًا من الزمان، ولا يُمهَل مَن افترى على الله الديّان، إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين.

ومن آياتي أنّي أُعطيتُ عقيدةً يدرَأ عن الطالب كلَّ شبهة، ويكشف عن بيضة السرّ مُحَّ حقيقة، إنّ في ذلك لآيات للمستبصرين.

ومن آياتي أن الزمان نُظِمَ لي في سِلك الرفاق، وأُنْشِئَ المناسباتُ في الأنفس والآفاق، وكذلك أُرسِلتُ عند خفوق راية الإخفاق، إنّ في ذلك لآيات للمتفرّسين.

ومن آياتي أن الله شحّذ سيف بياني، وأرى جواهره بغِرارِ بُرهاني، إنّ في ذلك لآيات للناظرين.

ومن آياتي أن الحقّ ما استسرَّ عني حينًا، وجُعِل قلبي له عَرِينًا، وجُعلتُ له مُجدِّدًا مُبينًا، إنّ في ذلك لآيات للمتأمّلين.

أيها الناس.. قد جاءكم لطفُ ربّ العباد، وتعهَّدَكم فضله تعهُّد العِهاد، عند إمحال البلاد، فلا تردّوا نعم الله إن كنتم شاكرين. أأنتم تهدّون ما شاد، أو تمنعون ما أراد؟ وقد رأيتم أنكم لم تستطيعوا أن تأتوا بكلامٍ من مثل كلامي، حتى سكتّم وصمتّم متندّمين من إفحامي. وأشيع الكتب المملوّة بالنكات النُخَب، ولطائف النظم وبدائع النثر ومحاسن الأدب، فما كان جوابكم إلا أن قلتم إنها من

قوم آخرين. فانظروا كيف عجزتم ثم صُرفتْ قلوبكم عن الحق فصرتم قومًا عمين. حتى إذا احتدّ منكم الحِجاج، وامتدّ اللَجاج، ونبَح النجفيّ والغزنويّ، وقالا إنه جاهل غويّ، كتبتُ رسالتي هذه لتكون حُجّة على المفترين، وليفتح الله بيني وبينكم وهو خير الفاتحين.

وقال الذي آذاني من جماعةِ عبد الجبّار، إن هذا دجّال وأكفر الكفّار، وجاهل لا يعلم العربيّة ولا شيئا من النكات والأسرار، وأعانه عليه قوم من العلماء المتبحّرين. وكذلك ظنَّ النجفيّ، فانظرْ كيف تشابهت قلوب المعتدين. وما أثبتَ أحدٌ منهم أنهم أُرضعوا ثدي الأدب، أو أُعطوا من العلوم النخب، وما جاءوني بالدبيب ولا بالخبيب، بل تكلّموا كالنساء متستّرين. وما أنكروا بصحّة النيّة، بل كبخيل خاطبِ الدنيا الدنيّة. ونبّههم الله فما تنبّهوا، وأيقظتهم الآيات فما استيقظوا. ألم يروا آية كبرى، إذ أهراقَ قاتلٌ دمًا وأولغَ فيه المُدَى؟ وكان المقتول "آرية" خبيثا ومن العدا. فأبكى الله مَن سخِر من الدين وسبّ وهجا، وألقاه في عذاب لا يتقضّى، ونارٍ لا يموت فيها ولا يحيى، وضيَّع كل ما صنع وهدّم كل ما علا، إنَّ في ذلك لآيات لأولي النهى. وكان نبأ "آتم" يَحكِي السُها، بما خفِي من أعين العُمي وما تجلّى، فألقت هذه الأياةُ عليه رداءها، فأشرقا كشمس الضحى، وأضاءا عقول العاقلين وجذبا إلى الحق من أتى.

وهذه آية عذراء، وشمس بيضاء، فليهتدِ من شاء، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنها تشفي النفس، وتنفي اللبس، وتوضح المُعمَّى، وتكشف السر عن ساقه والغُمَّى، وتُتمّ الحجّة على المجرمين.

فيا حسرة على المخالفين! إنهم يتركون أحكم الحاكمين. فكأنّ الله شرّقَ وهم غرّبوا، ودعا لجمع الثمار وهم احتطبوا، وأمر أن يؤتوني عَذْبًا فعذَّبوا، وما اجتنبوا الأذى بل كادوا أن يُجنِّبوا، فردّ الله نيّاتهم عليهم فانقلبوا مخذولين.

ومنهم رجل من الغزني يسمّونه عبد الحق، وإنه سبّ وشتَم ووثَب سفاهةً كالبقّ. وإنه فُوَيسقةٌ يُذعِر الأسودَ في جُحره بالغقّ. وإنّ الخنّاس زقَّه فبالغَ في الزقّ. وإنه كذّب آية الكسوف كما كُذِّبَ من قبل آيةُ القمر المنشق. إن الشيطان لقَّ عينَه فذهب ببصره باللقّ. وما نَقَّ إلاّ كدجاجة فنذبحه بمُدَى الحق، ونُريه جزاء النقّ، فما ينجو منّا بالهرب والهقّ، ولا ينفعه كيد الكائدين. وإنّه أرسل إليّ كتابه المملوّ من السبّ والتكفير، وخدع الناس بأنواع الدقارير، وذكر فيه كتابي وهدَى، وقال أهذا من هذا؟ كلا بل إنه من النُوكَى، ولا يكاد يُبين. وخاطبني وادّعى كعارف الحقيقة، وقال إنك لست مؤلّف هذه الكتب الأنيقة، ولا أبا عُذر تلك الرسائل الرشيقة، والنكات الدقيقة العميقة، بل استمليتَها من رجال هذه الصناعة، ثم عزوتَها إلى نفسك لتُحمَد بالفضل والبراعة، وإنّا نعرف مبلغ علمك وما كنّا غافلين.

وشابَهَه في قوله شيخ طويل اللسان، كثير الهذيان، وزعم أنه من فضلاء الزمان، وأنه نَجَفيٌّ ومن المتشيّعين. وإنه أرسل إليّ مكتوبه في العربية، ليخدع الناس بالكلم الملفّقة، ولتعظّمه قلوب العامة وليستميل إليه زُمرَ الجاهلين. وما كان قوله إلا فُضلة قول الفضلاء، وعَذِرةُ كلمتهم العذراء. فالعجب من جهله، إنه ما خاف إزراء القادحين، ووقف موقف مندمة، وما أرى الوجه كالمتندّمين. بل إنه مع ذلك بلّغ السبّ والشتم إلى الكمال، وما غادر سبًّا إلا كتبه كالسفيه الرزال، ولا يعلم ما الإيمان وما شيَم المؤمنين. ومثل قلبه المنقبض كمثل يومٍ جوُّه مُزْمَهِرٌّ ودَجْنُه مُكفهِرٌّ، عاري الجِلدة، بادي الجُردة، شقيٌّ خسِرٍ في الدنيا والدين. يسُبّني ويشتمني بطغواه، ولا ينظر إلى مآل سابٍّ من "الآرية" ومأواه، وإن السعيد من اتّعظ بسواه. وأنّى له الرشد والهدى، وإنه لا يعلم ما التُّقى، ولا الأدب المنتقَى، وإنه سلك سُبل الهالكين. لا يُبالي الحشر وأهواله، ولا قَهْرَ الله ونكاله، وكل ما كتب فليس إلا ككيدٍ، أو أحبولة صيد، أراد أن يفتن قلوب الجماعة، بافتنانه في البراعةً، وأرعفَ كفُّه اليَراعَ، ليُرِيَ السفهاء البَعاعَ، ولكنه هتك أستاره، وأرى في كل قدمٍ عثاره، وأفضى في حديث يُفضِحه، ودخل نارًا تلفَحه، فمثله كمثل رجل شهّر خزيَه بدفّه، أو جدَع مارنَ أنفه بكفّه، فلحق بالملومين المخذولين. ومع ذلك سبّني ليجير فُقدانَ فضلِ بيانه بفضول لسانه،

وأمّا نحن فلا نتأسّف على ما قلَى وقال، ولا نُطيل فيه المقال، فإنه من قوم تعوّدوا السبّ والانتصاب للإزراءات، وحسبوه لأنفسهم من أعظم الكمالات، فنستكفي بالله الافتنانَ بمفترياته، ونعوذ به من نيّاته وجهلاته، وما نعطف إلى السبّ كما عطف هو من العناد، ونُفوِّض أمرنا إلى رب العباد، وهو أحكم الحاكمين. وكيف يكذّبني مع أنه ما نقض براهيني، وما دوّن كتدوييني، وما تصدّيتُ لدعوى ما كان معه الدلائل، بل عرضتُ دلائل أزيدَ مما يسأل السائل، وما كان كلامي بالغيب بضنين.

وقد ثبت عند جميع الحُكّام، وولاة الأحكام، أن الدعاوي تجب قبولها بعد الأدلّة، كما تجب الأعياد بعد الأهلّة، وكنتُ ادّعيت أني أنا المسيح الموعود، والإمام المهدي المعهود، فأرى الله آياته على ذلك الادّعاء، وسَكَّتَ وبَكَّتَ زُمرَ الأعداء، وأرى آيةً تارةً في زيّ الإيجاد، وأخرى في صورة الإعدام والإفناد، وأعجزَ الأعداءَ مرّة بخوارق الأقوال، وأخرى أخزاهم بعجائب الأفعال. وأيّدني ربي في كل موطن ومقام، وما بقِي دقيقة من تبكيت وإفحام، ومُزِّقوا كل ممزّق من الله مُخزي المفسدين. ثم قيّض قدر الله لنصبهم ووصبهم، أنهم طعنوا في علمي وفخروا ببراعتهم وأدبهم، وكانوا عليها مُصرّين، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

فوالله ما فكّرتُ في الإملاء والإنشاء، وما كنتُ من الأدباء والفصحاء، وما احتاج يَراعي إلى من يُراعي كالرفقاء، بل كنتُ لا

أعلم ما البلاغة والبراعة، ولا أدري كيف تحصل هذه الصناعة. فبينما أنا في حيرة من هذه الإزراء، وقد تواترَ طعنهم كالسفهاء، إذ صُبّ على قلبي نورٌ من السماء، ونزل عليّ شيء كنـــزول الضياء، فصرتُ ذا مَقْوَل جريٍّ، وقولٍ سحبانيّ، فتبارك الله أحسن الخالقين. ولكن ما تسلّتْ به عمايات هذه العلماء، وظنّوا أن رجلا أعانني أو جمعًا من الفضلاء، وأنها ثمرة شجرة الآخرين. ثم بدا لهم أن يُعارضوني مُشافهين، فإذا قمتُ فكأنّهم كانوا من الميّتين. والآن ما بقي في كفّهم إلا الرفث والإيذاء، وكذلك سبَّني النجفيّ وما يدري ما الحياء. ولكنّا لا ندفع السبّ بالسبّ، وما كان لِحَمامٍ أن يُحجِر نفسه كالضبّ، أو كالتنّين. وما نشكوه على ما فعل، ولا نتأسّف على ما افتعل، فإنهم قوم ما عُصم من ألسنهم خاتم النبيين، بل الله الذي هو أحكم الحاكمين، ولا خلفاء نبي الله ولا أمّهات المؤمنين.

ألا ترى كيف ظنّوا ظنّ السوء في حضرة أصدق الصادقين، وكذّبوا نبأ "الاستخلاف" وقالوا إنّ عليًّا من المظلومين، فأرادوا هدم ما شاد الرحمن، وكفروا بما جاء به القرآن، وما هذا إلا ظلم مبين. وقالوا إنّ عليًّا أنفد عمره مُبتلًى بلَقْوَة النفاق، وما خُلِقَ في طينته جرأةُ الصدق وما تفوَّقَ دَرَّ إخلاصِ الأخلاق، وإذا استُخلفَ الكفّارُ فما أبى، بل أطاعهم وعقد لهم مع رفقته الحُبا. أَمَرَ أمرُ الإسلام فآثرَ الإنصات، وأُمِّرَ الفُسّاق فمعهم أكل وبات، وما ذمّهم بل أنشد في

حمدهم الأبيات، وكان هذا خُلقه حتى مات، أهذا هو أسدُ المتشيّعين؟

وقالوا إنه عارضَ أُمَّه الصدّيقةَ، وما بالى الشريعة ولا الطريقة، ولم يكن بَرًّا بوالدته ولا تقيًّا، بل أعقَّ وصار جبّارًا شقيًّا. آثرَ النفاق ولم يصبر على ضرّ ومسغبة، واتّبعَ النفس وترَك التُّقى كأرض مُعطّلة. أسرَّ الغِلَّ ولكن ما نظر بعين غَضْبَى، واختار النفاق في كل قدم وحابَى، سجد لكل مَن تبرّعَ باللُهَى، ولو كان عدوَّ الدين والتُّقى، وإذا عُرِض عليه حُطامٌ فقال لنفسه: ها. وأثنى على الكافرين طمعًا في المَوات، لا خوفا من عقوبات المُوات، وصلّى خلفهم للصلات، لا لبركات الصَلاة. اتّخذَ النفاق شرْعة، والاقتباس منه نُجْعة، وصرف الله عنه المعارف، ولو كان زُمَرٌ من مَعارف. فما بقي معه من سَروات الصحابة ولا سرايا الملّة، حتى رجع مضطرًّا ومخذولاً إلى باب الصدّيق، وكان يعلم أنه كالزنديق، ولكن البطن ألجأه إليه، وما وجد حطبَ تَنُّورِ المَعدة إلا لديه. وإنّ صاحبَه* اغتال بعضَ ولده، فما امتنع من التردد إليه، وفجَعه بالفَدَك فما غارَ عليه، بل كان على بابه كالمعتكفين. وتواترَ عليه جور الشيخَين، حتى جرت عبرة العينَين كالعينَين، فما انتهى من الرجوع إلى هذين الكافرَين، بل أبدى الإطاعة بالنفاق والمَين. اشتدّ عليه غصبهم

* *ورد في الترجمة الأردية تحت هذه الكلمة: أي عمر ﷺ. (الناشر)*

وهبهم حتى صفَرت الراحة، وفُقدت الراحة، فما ترك لُقيّاهم، وما كره رَيّاهم، بل كان يستمرّ على بابهم، ويستمرئ فُضْلةَ أنيابهم، وما باعدَهم كالمستنكفين، بل كان يُخْلِقُ لهم ديباجته، ويعرِض عليهم حاجته، ويدور على أبوابهم كالسائلين الملحفين. وكان عليه أن يترك المدينة وأهلها الكافرين المرتدّين، ولو كانوا من المترَفين والمخصبين، بل كان من الواجب أن يقتعد مَهْرِيّا، ويعتقل سَمْهَرِيّا، ويُهاجر من أرضٍ إلى أرض، ويطلب رفعًا من خفض، ويُنادي بين الناس أن الصحابة ارتدوا كلهم أجمعون، ثم إذا أحسّ الإيمان من قوم فكان عليه أن يُلقي بأرضهم جِرانه، ويتخذهم جيرانه، ويجعلهم لنفسه معاونين، ويقتل أهلَ المدينة كلهم إن لم يكونوا مسلمين. فكيف تمضمضت مُقلته بنومها، وكان يرى الملّة قد اكفهرّ وجه يومها، وأمحلتْ بلاد الإيمان والمؤمنين. لِمَ لم يُهاجر ولم يلق نفسه في أرجاء آخرين، وكان أُعطِيَ منطق البلاغة، وكان يُزيِّن الكلمَ ويلوّنها كالدباغة، فما نزل عليه لَمْ يستعمل في استمالة الناس صناعته، وما أرى في الإصباء براعته، بل تمايلَ كل التمايل على النفاق والتقيّة، وحسبه للعدا كالرقية؟ أهذا فعلُ **أسد الله؟ كلاّ!** بل هو افتراؤكم يا معشر الكذّابين. إنه كان حاز من الفضائل مغنما، وكان بقوى الإيمان تَوْأمًا، فما اختار نفاقًا أينما انبعث، وما نافق في كل ما فعل ونفث، وما كان من المرائين. فلما نضنضتم في شأنه نضنضة الصلّ،

وحملقتم إليه حملقة البازي المطلّ، مع دعاوي الحب والمصافاة، فكيف تقصّرون في غيره مع جذبات المعاداة؟

وكذلك استحقرتم خاتم الأنبياء، وقلتم دُفن معه الكافران من الأشقياء، يمينا وشمالا كالإخوان والأبناء. فانظروا إلى توهينكم يا معشر المجترئين. ونحن نستفسر منك أيها النجفيّ الضال، فأجب متحملا ولا يكبر عليك السؤال: أترضى أن تُدفَن أُمُّك المتوفّاة بين البغيتين الزانيتين الميّتين؟ أو يُقبَر أبوك في قبر المجذومَين الفاسقين؟ فإن كرهتَ فكيف رضيتَ بأن يُدفَن سيّد الكونَين بين جنبي الكافرَين الملعونَين؟ ولا يعصمه فضل الله من جوار الجارَين الجائرَين الخبيثَين؟ والكفر أكبر من الزنا وأشنع عند ذوي العينين. ففكّرْ كيف تحقّرون خاتم النبيين، وتسوّغون له مكروهات لا تسوّغون لأنفسكم ولا بنات وأمّهات ولا بنين.

تبًّا لكم ولما تعتقدون يا حُماةَ الفسق والمَيْن. بل دُفن بجوار رسول الله رجلان كانا صالحَين مطهّرَين مقرّبَين طيّبَين، وجعلهما الله رفقاء رسوله في الحياة وبعد الحَيْن، فالرفاقة هذه الرفاقة وقلَّ نظيره في الثقَلَين. فطوبى لهما أنهما معه عاشا، وفي مدينته وفي مأواه استُخلِفا، وفي حُجر روضته دُفِنا، ومِن جنّة مزاره أُدْنِيا، ومعه يُبعثان في يوم الدين.

وانظرْ إلى عليّ أنه إذا أُعطِيَ منصب الخلافة، فما بعَّد تربةَ هذين الإمامَيْن مِن روضة خير البريّة. فإن كان يزعم أنهما ليسا

مؤمنَيْن طيّبَيْن، فكيف ترَكهما و لم يُنـــزِّه قبر رسول الله عن هذين القبرين؟ فالذنب كل الذنب على عنق ابن أبي طالب، كأنه لم يبال عِرض رسول الله مِن نفاق غالب، وما أرى الصدق كالمخلصين. **أهذا** أسد الله وضرغام الدين؟ **أهذا** هو الذي يُحسَب من أكابر المتّقين؟

**فاعلموا** أن تُقاةَ عليّ لا تثبت إلا بعد تقاة الصدّيق، ففكِّرْ ولا تعتد كالزنديق، ولا تُلق بأيديك إلى حفرة الهالكين. وإنكم تحبّون أن تُدفَنوا في أرض الكربلاء، وتظنّون أنكم تُغفَرون بمجاورة الأتقياء، فما ظنّكم بالسعيدَيْن اللذين دُفِنا إلى جنبَيْ نَبِيْه القدر خاتم النبيين وإمام المتقين وسيّد الشافعين؟ ويل لكم لا تتفكّرون كالخاشعين، ولا يسفر عنكم زحام التعصّبات، ولا تُعطَون حسن التوفيقات، ولا تُمعِنون كالمستبصرين. وكيف نشكوكم على سبّكم وإنكم تلعنون الصحابة كلهم إلا قليلا كالمعدومين، وتلعنون أزواج رسول الله أمّهات المؤمنين، وتحسبون كتاب الله كلاما زِيْدَ عليه ونقص، وتقولون إنه بياض عثمان وأنه ليس من رب العالمين. فلعَنكم الله بفسقكم وصرتم قومًا عمين. وحسبتم الإسلام كواد غير ذي زرع خاليا من رجال الله المقرّبين. فأيُّ عِرض بقي مِن أيديكم يا معشر المسرفين؟

وأَرَيتُم تصوير عليّ كأنه أجبن الناس، وأطوع للخنّاس. اعتلق

بأهداب الكافرين اعتلاق الحرباء بالأعواد، وآثر نار النفاق ليفيض عليه عُباب المراد. أخزى نفسه بتنافي قوله وفعله، ورضي بشيء لم يكن من أهله. وحمد الكافرين في المحافل، وأثنى عليهم في المجامع والقوافل، وحضر جنابهم وما ترك الطمع، حتى انزوى التأميل وانقمع، فما آووا لمَفاقره، وما فرحوا بمحامد أُترعتْ في فقره، بل اغتصبوا حديقة فَدَكه، وقاموا لفتكه، وما أبرزوا له دينارًا، ليُطعِم بطنًا أمّارًا، وما كانوا راحمين. وما نزلت عليه من السماء مائدة، وما ظهرت من الخَلق فائدة، وديسَ تحت أقدام الجائرين. وكان لم يزل يدعو ويفتكر، ويصوغ ويكسر، ولم يكن من الفائزين. إلى أن انقطعت الحِيَل وركد النسيم، وحصحص التسليم، فخرَّ تقيةً على بابهم، وطلب القوت من جنابهم، وهم كانوا مستكبرين. وغُلّقتْ عليه أبواب إجابة الدعاء، وسُدّتْ طرق الحيل والاهتداء. فانظرْ.. أهذه علامات عباد الله المؤيَّدين، وأمارات الصادقين المقبولين، وآثار المخلصين المتوكّلين؟ ثم انظرْ كيف حقّرتم شأن المرتضى الذي كان من المحبوبين الموفّقين؟

وأمّا ما طلبتَ مني آية من الآيات، فانظُرْ كيف أراك الله أجلَّ الكرامات، وهو أني كنتُ دعوت على رجل مفسد مُغْوٍ كالشيطان، وتضرّعتُ في الحضرة ليذيقه جزاء العدوان، فأخبرني ربّي أنه سيُقتَل ويُبعَّد من الإخوان، وكان اسمه "ليكهرام" وكان من البراهمة، وكان معتديا في السبّ والشتم وجاوز الحد في الخباثة. فلما دعوتُ عليه

وتضرّعتُ في حضرة الباري، وأقبلت كل الإقبال على جبّاري، سُمِع دعائي في الحضرة، ومَنّ عليّ ربّي بالرحمة والنصرة، وبشّرني ربي بأنه يموت في ستّ سنة، في يوم دنا من يوم العيد بلا تفاوت، وأوماً إلى ليلةِ يومِ الأحد، وإلى أنه يُقتَل بحكم الربّ الصمد، ولا يموت بمرضة، ويموت بقتلٍ مهيب مع حسرة، ليكون آية للطالبين. فلما انقضى من الميعاد قريبا من خمسة أعوام، واطمأن الهالك وزعم أن النبأ كان كأوهام، نزل أمر الله عليه وأتى بفتح مبين. **ففرحتُ** فرحةَ المطلَق من الإسار، وهزّةَ الناجي من حفرة التبار. وقبل أن يأتيني أحد بفصٍّ خبر وفاته، بشّرني ربي بمماته، وكنتُ أفكّر في هذه البشارات، فإذا عبد الله جاء بالتبشيرات، وحصحص الحق وزهق الباطل وقُضِيَ الأمر من رب الكائنات، وفرح المؤمنون كما وُعد من قبل واسودّ وجوه أهل المعاداة، وظهر أمر الله وهم كانوا كارهين. وكان هذا الرجل وقاحا طويل اللسان، كثير السب والهذيان، طلب مني آية ملحِّحًا في طلبه، وشرط لي أن أصرّح الميعاد في عُلَبِه، وأُصرّح يوم موته، مع إظهار شهر فوته، وأبيّن كيفية وفاته، ووقت مماته، وكتب كلها ثم طالب كالمصرّين. فلبّيتُه ممتطيا شِملّةَ عناية الرحمن، ومنتضيا سيف قهر الديّان. وكنت لفرط اللهج بظهور الآية، والطمعِ في إعلاء كلمة الملّة، أجاهد في الحضرة الأحدية، وأصرف في الدعاء ما جلّ وعظُم من القوّة، ثم تركت

الدعاء بعد نزول السكينة، وتواتُر الوحي الدالّ على الإجابة. فلما انقضى أربع سنة من الميعاد، ودنا منّا عيد من الأعياد، أُلقيَ في نفسي أن أتوجّه مرّة ثانية إلى الدعاء، وكذلك أشار بعض الأصدقاء. فصبرت أنتظر الوقت والمحلَّ، وأتعلل بعسى ولعلَّ، **إلى أن أدركتُ ليلة القدر** في أواخر رمضان، فعرفتُ أن الوقت قد حان، ورأيت ليلةً نشرت أردية الاستجابة، ودعت الداعين إلى المأدبة، ونادت كل من خاف نابَ النُوَب، وبشّرت كل من أسلمه اليأس للكرب. فنهضتُ للدعاء نهوض البطل للبِراز، وأَصْلَتُّ لسان التضرّع كالعَضْب الجُراز، حتى أحلَّني التذلل مقعد العلاء، وبُشّرتُ بالإجابة من حضرة الكبرياء. فجلستُ كرجل يرجع برُدْنٍ ملآن، وقلب جَذْلان، وسجدتُ لربّ يُجيب دعاء المضطرين. وكان في هذه الآية إعلاءُ كلمة الملّة، وإتمامُ الحجّة على الكَفَرة الفَجَرة، ولكن الذين ملكوا أثاث عقل صغير، واتّسموا بحمق شهير، ما آمنوا بهذه البيّنات، وتركوا النور واتّبعوا سبل الظلمات، وجحدوا بآيات الله ظلمًا وزورًا، وكانوا قومًا بُورًا، ومن المستكبرين.

ويقولون إنّا نحن المسلمون! وليس فيهم سِيَر المسلمين. في قلوبهم مرض فيزيد الله مرضهم ويموتون محجوبين، إلاّ قليل منهم فإنهم من الراجعين. ويبغون عَرَض الدنيا وعِرضها ولا يتّقون الله رب العالمين. فسيُضرَب عليهم الذلّة ويُمْسُون أخا عَيلة، يسألون الناس ولا يملكون بِيْتَ ليلةٍ، كذلك يجزي الله الفاسقين.

وإذا قيل لهم آمِنوا بما أنزل الله من الآيات، قالوا لن نؤمن ولو كان إحياءُ الأموات، وطَبَع الله على قلوبهم بما كانوا مفترين. وكانوا يستفتحون مِن قبل، فلما جاءهم الفتح وصاب النبل، أعرضوا عنه، فويل للمعرضين. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فما بالهم إذا ماتوا ظالمين. أَبَقِيَ في كنانتهم مرماة، أو في قلوبهم مماراة؟ كلا.. بل مزّقهم الله كل ممزّق فلا يتحرّكون إلا كالمذبوحين. ألا يرون كيف يُفحَمون الفينة بعد الفينة، ويُخزَون كل عام مع رقصهم كالقينة، وتراءت سُحُبُهم جَهاما، ونُخُبُهم لئاما، ولمعانُهم ظلاما، وجَنانهم عَباما، فأيّ آيه بعده يؤمنون؟ أما أحلّني ربي محلَّ مَن يبلغ قصوى الطلب، ونقلني مِن وَقْدِ الكُرب إلى رَوح الطَرب، وأيّدني وأعانني، وأهان كل من أهانني، وأراني العيد، ووفّى المواعيد، وأرى الفتح كل مَن فتَح العين، وطوَى قصة كيف وأين، وأتمّ الحجّة على المنكرين.

فالحمد لله الذي كفاني من غير تدبيري، وجعل لي فرقانا وفرّق بين قبيلي ودبيري. وكنتم لا تُصْغُون إلى العظات، ولا تحفظونها بل تؤذون بالكلم المحفظات، فدقَّ الله رأسكم بالآيات، وجاءكم سُلطانه بالرايات، وأَدّبكم بالزجر والغضب، لتأخذوا نفوسكم بهذا الأدب. فلا تستنّوا استنان الجياد، وفكِّروا في فعل ربّ العباد، لعلكم تُعصَمون كالراشدين. ما لكم تتكايدكم كلماتُ الحق والصواب، وتميلون من اليقين إلى الارتياب، ولا تتركون سبل المجرمين؟

وانظروا إلى آيات رأيتموها، وخوارق شاهدتموها، أهذه من المكائد الإنسانية، أو من الطاقة الربانية؟ وإني عزمتُ عليكم فاشهدوا إن كنتم مقسطين. وإنه مَن كان أُعطيَ حظًّا من التقوى، ولو كمُصاصة النوى، فلا يكتم شهادة أبدا. وأمّا الذي اتّبع الهوَى، وما خَشِيَ الله الأعلى، وما تواضعَ وما استحيَا، فليُظْهِرْ ما نحا وتمنّى، ولينكرِ اللهَ وما أولَى مِن جدوَى، ومِن نصرته والعدوَى، فسوف ينظر هل ينفعه كيده أو يكون من الهالكين.

أيها الناس، لا تُحقّروا الله والآيات، واستغفِروا الله وَاعْنُوا له من الفُرطات. أجَهِلْتم مآلَ قوم كذّبوا من قبل هذا الزمان، أو لكم براءة في زُبر الله الديّان؟ فعُوذوا بالله مِن ذات صدوركم إن كنتم خاشعين. قُوموا فُرادَى فرادَى، واجتنبوا مَن عادى، ثم فكِّروا أما أُوتيتم مثل ما أوتيَ قبلكم من الكفّار؟ أما جاءتكم آيات الله القهّار؟ أما حُقّرتم بتحقير حضرة الكبرياء؟ أما قُضيتْ ديونكم كالغرماء؟ فَوَحَقِّ المنعِم الذي أحلَّني هذا المحلّ، وأرى لتصديقي العقد والحلّ، ووهب لي الولد وأهلك لي العِدا اللئام، وأرى في آياته الإيجاد والإعدام، وأرى في ندوة المذاهب إعجاز الإنشاء، ثم أرى في العجل المقتول إعجاز الإفناء، وأظهر آية القول وآية الفعل للناظرين، وأرى الكسوف والخسوف في رمضان، وأفحمكم ببلاغتي وعلّمني القرآن، فسكتّم بل متّم مع غلوّكم في العناد، وأُخزيتُم ورُميَت عظمتكم بالكساد، فأصبحتم كالمغبونين. إن هذا لحق فلا تكونوا من

الممترين.

أيها الناس إني جئتكم من الرب القدير، فهل فيكم من يخشى قهر هذا الغيور الكبير، أو تمرّون بنا غافلين؟ وإنّكم تناهيتم في المكائد، وتماديتم في الحِيَل كالصائد، فهل رأيتم إلا الخذلان والحرمان؟ وهل وجدتم ما أردتم غيرَ أن تُضيّعوا الإيمان؟ فاتّقوا الله يا ذراري المسلمين! أما تنظرون كيف أتمّ الله لي قوله، وأجزلَ لي طَوله؟ فما لكم لا تلفتون وجوهكم إلى آيات الخبير العلاّم، وتنصّلون لي أسهم الملام؟ أما رأيتم بطلَ زعمكم، وخطأ وهمكم؟ فلا تقوموا بعده للذمّ، ولا تنحتوا فِرْية بعد العَجْم، وكُفّوا ألسنكم إن كنتم متقين. توبوا إلى الله كرجل سُقِطَ في يده، وخشِي مآله وسوء مقعده، وإن الله يحبّ التوّابين.

وإنّي عُلّمتُ مُذ بوركَتْ قدمي، وأُيِّدَ لِسْني وقلمي. إن الذين اتّخذوا العناد شِرعة، وكَلِمَ الخبث نُجعة، إنهم سيُخذَلون، ويُغلَبون ويُخسَأون، ولا يلقون بُغْيتهم ولا يُنصَرون. وتحرقهم جذوتهم، فهم مِن جذوتهم يُعدَمون. وأمّا الذين سُعِدوا منهم فسيُهدَون بعد ضلالهم، ويتداركهم رُحْم ربّهم قبل نكالهم، فيستيقظون مُسترجعين، ويتركون حقدًا ولَدَدًا، ويخرّون على الأذقان سُجّدًا، ربنا اغفِرْ لنا إنّا كنّا خاطئين، فيغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين. فيومئذ ينعكس الأمر كله ويتجلّى الله للناظرين. وترى الناس يأتوننا

أفواجًا، وترى الرحمة أمواجًا، وتتمّ كلمة ربنا صدقا وعدلا، وترى كيف ينير سراجا، فحينئذ تشرق أيّام الله وتفنى فتن المفسدين. ويُقضَى الأمر بإتمام الحجّة والإفحام، وتهلك الملل كلها غير الإسلام، وترى القَتَرة رهَقتْ وجوه الكافرين. فما لكم إلى ما تكذّبون؟ أتجعلون رزقكم أنكم تكفرون؟ أغَرَّتْكم كثرة علمائكم، وتظاهُر آرائكم؟ وقد رأيتم مبلغ علمكم وعلم فضلائكم، وشاهدتم نقص فهمكم ودهائكم، وآنستم كيف ولّيتم مدبرين.

وأيها النجفيّ.. لِمَ تؤذيني وقد رأيت آياتي، وشاهدتَ حُججي وبيّناتي؟ ثم أبيتَ وهذيتَ، فقاتلك الله كيف هذيتَ، وقد رأيت آثار الصادقين. أيها الثعلب.. أإنك تخوّفني وتُغري عليّ هذه الدولة، وما رأتْ منا الدولة إلا الإخلاص والنصرة، والله يحفظ عباده من مكائد الخبيثين. ثم إنّك اخترت في كل أمرٍ طريق الدجل والضيم، ورعدتَ كالجَهام لا كالغيم، ونطقت كالمعارف العرفاء مع البُعد والرَيْم، فما هذا.. أصبحتَ إبليس ذاتَ العُوَيْم، أو هذا من سِيَر المتشيّعين؟

وخاطبتني في رسالاتك، وقلت إني جُبتُ البلاد لمباراتك، وما هذا إلا زور مبين. بل الحق أنك سافرت لهوًى من الأهواء، وسمعتَ الريف، فطمِعتَ الرغيف كالفقراء، ووردتَ هذه الديار من برهة طويلة، لا من مدّة قليلة، فانظر إلى كذبك يا رئيس المفترين. وأظنّ أن بلادك أمحَلَتْ، أو المتربة عليك اشتدّت، ففررت إلى بلاد المخصِبين، لتدور حول البيوت، وتكسب القوت كبني غبراءَ

مُشَقْشِقين. فما أجاءك إلا فقرك إلى مغنانا الخصيب، فألقيت بها جِرانك وآثرت الحبوب على الحبيب، ثم سترت الأمر يا مضطرم الأحشاء، ومضطرًّا إلى العَشاء، وتجافيتَ عن طرق الصادقين. هذا غرضك ومُنْيتك من هذا السفر، ولكنّك سترجع خائبا ولا ترى فائزا وجه الخَضَر؛ فاسترجِعْ على ضَلّة المسعَى، وإمحال المرعَى، وسوء الرجعَى، واخسَأْ فإنّك من المفسدين.

وإني التقطتُ لفظَك كلَّ ما نفثتَ، ورددتُ عليك جميع ما رفثتَ، فكلٌّ ما سقط عليك فهو منك يا أخا الغول، وليس منّا إلا جواب الغويّ الجهول، وما كنّا سابقين. ولو كنت تخاف عِرضك وعزّتك، لهذّبتَ قولك ولفظتك، ولكن كنتَ من السفهاء السافلين. وأمّا نحن فلا يُصيبنا ضرّ بكلماتكم، ويرجع إليكم سهم جهلاتكم، وما تفترون كالفاسقين. وكذلك إذا اشتهرَ أَفيْكةُ الأفّاكين على غير سفّاكين، فأمدتم الهنود كالمحتالين، وقلتم إن هذا الرجل كرجلكم فخُذوه إن كان من المغتالين. وما قام منكم أحد لنستوفي منه اليمينَ، وما كان أمر أحد منكم مِن غير أن يَمينَ. لا تبطَروا ولا تفرَحوا بكثرة جمعكم، فإنّ الله قادر على قمعكم. فاجتنبوا البطر مرتاعين. ولا تقولوا إن الزحام جمعوا عليك لاعنين، وقد كُذّب الرُسل من قبل وأُوذوا ولُعِنوا، حتى إذا جاء أمر الله فسوّد وجوه المكذّبين.

وقد جرت عادة الله في أوليائه، ونُخبِ أصفيائه، أنهم يؤذَون في

مبدء الأمر، ويُسلَّط عليهم أوباشٌ من الزُمر، فيسبّونهم ويشتمونهم ويكفّرونهم مستهزئين. ولا يُبالون الافتراء، ويقولون فيهم أشياء، ويُغري بعضهم بعضا بأنواع المكر والتدابير، ولا يغادرون شيئا من المكائد والدقارير، ويفترون مجترئين. ويريدون أن يُطفئوا أنوارهم، ويخرّبوا دارهم، ويحرقوا أشجارهم، ويُضيّعوا ثمارهم، وكذلك يفعلون متظاهرين. ويزمعون أن يدوسوهم تحت أقدامهم، ويُمزّقوهم بحسامهم، ويجعلوهم أحقر المحقّرين. فإذا تم أمر التوهين والتحقير والإيذاء، وظهر ما أراد الله من الابتلاء، فيتموّج حينئذ غيرةُ الله لأحبّائه من السماء، ويطّلع الله عليهم ويجدهم من المظلومين، ويرى أنهم ظُلموا وسُبّوا وشُتموا وكُفّروا من غير حق وأُوذوا من أيدي الظالمين. فيقوم ليُتمَّ لهم سُنّته، ويُريهم رحمته، ويؤيّد عباده الصالحين. فيُلقي في قلوبهم ليُقبِلوا على الله كل الإقبال، ويتضرّعوا في حضرته في الغدوّ والآصال، وكذلك جرت سُنّته في المقرّبين المظلومين. فتكون لهم الدولة والنصرة في آخر الأمر، ويجعل الله أعداءهم طُعْمةَ الأسد والنمر، وكذلك جرت سُنّته للمخلصين. إنهم لا يُضاعون ويُبارَكون، ولا يُحقَّرون ويُكرَمون، ويُحمَدون ولا يُسَبُّون، ويسعى الرجال إليهم ولا يُترَكون. يُدخَلون في النار، ولكن لا للتبار، ويُولَجون في اللُجّة، ولكن لا للضيعة، بل الله يُظهِر أنوارهم عند الابتلاء، ثم يُهلِك أعداءهم بأنواع الإخزاء، فيُتبِّر في ساعة ما عَلَّوا في مدّة، ويبرّئهم مما قالوا، وينـــزّههم عما افتعلوا، ويفعل لهم أفعالاً

يتحيّر الخَلق برؤيتها، ويُنـــزل أمورًا يتزعزع القلوب بهيبتها، ويُرِي كل أمر كالصول المهيب، ويُقلّب أمر العدا كل التقليب، ويُري الظالمين أنهم كانوا كاذبين؛ ويؤيدهم بتأييدات متواترة، وإمدادات متوالية متكاثرة، ويجرّد سيفَه على المجترئين.

**فاعلموا** أنه هو أرسلني عند فساد الديار، وأنه هو ربّ هذه الدار، وأنه سينصرني ويبرّئني من تُهم الأشرار. فاحفظ قصّتي التي هي أحسن القصص، وذُقْ ما نذيقك ولو متجرّعًا بالغصص. أزعمتَ أني أكيد كيدًا للدنيا الدنيّة، وأصيد صيدًا للأهواء النفسانية؟ أيها الجهول! هذا قياس قِسْتَ على نفسك الأمّارة، فإنّك من قوم لا يعلمون حقيقة الطهارة، ويلعنون قومًا مُطهَّرين. أيها الغويّ! إنا لا نبغي المشيخة والعلاء، ولا الأمارة والاستعلاء، ولا نميل إلى الترفّه والاحتشام، ولا نطلب ما طاب وراق من الطعام، ونجد في نفسنا أذواقَ حُبّ الرحمن، وسُكْرًا فاق صهباء الدِنان، فلا نريد أَرائكَ منقوشة، ولا طنافس مفروشة، إنْ نريد إلا وجه المحبوب، فالحمد لله **على ما أوصلَنا إلى المطلوب، وأرانا ما تغيَّبَ من أعين العالمين.**

والعجب كل العجب أن عبد الحق الغزنوي يسبّني منذ خمس سنين، ولا يُباحثني كالصالحين المتّقين، ولا يتّقي الله بعد رؤية الآيات، ولا ينتهي عن الافتراءات، وسلك مسلك الظالمين. وإني صبرتُ على مقالاته، وأعرضتُ عن جهلاته، حتى غلا في السبّ

والشتم والتوهين، وسمّاني بأسماء الفاسقين، وأشاع اشتهارات، وأرى جهلات، وكان من المعتدين. فرأينا أن نردّ عليه وقومه ونكسر نفوسهم الأمّارات، ونذيقهم جزاء السَّبُعيّة وسوءِ الجذبات، وإنّما الأعمال بالنيّات، وإنّ الله يعلم ما في القلوب ويعلم ما في الأرض والسماوات. وإنّا أسّسنا كل ما قلنا على تقوى وديانة، وصدقٍ وأمانة، واجتنبنا الرفث وفضول الهذر، وكل شجرة تُعرَف من الثمر. ونستكفي برب الناس الافتنانَ، بهذا الوسواس الخنّاس. ونعلم بعلم اليقين أنه ليس بذاته مبدأ هذا السبّ والتوهين، بل علّمه إبليس آخر من الغزنويين. ولا ريب أنهم هم العلل الموجبة لفتنته، ومنبتُ شُعبته، وجرموثةُ* شَذَبَته، وحطبُ تلهُّبِ جذوته، ومحرِّكُ عَوْمَرته. يذكرون النعلَين عند المقال، كأنهم يتمنّون ضرب النعال، ويتضاغى رأسهم ليُدَقَّ بالأحذية الثقال. وما قام عبد الحق هذا المقام الشاين، إلا بعد ما أرَوه صِفاتي كمَشاينَ، فويل لهم إلى يوم القيامة، ما سلكوا كأبيهم طرق السلامة، وتركوا سبل الصلاح معتدين. وإنهم ما استسرّوا عني حينًا من الأحيان، وأعلم أنهم هم المفسدون وأئمّة العدوان. بيد أني كنتُ أظن أنهم يتعلّقون بأهداب صالحٍ، ويُحسَبون مِن وُلْده مع كونهم كمثل طالحٍ، فدرأتُ السيئات بالحسنات، ونافستُ في المصافاة. وكنتُ أصبر على ما آذوني بالجور والجفاء،

* سهو من الناسخ، والصحيح جرثومة. (الناشر)

وأرجو أنهم ينتهون من الغلواء، حتى إذا بلغ شرّهم إلى الانتهاء، وما انتهوا من النُباح والعُواء، فعرفت أنهم المردودون المخذولون، والأشقياء المحرومون. فهناك أردتُ أن أستفلّ غَرْبَهم، ونذيقهم حربَهم، ولا نُجاوز في قولنا حد الديانة، بل نردّ إليهم كلماتهم كردّ الأمانة.

أيها الغويّ المسمّى بعبد الجبّار، لِمَ لا تخشى قهر القهّار؟ أتتكبر بلحية كثّة، أو مَشيخة مجتثّة؟ أتُخفي نفسك كالنساء، وتُغري علينا جَرْوَكَ للإيذاء؟ أيستسني الناس بهذا الكيد شأنَك، أو يستغزرون عرفانك؟ كلا.. بل هو سببٌ لهوانك، وعلّة موجبة لخسرانك. تحسب نفسك من أخائر الصلحاء، وتسلك مسلك الأشقياء والسفهاء. تعيش عيشة الفاسقين، ثم ترجو أن تُعَدّ من الصالحين. وإذا زرعتَ حَبَّ السمّ المبيد، فمن الغباوة أن تطمع اجتناء الثمر المفيد. انظرْ نظرة في أعمالك، ولا تُهلِكْ نفسك بسوء أفعالك.

أيها الغويّ! الوقت وقت التوبة، لا أوان الجدال والخصومة. وقد تجلّى ربّنا ليُظهر دينه على الأديان، وقد أشرقت شمس الله لإزالة ظلام العدوان. فالآن ينظر الله إلى كلّ مكذّب بعين غضبَى، فكيف تظن نفسك من أهل الصلاح والتقوى؟ صدئ بالك، وأرداك أعمالك ومالك، حتى أحالت نَخْوتُك حليتَك، وغيَّرتْ عَذِرةُ باطنك صورتَك. فمن أمعنَ النظر في وشمك، وسَرّح الطرف في

ميسمك، عرف أنّك كالسِّرحان، لا من نوع الإنسان، ومن الأشرار، لا من الصلحاء الأخيار، فاتق الله ولا تكن من الظالمين.

انظُرْ ما هذا المسلك الذي سلكتَ، واتق فإنك هلكت هلكتَ. أُوتيت الدنيا فما شكرتَ، وذُكّرت فما تذكّرت. تُبْ أيها الغويّ اللئيم، وقد شِخْتَ واستشنَّ الأديمُ، وقرُب أن يتأوّد القويم، وحان الوقت الوخيم. ما لك لا تعنو ناصيتك لرب العباد، ولا تترك طرق الخبث والفساد؟ ألا تؤمن بيوم المَعاد، أو تنكر وجود الله القادر على الإعدام والإيجاد؟ فأصلِحْ نفسك قبل أن تأكلك الدودُ، ويجيئك الأجل الموعود، وبادِرْ لما يحسن به المآل، قبل أن يأخذك الوبال، وحَيَّهَلْ بالتوبة قبل أن تنخر عظمك في التربة، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنما الوُصْلة إلى الرحمن.. التقوى وتطهير الجنان. فاتّق الله ولا تكن من المجترئين.

ثم نرجع إلى عبد الحق، الذي تكبر ووثب كالبقّ، فاعلم يا عدوَّ الصالحين، ومكفِّرَ المؤمنين، إنك آذيتني، فقاتلَك الله كيف آذيتني، وعاديتني، فتبًّا لك لما عاديتني. أما كنتُ من المهلِّلين المسلمين؟ أما كنتُ من المصلّين الصائمين؟ فكيف كفّرتني قبل تفتيش الأحوال، وأفَحْتَ دمَ الصدق بأباطيل المقال؟ وعزوتَ فتح المباهلة إلى نفسك الأمّارة، مع أن الله أذلّك وأراك سوء العاقبة. وكان مرام دعائك المتهالك، أن يجعلني الله كالهالك، فسوّد الله وجهك وأسلمَك إلى لَحْدِ الذلّة، وأدخلك في جَدَثٍ أضيقَ مِن سمّ الإبرة، وأكرمني

إكرامًا كثيرا بعد المباهلة، وأعزّني وخصّني بأنواع النعمة، حتى ما انقطع آثارها إلى هذا الوقت من الحضرة، وإن فيها لآيات للمتوسّمين. وأنت رأيت كلَّ رفعتي وعلائي، ثم انتصبتَ بترك الحياء بسبّي وإزرائي. وكيف نأمن حصائد ألسن الفجّار، وما نجا الرسل كلهم من كَلِمِ اللئام الكفّار. ولكن عليك أن تعي مني أن غوائل كلامك عليك، وأن رأسك تليَّن بنعليك، وما ظلمتنا ولكن ظلمت نفسك يا أجهل الجاهلين.

أيها الجهول! تحارب ربك ولا تخشاه، وتختار الفسق ولا تتحاماه. كلما تواضعتُ استكبرتَ، وكلما أكرمتُ حقّرتَ. وما كان هذا إلا لضيق ربعك، وقساوة زرعك*، ثم كان قدرُ الله فيك افتضاحك، فما اخترتَ طريقا كان فيه صلاحك، وما أقصرتَ عن السبّ والإيذاء، وآذيتني فبلّغت الأمر إلى الانتهاء، والآن أكتب جواب اعتراضاتك، ليعلم الناس تعصّبك وجهلاتك، ولتستبين سبيل المجرمين.

فمنها ما هذيتَ في قصة "آتم"، وتركتَ الحياء واخترت الإفك الأعظم. وقد علمتَ أن "آتم" **قد مات**، وتم فيه نبأُ الله فلحِق الأمواتَ، وصدّق الله فيه قولي وأخزى القتّاتَ، فلا تغضّ عينك كالعمين. وأمّا ما تكلمتَ في موته بعد الميعاد، فهذا حُمقك يا

* هو سهو، والصحيح:" ذرعك " أي قلبك، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

قُضاعةَ العناد. أيها الجهول! كان موت "آتم" مشروطا بعدم الرجوع، وقد ثبت أنه خاف في الميعاد وزجّى أوقاته بالخوف والخشوع، فلما انقضى ميعاده وعاد إلى سيرة الإنكار، أخذه نكال الله ومات في سبعة أشهر من آخر الاشتهار. ومكَر النصارى مكرًا كُبّارًا، واشتهروا خلاف ما وارى، وأمّا "آتم" فما تألّى وما بارى. وقد كان ذكرُ مكرهم في "البراهين"، وكان فيها ذكرُ فتنتهم المتطائرة، وبيان فِريتهم المنسوجة، قبل ظهور ذلك* الواقعة. فانظر إلى دقائق علم الله الخبير، وحكم الله اللطيف القدير، ولا تهذ كالمستعجلين. ألا ترى إلى شريطة كانت في نبأ "آتم"، والله أحقُّ أن يوفي شرطَه الذي قدّم، فاتّق الله واجتنبْ بهتانا أعظم. ألا تُنــزّه نفسك عن نقض الشرائط يا عدوّ الأخيار، فكيف لا تُنــزِّه السبّوحَ القدّوس عن تلك الأقذار؟ وتعلم أن "آتم" ما تفوّهَ بلفظة في أيام الميعاد، وترك سيرته الأولى وما أظهر ذرّة من العناد، بل أظهر رجوعه من الأقوال والأفعال، والحركات والسكنات والأحوال، وما أثبتَ ما ادّعى، مِن صولِ الحيّة وغيرها من البهتانات الواهية وما تألّى، بل أعرض وولّى، وشهد قوم من الأشهاد، أنه أنفد أيام الميعاد، بالخوف والارتعاد. ثم إذا أنكر بعد الأشهر المعيّنة، فأخذه صولُ المَرْضة، وأوصله الموت إلى التربة. فلو كان هذا الإنكار في

* *يبدو أنه سهو، والصحيح "تلك". (الناشر)*

الميعاد، لمات فيه بحكم رب العباد، وما كان الله أن يأخذه مع خوف استولى على مُهْجته، ولا يبالي ما ذكر في شريطته، إنه لا يُخلِف ما وعد، ولا يطوي ما مهَد، وإنه لا يظلم الناس حتى يظلموا أنفسهم، وإنه أرحم الراحمين.

وإن كنتَ لا تنتهي من التكذيب كاللئام، وتظن أن الفتح كان للنصارى لا للإسلام، **فعليك أن تُقسِم بالله** ذي العزّة، وتشهد حالفا أنّ الحق مع النصارى في هذه القضيّة، وتدعو الله أن يضرب عليك ذلّةً وخزيًا من السماء، إن كان الأمر خلاف ذلك الادّعاء. فإن لم يُصبك بعد ذلك هوان وذلّة **إلى عام**، فأُقِرُّ بأني كاذب وأحسبك كإمام. وإن لم تُقسِم ولم تنتهِ **فلعنة الله عليك يا عدوّ الإسلام**. إنّك تريد عزة نفسك لا عزة خير الأنام.

وأمّا ما ذكرت أن النصارى ومثلك من اليهود، لعنوني في أمر "آتم" وحسبوني كالمردود، فاعلم أيها الممسوخ أن الحُكم على الخواتيم، وكذلك جرت عادة الله من القديم. إن أولياء الله وأصفياءه يُؤذَون في ابتداء الحالات، ويُلعَنون ويُكفَّرون ويُذكَرون بأنواع التحقيرات، ثم يقوم لهم ربهم في آخر الأمر، ويبرّئهم مما قالوا وينجّيهم من ألسن الزمر، وكذلك يفعل بالمحبوبين. أما قرأت أن العاقبة للمتّقين؟ فالفرح بمبدأ الأمر من سِيَرِ الفاسقين، واللعنة التي تُرسَل إلى أهل الفلاح والسعادة، تُرَدّ إلى اللاعنين، فتظهر فيهم آثار

اللعنة. فالإبشار بمثل ذلك اللعن ندامة في الآخرة، وجعلُه أمارة الفتح من أمارات الحمق والسفاهة، بل الفتح فتحٌ يُبديه الله لعباده في مآل الأمر والعاقبة، وكذلك الخزي خزيُ الخاتمة، ولا اعتبار لمبادئ الأمور، بل الحكم كله على آخر المصارعة، وعليه مدار العزة والذلّة، والفتح والهزيمة. وكلّ لعنٍ لم يُبنَ على الواقعة الصحيحة، فهو بلاء على اللاعن وعذاب عليه في الدنيا والآخرة. والعاقلون يتدبّرون الخاتمة والمآل، والسفيه يفرح بمبادئ الأمر ويخدَع الجُهّال. **فانظرْ الآن وتطلّبْ أين "آتم" عمّك الكبير؟** فلو لم يمت فأين ذهب أيها الشرير؟ وتعلم أنّ الله ذكر شرطا في إلهامه فرعاه، **فأخَّر موت "آتم" لخوف عراه**، وأكمل شرط نبئه ووفّاه. ثم إذا تمرّد أرداه، فتمّ ما قال ربّنا وفاح ريّاه، وأذلّ الله من كذّب وأخزاه، وحصحص الحق وبورك مغناه، فهذه شقوتك إن كنت ما تراه.

يا قِرْدَ غَزْني أين "آتم" سَلْ عشيرتهُ ... هل ماتَ أو تُلْفيه حيًّا بينَ أحبابِ
هل تمّ ما قلنا من الرّحمن في الخصْمِ ... هل حـــانَ أو في حَيْنه شكٌّ لمرتابِ
إنْ كنت تُبصِر أيّها المحجوبُ من بخلٍ ... فانْظُرْ إلى الشّرْط الذي ألْغيْتَ لعتابي
قد مات "آتم" أيّها اللعّان منْ فسقٍ ... اخْسَأْ فـــإنّ الله صدّقـــني وأحْبابي
اُنْظُرْ إلى نبأ تـــجلّى الآن كـــذُكاءٍ ... أَردَى المهيمنُ عِجْلَ أهلِ الْوَيْدِ بعذابِ
لَلصِّـــدقُ فيه لأرْباب النّـــهى أَرَجٌ ... يشفي الصّدور ويروي قلبَ طلاّبِ
عيْنٌ جرتْ لرياض دين الله تُونِسها ... عينُ الرجالِ ولكنْ كنْتَ ككلابِ

ثم إن كنتَ تجعل لعنة الخَلق دليلا على سخط رب العالمين، ففكِّرْ في "عبد الله"* الذي تحسبه من الصالحين، كيف انصبّ عليه مطر الذلّة والهوان واللعنة، وكيف صار ذليلا محقَّرًا من أيدي العلماء وعامّة البريّة، وكيف أخرجوه من بلاد كالكَفَرة الفَجَرة، حتى اشتدّت عليه الأهوال، وصفرت الراحة ونُهب المال، وأعوَلَ العيال، وعُذِّب بالعذاب الموقع، ودُقِّق بالفقر الموقع. وطالما احتذى الوَجَى، واغتذَى الشَجَى، واستبطن الجَوَى. وكذلك أنفدَ عمرَه في الكُرَب، وانتياب النُوَب، ثم هاجر إلى الهند مخذولا ملومًا، وعاش مطعونًا

* هو المولوي عبد الله الغزنوي أحد كبار أولياء الله المعروفين في الهند. وقد أوصاه مرشده أن المهدي قد ولد في منطقة بنجاب بالهند وهو على وشك الظهور بل نحن الآن في زمنه. وكان المولوي عبد الله الغزنوي قد رأى في الكشف أن نورا عظيما قد هبط من السماء ونزل على قاديان ولكن أولاده حُرِموا منه.

لقد لقيه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في شبابه وطلب منه الدعاء، فدخل على الفور حجرته ودعا له، ثم جاءه وأسمعه إلهاما تلقاه بعد الدعاء وهو: "أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين." ثم قال له: إن معنى هذا الإلهام أن نصرة الله ستحالفك على شاكلة الصحابة. وقد توفي هذا الشيخ الصالح قبل دعوى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

وكان حضرة المسيح الموعود عليه السلام قد رأى في رؤيا أن بيده سيفا مسلولا له بريق ولمعان يخرج منه نور وأنه يضرب به شمالا وجنوبا ويقتل ألوفا من أعداء الدين، وأنه رأى في نفس الرؤيا الشيخ عبد الله الغزنوي وسأله عن تفسيرها فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين، وضربك إياه شمالا وجنوبا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية، وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين وإسكاتهم.

يوجه حضرته الخطاب هنا إلى المولوي عبد الحق الغزنوي الذي هو أحد تلامذة المولوي عبد الله الغزنوي، غير أنه وقف في صف المعارضين لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام فذكّره حضرته في عدة مواضع من كتبه بما قاله مرشده المولوي عبد الله الغزنوي وما رآه في الكشف. (الناشر)

مكلومًا. ما زال به قطوب الخطوب، وحروب الكروب، ولعنُ اللاعنين، وطعن الطاعنين، حتى تواترت المحن، وتكاثرت الفتن، وأقوَى المجمع، ونبا المرتَع. وكان يُداس تحت هذه الشدائد حتى فاجأه الموت، وأخذه كالصائد الفوتُ، وأدخله في الزمر الفانيين. فما ظنّك.. أكان هو من الصلحاء أو من الفاسقين؟

فثبت أن لعن الفاسقين وأهل العدوان، لا يدلّ على سخط الرحمن، وإيذاء المفسدين وأهل الشرور، لا ينقُص مراتب أهل العمل المبرور، بل يكون لعنهم وسيلةَ رُحمِ حضرة الكبرياء، ووُصلة الاجتباء والاصطفاء. وكذلك بشّرني ربي في تلك الفتنة، وإن شئتَ فارجع إلى "البراهين الأحمدية"، وانظُرْ كيف أخبر ربّي فيها عن هذه القصة، وأنبأَ من نبأ "آتم" وفتن النصارى ويهود هذه الملّة، وأخبر أن النصارى يمكرون بك في الأزمنة الآتية، ويهيّجون فتنة عظيمة ويكونون معهم علماء هذه الأمّة. فهذه شهادة من الله قبل هذه الواقعة، فهل أنتم تؤمنون بشهادات حضرة العزّة؟ وإن كنتَ لا تترك الآن ذكر اللعنة، ففكِّرْ في هذا النبأ وانظُرْ مَن لعَنه الله فيه ومَن جعله مورد الرحمة. وانظر أنه كيف أخبر أنّ النصارى يمكرون ويأتون بالفِرية، ثم يفتح الله ويجعل الكرّة لأهل الحق بإراءة الآية الواضحة، وينصر عبده ويُحقّ الحقّ ويُبطل الباطل بالصولة العظيمة، ويخزي قوما كافرين. فهذه الأنباء التي كُتبَت في "البراهين" من الله العلاّم، كانت مكنونةً فيها لهذه الأيام، ليُتمّ الله حجّته على الخواص

والعوام، ولتستبين سبيل المجرمين.

أيها المسارعون إلى الحرب والخصام، والساعون من النور إلى الظلام، ما لكم لا تتفكّرون في الكلام، ولا تتّقون قهر الله ذي الجلال والإكرام؟ أتُتركون في دنياكم ولا ترون وجه الحِمام؟ أآثرتم عيشة الحياة الدنيا، أو نسيتم يوم الأَثام والعقبى؟ توبوا توبوا، وإلى الله ارجعوا، فإنّه لا يُحبّ قومًا فاسقين.

وممّا ادّعيتَ يا مَن أضاع الدين، أنك قلتَ إني أناضل في العربية كالمرتجلين، وأستملي كالأدباء الماهرين، وأكون من الغالبين. وَيْحَك يا مسكين، لِمَ تُخزي اسم دنياك وقد ضاع الدين؟ ألستَ الذي أعرفك من قديم الزمان؟ غبيُّ الفطرة سفيه الجَنان، كثير الهذيان قليل العرفان، الموصوم بمَعرّة لَكَنِ اللسان؟ أتصارع بهذه القوة الفاتكَ البازل، وتحارب الكَمِيَّ الجازل؟ كلا.. بل تريد أن تُري الناس وَصْمتك، وتشهد على جهلك أُبْنتك، وإن كنتَ عزمتَ على مناضلتي، وأردتَ أن تذوق حَرْبي وحربتي، فأدعوك كما يُدعى الصيد للاصطياد، أو يُدنَى النار للإخماد. بيد أني اشترطتُ من الابتداء أن لا يُعارضني أحد إلا بنيّة الاهتداء، فاسمع مني أني أُناضلك على هذه الشريطة، ليهلك من هلك بالبيّنة. فإن اتّفقَ أن أُغلَب في النضال، وتغلب في محاسن المقال، فأتوب على يدك بالإخلاص التام، وأحسبك من الأتقياء الكرام، وإن اتّفقَ أن الله أظهر غلبتي في

الجدال، فما أريد منك شيئا إلا أن تتوب في الحال، وتبايعني بالتّذلّل والانفعال وتُصدّق دعواتي بصدق البال، وتدخل في سِلك جماعتي بالاستعجال، وتؤثرني على النفس والعِرض والمال. فإن كنتَ رضيت بهذه الشريطة، فتعالَ تعالَ بصحّة النيّة، واشْهَدْ مجمعَ الحيّ، ليتبيّن الرشد من الغيّ، وتعلم أني ما أريد في هذه الدعوة، أن تحسبني الناس أديبا في العربية، ولا أبالي أن يرموني بجهالة، أو يقولوا أُمِّيٌّ لا يطّلع على صيغة، إنْ أريدُ إلا إقامة الآية، وإثبات الدعوى بهذه البيّنة، ليتم حجّة الله على الناس، ولينجو الخلق من الوسواس، وليمتنعوا من الغواية، وتنكشف عليهم أبواب الهداية، ويأتوني توّابين مُصدّقين.

فإن كنتَ تُعاهدني على هذا، ولستَ كالذي نقَض العهد وآذَى، فقُمْ بهذا الشرط للنضال، وأْتِني حالفا بوجه الله ذي الجلال، وأَشهِدْ عليه عشرةَ عَدْلٍ من الرجال، ثم اشتهِرْه بعد طبعه بصدق البال، فتراني بعده حاضرا عندك في الحال، كبازي متقضّي على طيور الجبال، فتُمزَّق كلّ ممزَّق بإذن رب العالمين. هذا عهد بيني وبينك، ليظهر منه مَيْني أو مَيْنُك، وليهلك من كان من الكاذبين. وإن الكذب يُخزي أهله، ويُحرق رحله، ولكنكم لا تبالون الله ويوم الإخزاء، وتقولون ما تشاءون بترك الحياء. ألا إن لعنة الله على المزوِّرين، الذين يُخفون الحق ويزيّنون الباطل ويريدون أن يُطفئوا نور الله مفسدين.

وقالوا اهجُروا هؤلاء ولا تلاقوهم مسلِّمين، ولا تُصلّوا على

أمواهم، ولا تتّبعوا جنازاهم، واقتلوهم إنْ قدرتم على قتلهم في حين، واسرقوا أموالهم، وانهبوا رِحالهم، وكفّروهم وسبّوهم واشتموهم، ولا تذكروهم إلا مُحقّرين. تبًّا لهم! كيف نحتوا مسائل من عند أنفسهم وما خافوا أحكم الحاكمين. أولئك عليهم لعنة الله والملائكة وأخيار الناس أجمعين، وأولئك هم شرّ البريّة تحت السماء ولو سمّوا أنفسهم عالِمين.

ثم اعلم أني كتبتُ مكتوبي هذا في اللسان العربية، لأختبرك قبل أن أجيئك للمناضلة، فإني أظنّك غبيًّا ومن الجاهلين. وما أريد أن يكون ذهابي إليك صُلفة، وأكون كالذي يقصد عَذِرة، أو يأخذ في يده رَوثة، وما أريد أن أعطي جاهلا بحتًا عزّةَ المقابلة، وأرفع له ذِكره في العامّة. فإن كنتَ من أدباء هذا اللسان، فلا يشقّ عليك أن تريني في العربية بعض درر البيان، بل إن كنتَ بارعًا من غير التصلّف والمَيْن، فستكتب جواب ذلك المكتوب في ساعة أو ساعتين، ولا تردّ مسألتي كالجاهل المحتال، بل تُملي بقدر ما أمليتُ وترسل في الحال. وعليك أن تراعي مماثلتي في النظم والنثر والمقدار، وتأتي بما أتيتُ به من درر كدرر البحار. وإذا فعلتَ كله فأَرسِلْ إليّ مكتوبك العربيّ بالسرعة، ثم أَنزِلُ ساحتك كالصاعقة المحرقة، ويفتح الله بيننا بالحق وهو خير الفاتحين.

وإن كنتَ ما أرسلتَ جوابك إلى سبعة أيام، أو أرسلت في

الهندية كعوام، أو عربية غير فصيحة كجَهام، أو أرسلت قليلا من كلام، فيثبت أنك من السفهاء الجاهلين، لا من الأدباء المتكلّمين، ومن العجماوات، لا من رجال يؤثر نطقهم على ثمار العجمات، فأترُكُك كما يُترَك سقطٌ من المتاع، وأُعرض عنك كإعراض الناس عن السباع، وأشيع في هذا الباب شيئا لأولي الألباب والمستبصرين.

وأمّا ما تدعوني متفرّدًا في المباهلة، فهذا دجلك وكيدك يا غُول البادية. ألا تعلم أيها الدجّال، والغوي البطّال، أن الشرط مني في المباهلة مجيئُ عشرة رجال، لملاعنة وابتهال، في حضرة مُعين الصادقين؟ فما قبلتَ شريطتي، وكان فيه نفعك لا منفعتي. ثم أردتُ أن أتمّ الحجّة عليك وعلى رهطك المتعصّبين، فرضيتُ بثلاثة من رجال عالمين، وخفّفتُ عليك وقنِعتُ يا عدوّ الأخيار، بأن تباهلني مع عبد الواحد وعبد الجبّار، وإنهما أكابر جماعتك وحرثاء زراعتك، وابنا شيخٍ أمين. ففررتَ فرار الظلام من النور، وولّيتَ دُبُر الكذب والزور، ودخلتَ الجُحر كالمتخوّفين. وما وَرَدَ على صاحبَيْك؟ إنهما فرّا وفقَآ عينَيْك، وما جاءاني كالمباهلين. وأيُّ خوف منعهما من المباهلة إنْ كانا يُكفّراني على وجه البصيرة؟ فأين ذهبا إن كانا من الصادقين؟

ومن أقوالك في اشتهارك، أنك خاطبتني وقلتَ بكمال إصرارك: إنك تحترق في النار وتغرق في الماء، ولا يمسّني ضرٌّ لو دخلتهما وأُحفَظُ من البلاء. أما الجواب.. فاعلم أيها الكذّاب أنك رأيتَ كل

ذلك بعد المباهلة الأولى، وأُغرقتَ وأُحرقتَ يا فُضلةَ النُّوكَى. فأنبِئْنا أين خرجتَ من الماء؟ بل مُتّ في ماء التندّم كالأشقياء. وأين نُجّيتَ من النار؟ بل احترقتَ بنار الحسرة التي تطّلع على الأشرار، وما صارت النار عليك بردًا وسلامًا، بل أكلتك نار إخزاء الله ولقيت آلامًا، وكذلك يُخزي الله المفترين.

إن الذين يتكبّرون بغير الحق هم الفاسقون حقّا ولو حسبوا أنفسهم من الصالحين. والذين وجدوا فضل ربّهم يُعرَفون بأنوارهم، ويمشون على الأرض هونًا لانكسارهم، ولا يمشون مستكبرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

# قصيدة من المؤلف

إنّي صَدوقٌ مصــلِحٌ متردِّدُ سَمٌّ مُعاداتي وسِلْمِيَ أسلــمُ
إني أنا البستان بستانُ الهُدى تأتي إليّ العَــين لا تتصــرّمُ
روحي لتقديس العليِّ حمامةٌ أو عنــدليبٌ غارِدٌ متــرنّمُ
مَا جئتكم في غير وقت عابثًا قد جئتكم والوقت ليل مظلمُ
صارت بلاد الدين مِن جَدبٍ عتا أَقْوَى وأقفَــرَ بعد روضٍ تعلَمُ
هل بقي قوم خادمون لديننا أم هل رأيتَ الدين كيف يُحطَّمُ
فالله أرسلــني لأُحييَ دينــهُ حقٌّ فهل من راشدٍ يستــسلمُ
جُهد المخالف باطل في أمْرنا سيف من الــرحمن لا يتــثلَّمُ
في وجهنا نور المهيمن لائــحٌ إن كان فيكم ناظــرٌ متوسّمُ
اليوم يُنقَض كلّ خيط مكائد لَــيْنٌ سَحيلٌ أو شديد مُبْرَمُ
مَن كان صَوّالاً فيُقطَع عِرْقهُ يُرديــه عاليةُ القنا أو لَهْــذَمُ
اَللهُ آثــرَنا وكفَّــل أمــرَنا فالقلب عند الفتن لا يتجَمْجَمُ
ملكٌ فلا يُخــزَى عزيزُ جنابه إن المقــرَّب لا أبا لكَ يُكرَمُ
كَفِّرْ وما التكفير منك ببدعة رسمٌ تقــادمَ عهده المتقــدّمُ
قد كفِّرتْ مِن قبل صحبُ نبيِّنا قالوا لئــام كفرةٌ، وهُــمُ هُمُ
اُنظُرْ إلى المتشيــعين ولعنهم ما غادروا نفــسا تُعَزُّ وتُكرَمُ
جاءتك آيــاتي فأنت تكذِّبُ شاهدتَ راياتي فأنت تُكتِّمُ
يا من دنا منّي بسيف زجَاجةٍ فاحــذَرْ فإني فارسٌ مستلئِمُ

يُدرِيْك مَن شهِد الوقائع أنني ... بطلٌ وفِيْ صفِّ الوغى متقدّمُ
كمْ من قلوبٍ قد شققتُ جذورَها ... كمْ من صدورٍ قد كلَمتُ وأكلُمُ
وإذا نطقتُ فإن نطقي مفحمٌ ... سيفٌ فيقطَع مَن يكيد ويجذمُ
حاربتُ كلَّ مكذِّب وَبآخَرٍ ... للحرب دائرة عليك فتعلَمُ
يا لائمي إنّ المكارم كلّها ... في الصدق فاسْلُكْ سُبْلَ صدقٍ تسلَمُ
إن كنت أزمعتَ النِّضال فإننا ... نأتي كما يأتي لصيد ضَيغَمُ
هَلاّ أريتَ العلم يا ابنَ تصلُّفٍ ... إن كنتَ عَلاّمًا بما لا أعلَمُ
قد ضاع عمرك فى السفاهة والعَمى ... طوبى لمن بعد السَّفاهة يحلُمُ
قد جاء إنّ الظنّ إثْمٌ بعضُهُ ... فارفقْ ولا يُضْلِلْ جَنانَك مأثَمُ
الكبر يُخزي أهلَه العاتي ومَنْ ... للّه يصغُر فالمهيمن يُعظِمُ
يَا أيّها الناس اذكروا آجالكم ... إن المنايا لا تُرَدّ وتهجُمُ
يَا أيّها الناس اعبدوا خلاّقَكم ... توبوا وإنّ اللّه ربٌّ أرحَمُ
إني أرى الدنيا تمرّ بساعةٍ ... غَيمٌ قليل الماء لا يتلوَّمُ
فلهذه لا تُسخطوا معبودكم ... توبوا وطوبى للّذي يتندّمُ
توبوا وإن العُذر لغوٌ بعدما ... كُشفَتْ سرائركم وأُخذَ المجرمُ
إنا صرَفنا في النصيحة رحمةً ... ما حَملَ حسنُ بياننا وتكلُّمُ
واللّه إني قد بُعثْتُ لخيركمْ ... واللّه إني مُلهَمٌ ومُكلَّمُ
إن كنتَ تبغي حربنا فنحاربُ ... بارِزْ فإني حاضر متخيّمُ

# القصيدة الثانية

لكَ الحمدُ يا تُرْسي وحِرْزي وجَوْسَقي بحمدك يُرْوَى كلُّ مَن كان يستقي
بذكرك يجري كلُّ قلب قد اعتقى بحبك يحيى كل ميت ممزق
وباسمك يُحفَظ كلُّ نفس من الرَّدَى وفضلُك يُنجي كلَّ مَن كان يُزبَقِ
وما الخير إلا فيك يا خالقَ الورى وما الكهف إلا أنت يا مُتَّكَأَ التُّقي
وتعنو لك الأفلاك خوفا وهيبة وتجري دموع الراسيات وتَثبقِ
وليس لقلبي يا حفيظي وملجائي سواك مُـريحٌ عند وقت التأزُّقِ
يميل الورى عند الكروب إلى الورى وأنت لنا كهفٌ كبيت مُسَرَدَقِ
وإنك قد أنزلتَ آياتِ صدقنا فـويلٌ لغُمـرٍ لا يراها وينـهَقِ
ألم يرَ **عجْلاً** مات في الحيّ داميًا أهذا من الرحمن أو فعل بُنْدقي؟
أرى الله آيته بتدميرِ مفسدٍ وتعرفـها عين رأتْ بالتعـمقِ
وما كان هذا أوّلَ الآي للعدا بل الآيُ قد كثرتْ فأمعنْ وحقِّقِ
ولله آيات لتأييـد دعـوتي فآنسْ بعـين النـاظر المتعـمقِ
ألا رُبَّ يوم قد بدت فيه آيُنا ولا سيما يوم علا فيه منطـقي
إذا قام عبد الله عبدُ كريمنا* وكان بحسن اللحن يتلو ويبـعُقِ
فكلٌّ من الحُـضّار عند بيـانه كمثل عطاشى أهرعوا أو كأَعْشُقِ
وقاموا بجذبات النشـاط كأنهم تعاطَوا سُلافًا من رحيقٍ مُزَهْزِقِ
ومالت خواطرهم إلـيه لـذاذةً كمثلِ جياعٍ عند خبزٍ مُـرَقَّقِ

* *يشير حضرته عليه السلام هنا إلى أحد كبار صحابته وهو المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه الذي قام بإلقاء محاضرته عليه السلام على مسامع الناس في المؤتمر الأعظم للأديان بلاهور عام ١٨٩٦م. (الناشر)*

فأخرجَ حيواتِ العدا مِن جحورها وأنزَلَ عُصْمًا من جبال التعَــزُّقِ
وكانوا بِهَمْسٍ يحمــدون كأنه حفيفُ طيور أو صداء التمــطُّقِ
حداهم فلم يترك بها قلبَ سامعٍ ولا أُذنًا إلا حــدا مثلَ غَيْــهَقِ
كأن قلوب الناس عند كلامه على قلبه لُفَّتْ كنبتٍ معلّقِ
وكان كسمْطَيْ لؤلوءٍ وزبرجُدٍ وكان المعاني فيه كالدُّرَرِ تبرقِ
إليه صبَتْ رَغبًا قلوبُ أولي النُهى إذا ما رأوا دُرَرًا وسِمْطَ التزيُّقِ
ومِن عجب قد أخَذ كلٌّ نصيبَه وفي السمط كانت دُرره لم تُفرَّقِ
إذا رُفعتْ أستارها فكأنها عذارى أَرَيْنَ الوجهَ مِن تحت بُخْنُقِ
فظل العذارى ينتهبن بجلوة بَعاعَ قلوب المبصرين بمأزقِ
فشِبْرٌ من الإيوان لم يبقَ خاليا لِمَا ملأ الإيوان عشّاقُ منطقي
وكان الأناس لميلهم نحو كلمتي بأقطاره القصوى كطيرٍ مُرَنَّقِ
وُقوفًا بهم صحبي لخدمة دينهم يرون عجائب ربهم من تعمُّقِ
وكم من عيون الخلق فاضت دموعها إذا ما رأوا آياتِ ربٍّ موفِّقِ
وكانوا إذا سمعوا كلاما كلؤلؤ وكَلمًا تُفرِّحهم كمسْكٍ مدقَّقِ
يقولون كرِّرْها وأرْوِ قلوبَنا وهُزَّ علينا من عُذَيْقكَ وانتَقِ
هنالك لاحتْ آيةُ الحق كالضحى فهل عند أمرٍ واضح مِن مُبَرِّقِ؟
وإني سُقيتُ الماء ماءَ المعارفِ وأُعطيت حكَما عافها قلب أحمقِ
يمانيّةٌ بيضاءُ دُرَرٌ كأنها جواهرُ سيف قد فداها لموبَقِ
فكان بكلماتي يجرّ قلوبهم إليه ولم يسحَرْ ولم يتملَّقِ
وأضحى يسُحُّ الماءَ ماءَ فصاحةٍ على كل قلب مستعدّ مُجَعْفِقِ
وكلٌّ أراؤوا مِن أسارير وجههم سرورًا وذوقًا ما ينافي التأزّقِ

ومَن سمع قولا غيرَ ما قرأ فاشتكى كما تشتكي إبلٌ عُقَيبَ التبرُّقِ
وكان كمَمْحُوٍّ بعالَمِ سكتةٍ فيا عجبًا من ميلهم كالتعـــشقِ
وكم حِكمٍ كانت بلَفٍّ كلامنا وكم دررٍ كانت تلوح وتـــبرُقِ
جرائدُ أقوام تصدّتْ لذكرها لما رغبوا في وصف قولي كمنشقي*
ترى زمرَ الأدباء في أخبارهم أشاعوا كلامي للأناس كمُشْفقِ
وكانت مضاميني كغِيْدٍ بلطفها فأصبَتْ بحسنٍ ثم لحنٍ كيَلْمَقِ
ولما رآها أهلُ رأيٍ تمايلتْ عليه عيونُ قلوبهم بالتوَمُّقِ
ومرَّ على الأعداء بعضُ رشاشها فنَفيانُها قد غسّل أوساخَ خُنْبُقِ
إلى هذه الأيام لم يُنْسَ ذكرُها وكل لطيف لا محالةَ يُرمَقِ
جزى الله عني مخلصي حين قرأها فصارت مضامين العدا كالممزَّقِ
وكان الأناس غداةَ يوم قيامه حِراصًا إليه كمثل طفلٍ لبَلْعَقِ
وأخبرَني من قبلُ ربّي بوحيه وقال سيعلو ما كتبتَ ويبرُقِ
فشهدتْ جذورُ قلوبهم أنها علَتْ وفاقتْ وراقتْ كلَّ قلب كصَمْلَقِ
تراءى بعين الناس حسنُ نكاتها وكلماتها كأنها بيضُ عَقْعَقِ
فوقعتْ مضاميني على كل منكر كعَضْبٍ رقيقِ الشفرتَين مُشقِّقِ
وكلٌّ من الأحرار ألقَوا قلوبهم إلينا بصدقٍ غيرَ مَن كان مُمْحَقِ
فصِدْنا بكلمٍ كلَّ صيد معظَّمٍ كأسد ونمر غير فأر وخِرْنقِ
وتركوا لقولي رأيهم فكأنهم خَذولٌ أتتْ ترعى خميلةَ منطقي
على ألْسُنٍ قد دارَ ذكرُ كلامنا وقد هنّأونا كالحبيب المشوِّقِ

* هكذا ورد في الأصل سهوا والصحيح "كمنتقي" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

وسَرَّ عيونَ الناظرين صفاؤُه كورد طَرِيِّ الجسم لم يتشقّقِ
ولما بدَتْ روضُ الكلام تضعضعتْ قلوبُ العدا وتواردوا بالتأنُّقِ
وقد جَدَّ شيخُ المبطِلين لمنعهم فهل عند شوقٍ غالبٍ من مُعوِّقِ
تسلَّتْ عَماياتُ الهنود بسمعها وما قلَّ بخلُ الشيخ فانظُرْ وعَمِّقِ
ففاضت دموعي من تذكُّرِ بخله أهذا هو الرجل الذي كان يتقي
إذا قام للإسماعِ شيخُ "بطالة" ففرّتْ جموعُ كارهين كجَوْرَقِ
ولما تلا الشيخ المزوّر ما تلا فكان الأناس يرونه كيف ينطقِ
وكان يَعُتُّ الكلمَ من غير حاجة ويأتي بألفاظ كصخرٍ مُدَمْلَقِ
ومَن سمع قولي قبله ظنّ أنه لدى ثمرات العَذْق نافضُ عسْبِقِ
وقال أرى الإسلام كالجوّ خاليًا وما إنْ أرى الآياتِ من صالحٍ تقي
فصال على الإسلام في جمع العدا وقد كان يعلم أنه يتخلّقِ
وحمد كبراءَ الهنود ودينَهم وداهنَ من وجه النفاق كمُنفقِ
أراد ليُخزِيَ ديننا من عداوتي فأخزاه ربٌّ قادرٌ حافظُ الحَقِ
فلما رأوا سيرَ الغراب بنطقه فقالوا لك الويلاتُ إنك تنعقِ
وقالوا له يا شيخُ! وقتُك قد مضى فأحسِنْ إلينا بالسكوت وأَطْرِقِ
ولما أصرّ على القيام وما نآى فقيل: على عقبيك إنك تَدمُقِ
فما طاوعَ الأحرارَ حمقًا وما انتهى فقالوا إذًا صَهْ صَهْ! ولا تكُ مُقلقِ
فلما أبى فنفاه صدرُ المنتدى بزجرٍ يليق بذي مكائدَ أَفْسَقِ
أهانَ المهيمنُ مَن أراد إهانتي فرَمِّقْ وميضَ الحق إن كنت ترمُقِ
يدُ الله تحمي نفسَ مَن هو صادق وإن المزوّر يضمحلّ ويزهَقِ
وتبقى رجالُ الله عند نهابرٍ على النار تفنى الكاذبون كزِيبَقِ

إذا ما بدتْ نارٌ من الله فتنةً فكل كذوب لا محالة يُحرَق
ومَن يُحرِق الصدّيقَ حبَّ مهيمنٍ؟ فطوبى لمن يصلى بنار التوَمُّق
ومن كذّب الصدّيقَ خبثًا وفرية فيَسفيه إعصارٌ ويُخزي ويَسفُق
ومهما يكُنْ حقٌّ من الله واضحٌ وإنْ ردَّها زُمْرٌ من الناس يبرُق
ومن كان مفتريا يُضاع بسرعة ويهلك كذّاب بسمّ التخلُّق
ترى قوله من كل خير خاليا كنبتٍ خبيثِ الريح مُرٍّ سَنَعْبَق
فيُقطَع نبتٌ لا مُريحٌ وجودُه وكلٍ نخيل لا محالة يَسمُق
وإني من المولى عُذَيقٌ مُرَجَّبٌ فيُعرَقُ قاطعُ شجرتي كلَّ مَعْرَق
حسبتم قتال الصادقين كهيِّنٍ وإن سهام الصادقين سيَخزِق
تقدمّتَ "عبد الحق" في السبّ والهجا فأَقريك ما أهديتَ لي كالمشوِّق
وسمّيتَني كلبًا وقد فُهْتَ شاتما وجاوزتَ حدّ الأمر يا أيها الشقي
وما الكلب إلا صورةٌ أنت روحُها فمثلك ينبح كالكلاب ويزعَق
رميتُك إذ عرّضتَ نفسَك رميةً ومَن أكثرَ التفسيق يوما يُفسَّق
فأسقيك مما قلتَ كأسًا رويّةً وذلك دَينٌ لازمٌ كيف يُمحَق
فذُقْ أيها الغالي طعامَ التبادل صَفيفٌ شواءٌ بالجَبيز المرقَّق
لطَمْناك تنبيهًا فألغيتَ لَطْمَنا فليتَ لنا النعلين من جلد عَوهَق
وتسمع مني كلَّ سبٍّ تريدهُ وإنْ ترفُقَنْ في القول والصول أرفُق
أطلتَ لسانك كالبغايا وقاحةً ظلمتَك جهلا يا أخا الغُول فاتّق
وأعلمُ أنّ جموعكم أيها الغوي عليَّ حِراصٌ لو تُسرّون موبقي
**فأقسمتُ جهدًا بالذي هو ربنا سأُصلي قلوبَ المفسدين وأُحْرِق**
أكفُّ لساني كلَّ كفٍّ فإنْ تَرُمْ بِخُبثٍ فإني دامغُ هامةِ الشقي

وأشْرَاك ما قُلْنا وقد فُهْتَ بالهجا بكلمٍ أسالتْني إليك فأَغْلَقِ
ولا خيرَ في رفق إذا لم تكن به مواضعُ رفقٍ تطلُب الرفقَ كالحقِ
ولو قَبْلَ سبِّ المُكْفرين سببتُهم لكنتُ ظلوما مسرفا غيرَ متّقي
ولكن هجَوا قبلي فأوجَبَ لي الهجا هجاهم فما عدوانُ عبدٍ مُسَبَّقِ
وقد كفَّرون وفسّقون وإنهم كذئب سطَوا أو مثل سيفٍ مُشَقِّقِ
وما كان قصدي أن أكلّم مثلهم ولكنهم قد كلّفوني فأُقْلَقِ
لهم صولُ كلب والتحَوِّي كحيّةٍ وعاداتُ سِرْحانٍ وقلبٌ كخِرْنقِ
وأرسلني ربي لكَفْءِ سيولهم وغيضِ مياهٍ قد علتْ من تدفُّقِ
وإني من المولى وعُلِّمتُ سبلَهُ وأُعطيتُ حِكمًا من خبير مُوفّقِ
فنجَّيتُ من بِدَعِ الزمان وفتَنه أناسا أطاعوني وزادوا تعلُّقي
ألم تر كيف يشقُّ فُلْكي حَبابَها وتجري على راس العدا كالمُصَفِّقِ
وأُعطيتُ من علم الهدى وتأفَّقَتْ بنا شمسُ جلوته فصرتُ كمَشرقِ
ولي آية كبرى فمَن غضَّ بصرَهُ عنادًا فمَن يعطيه عينَ التأنُّقِ
ألم تر فتنَ الدهر كيف تكنّفتْ وهبَّتْ رياحٌ لا كهيجانِ سَوْهَقِ
فجئتُ من الرب الذي يرحم الورى ويرسل غيمًا عند قحطٍ مُعَنْزِقِ
أنا الضيغم البطل الذي تعرفونه ثمال الصدوق مُبيدُ أهلِ التخَلُّقِ
على موطن يخشى الكذوبُ هلاكَه نقوم بصَمْصَامٍ حديدٍ وأذلَقِ
فمن جاءنا في موطن الحرب والوغى يُداسُ ويُسحَق كالدواءِ المدقَّقِ
ووالله ألقيتُ المراسي للعدا وقمتُ لسِلْمٍ أو لحرب ممزِّقِ
فإن جنحوا للسَّلم فالسِّلم ديننا وإن نُدْعَ في الهيجاء لم نتأبَّقِ
أراهم كآرامٍ وعِيْنٍ بصورهم وإن القلوب كمثل حجرٍ مُدَمْلقِ

وإن تبغني في ندوة السِّلم تُلْفِني ... وإن تَدْعُني في موطن الحرب تلتَقِ
ونخضعُ للأعداء قبل خضوعهم ... ونرحل بعد الخصم من كلّ مأزَقِ
فإن أسلموا خير لهم ولئن عصوا ... فنكلِّمهم من بعده كالمشقَّقِ
وقد جئتكم من نحو عشرين حجّةً ... ففكِّرْ أهذا مدّةُ المتخلِّقِ
عجبتَ عَماءً أن أكون **ابنَ مريمٍ** ... وإن شاء ربي كنتُ أعلى وأسبَقِ
وتُذكِّرُ لَعْنَ الخَلق في أمر "آتمٍ" ... وقد لُعِنَ الأبرارُ قبلي فحَقِّقِ
وإن الورى عُميٌ يسبّون عجلةً ... فليس بشيء لعنُهم يا ابنَ أحمقِ
بل الله يُرجع لعنَ كلّ مزوّرٍ ... إليه فيُمسي بالملاعين مُلحَقِ
فدَعْ عنك ذكر اللعن يا صيدَ لعنةٍ ... ألم تر ما لاقيتَ بعد التَلَقْلُقِ
أتزعم يا مَن لَعَنَني بالجفاء أنْ ... تخلُص مني بل تُدَقّ وتُسْحَقِ
كحَبٍّ إذا ما وقع في مِطْحَن الرَّحى ... فيعرُكُه دور الرحى ويُدقِّقِ
لعنتم وإن الله يلعن وجهكم ... ولا لَعْنَ إلا لعن رَبٍّ ممزِّقِ
وكنت أغُضُّ الطرفَ صبرًا على الأذى ... فلما انتهى الإيذاء ذقتم تخفُّقي
وإن كان صلحاء الزمان كمثلكم ... فلا شك أني فاسق بل كأفسَقِ
وما إن أرى في نفسك العلم والتقى ... تصول كخنْزير وكالحمر تشهَقِ
رقصتَ كرقص بغيةٍ في مجالسٍ ... وفَسَّقتَني مع كون نفسك أفسَقِ
وما نكرَه المضمار إن كنتَ أهله ... ونأتيك يومَ نضالكم بالتشوقِ
ومهما يكنْ حقٌّ من الله واضح ... وإنْ ردَّها زمرٌ من الناس يبرُقِ
فذَرْني وربي إنني لك ناصحٌ ... وإن أكُ كذّابًا فأُرْدَى وأُوْبَقِ
دعوتَ عليّ فردَّه الله ساخطا ... عليك فصرتَ كمثل ثوب مُخَرْبَقِ
تعالوا نناضِلْ أيها الزمر كلكم ... ليهلك مَن أرداه سمّ التخلُّقِ

أراكم كذئب أو ككلب بصولكم وضاهَى تكلُّمُكم حمارًا ينهَقِ
لقد ذاق منا قومنا غيرَ مرّةٍ حُسامًا جراحتُه إلى الفَرْقِ ترتقي
وإن كنتَ في شكّ فسَلْ شيخَ فَجرةٍ غويًّا غبيًّا في البطالة مُوبَقِ
لكلّ امرئٍ عزمٌ لأمر، وعزمُه إهانةُ دين الله فاذهَبْ وحَقِّقِ
ألا أيها الشيخ الشقيّ تَعمَّقِ وفكِّرْ كإنسان إلى ما تَنهقِ
أكفّرتَ قوما مسلمين خباثةً؟ ظلمتَك جهلا فاتّقِ الله وارفُقِ
وتُقطَع أيدي السارقين لدرهم* فقُلْ ما جزاء مكفِّرٍ ومفسِّقِ
صبرنا على طغواك فازددتَ شقوةً وخادعتَ أنعامًا بقولٍ ملفَّقِ
وإن شئتَ بارِزْني وإن شئت فاستترْ فإني سأمحو كلَّ ما كنتَ تنمقِ
وجدتُك من قوم لئام تأبّطوا شرورا وسبّوا الصالحين كحذْلَقِ
سببتَ وأغريتَ اللئام خباثةً عليّ فآذَوني ككلب يحرّقِ
فأُقسِم لو لا خشية الله والحيا لأزمعتُ أن أُفنيك سبًّا وأَدهَقِ
وقد ضاقت الدنيا عليك كما ترى ودينك هذا فاتّقِ الله وارفُقِ
وإن كنتَ قد سرّتْك عادةُ غلظة فمَزِّقْ ثيابي، من ثيابك أمزقِ
ألم ترَ شمل الدين كيف تفرّقتْ فليتَ كمثلك جاهلٌ لم يُخلَقِ
وكذّبتَ نبأ الله في خائرٍ فنى وقلتَ بخبث أنه لم يَصدقِ
وتنحت بهتانا عليّ كفاسق وتعزي إلى نفسي جرائمَ مُوبِقِ
أترمي بريئًا يا خبيثُ بذنبه ألا تتّقي الديّانَ يا أيها الشقي
فطورًا تشير إليّ خبثًا وتارةً تشير إلى حزبي بكذبٍ تخلُّقِ

* هو سهو من الناسخ، والصحيح "لدرهم" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

**ووالله إن جماعتي في جموعكم كشجرة عَذْق عند نبت السَنَعْبَقِ**

ومثل الذي يتّبعني بعد سلمه كمثل ذُرَى سرٍّ مُرَبًّى بأودَقِ
فلما عراه المَحْلُ رُبِّيَ ثانيًا فصار كمَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ مُوْرِقِ
أتنكر آيَ الله خبثا وشقوة وآيةَ مَيْتٍ بالدم المندفقِ
أَذَلَّتْ لي الأعناقُ من غير آية؟ أ جاءتني العلماء من غير مقلقِ؟
إلى الله نشكو من ظنون مكذِّبٍ وإن المكذّب سوف يُخزى ويُسحقِ
أتنكر آيةَ خالقِ الأرض والسماءِ أ أنت تحارب قَدْرَه أيها الشقي
أ تُذعرنا كالذئب يا كلبَ جيفةٍ وإنا توكلنا على حافظٍ يقي
رضينا بربٍّ يُظهر الخير والهدى رضينا بعُسرٍ إنْ قضى أو تَفَنَّقِ
أأنت تؤيد فاسقا غير صالح؟ أَحَلْتَ بجهلك أيها الغول فاتَّقِ
وإني إذا ما قمتُ لله مخلصا فأيَّدني ربي معيني مُوفِّقي
وكان لي الرحمن في كل موطن فمَزَّقْتُكم بالله كلَّ الممزَّقِ
وأُعطيتُ قلمًا مثل منجرد الوغى فيُسعر نيرانا وكالبرق يخفُقِ
مكَرٌّ مفَرٌّ مُقبلٌ مُدبرٌ معًا كدأب أجاردَ عند موقد مأزَقِ
وإنّ يَراعي صارمٌ يحرق العدا كنار وما النيران منه بأحرَقِ
وإن كلامي مثل سيف مقطعٍ يَجُذُّ رؤوس المفسدين ويفرُقِ
وإني إذا حاولتُ كَلمًا فصيحة فناولَني ربي أفانينَ منطقي
وأُعطيتُ في سبل الكَلام قريحةً كحوجاء* مرقال تزُجُّ وتدبق*
ونَزَّهها الرحمن عن كل أَبْلَةٍ وصُيِّرَ غيري كالحقير الحَبَلَّقِ

* يبدو أنه سهو والصحيح: كعوجاء أو كهوجاء. (الناشر)
* يبدو أنه سهو والصحيح: تدلق. (الناشر)

علَونا ذُرَى قُنَنِ الكلام وقولُنا زلالٌ نَميرٌ لا كماءٍ مُرَنَّقِ
فلو جاءنا بالزمر سَحبانُ وائلٍ لفرَّ من الميدان خوفًا كخِرْنِقِ
وفاضت على شفتي من الله رحمة فقولي ونطقي آية للمحققِ
وكلِم كسِمطَي لؤلوء قد نظمتها وجمل كأفنان العُذَيْق الأسْمَقِ
إذا ما عرضْنا قولنا كالمناضلِ كَمَيتٍ سقطم * أو كثوبٍ مُخَرَّقِ
فما كان يوم الجمع إلا لذلكم ليبدي ربي شأنَ رجلٍ موفَّقِ
أبادكم الرحمن خزيًا وذلة وأيدني فضلاً ففكِّرْ وعَمِّقِ
ألا رُبَّ خصمٍ كان أكوى كمثلكم مصرًّا على تكفيره غير مُعتقي
فلما أتاه الرشد من واهب الهدى أتاني وبايَعَني بقلب مصدِّقِ
رأيتُ أولي الأبصار لا ينكرونني وينكر شأني جاهلٌ مُتحزِّقِ
لهم أعين لا يبصرون بها فمَنْ يُريهم إذا فقدوا عيونَ التأُنُّقِ
ألا أيها الغالي إلامَ تُفسِّقُ؟ فدونك نصحي واتق الله وارفُقِ
وما جئتكم من غير آيٍ وحُجّةٍ وقد أشرقتْ آياتُ ربي وتُشرقِ
فما وقع منها خُذْ كمَنْ يطلب الهدى وما لم يقَعْ فاترُكْ هواك ورَنِّقِ
رأيتُ كثيرا من لئام وإنني كمثلك ما آنستُ رجلا زَبَعْبَقِ
تستَّرَ لُبُّك تحتَ كبرٍ ونخوةٍ كلُبٍّ عفا في بطنِ جوزٍ مُرَصَّقِ
أراك كفَدَّانٍ تخاذَلَ رجلُه فلا بد من رجلٍ يسوق ويزعَقِ
وما أنت إلا كالعصافير ذلةً وتحسب نفسك من عَماء كسَوذَقِ
فتُرجَم يا إبليس ثم بحَربةٍ تُمزَّقُ تمزيقا كثوبٍ مُشَبْرَقِ

* هذا سهو الناسخ، والصحيح "سقطتم". (الناشر)

ورثت لئاما قد خلوا قبل وقتكم تشابهت الأطوارُ يا أيها الشقي
وساءتْك ما قلنا فعينُك قد عمتْ كمثل خفافيشٍ إذا الشمس تُشرِقِ
ومَن لم يكن في دينه ذا بصيرة يكُنْ أمرُه تكذيبَ أمرٍ محقَّقِ
قفوتم أمورا لم يكن علمُها لكم فإني عليكم يا عِدا الحقِّ أُشفِقِ
وتُنكر ما أبدى المهيمنُ عزّتي ولا تنتهي بل كالمجانين تَشمَقِ
وبونٌ بعيد بين شِلْقٍ وقِرْشنا فنبلَعكم كالقرش يا أهل عَمْلَقِ
ونحن بحمد الله نِلْنا مدارجًا وصرتم كمَيت أو كخَشْبٍ مُدَهْدَقِ
أحاطت بنا الأنوار من كل جانب ومِن أفقنا شمسُ المحاسن تُشرِقِ
وينمو من الرحمن حقٌّ مطهَّرٌ وما كان من غُولٍ فيَفنَى ويُمحَقِ
**ووالله إني مؤمنٌ ومُحبّهُ** أأنت علينا بابَ ذي المجد تُغلِقِ
وتذكُرني كالمفسدين محقِّرًا تقول فقيرٌ مفلسٌ بل كمُدْحَقِ
أتفخر يا مسكين من قلّة النهى بمالٍ وأولادٍ وجاهٍ ونُستُقِ
وما الفخر إلا بالتقاة وبالهدى ولا مالَ في الدنيا كقلبٍ يتّقي
تسبّ وقد شاهدتَ صدقي وآيتي وإن الفتى بعد البصيرة يَعْتَقي
**على رأس مائة بُعثَ رجلٌ مجدّدٌ** **حديثٌ صحيح** لا كقولٍ مُلفَّقِ
أتعزو إليّ الافتراءَ خباثةً وقد عصمني ربُّ الورى من تخلُّقِ
نشأتُ أحبُّ الصدقَ طفلا ويافعًا وكهلاً ولو مُزِّقتُ كلَّ الممزَّقِ
شربنا زُلالاً لا يُكدَّر صفوُه وذُقنا شرابا محيِيًا من تذوُّقِ
عجبتُ لعقلك يا أسيرَ ضلالة! تركتَ نميرَ الماء من حُبِّ غَلْفَقِ
أتُبصِر في عينَيْ مخالفك القَذى وعينُك من جذْلٍ عتا تتشقَّقِ
تموت بوادٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلٍ وتكره روضًا من عُذَيْقٍ مُلبَّقِ

تجلّى الهدى والشمسُ نضَّتْ نقابَها وأنت كخفّاش الدُّجى تتأبَّقِ
وسمّيتَني أشقى الرجال تعصبا فتعلَم إنْ متنا غدًا أيُّنا الشقي
ولا يستوي المرءان هذا محقِّقٌ وآخر يتبَع كلَّ قولٍ مُلفَّقِ
أرى رأسك المنحوس قَفْرًا من النهى وقلبًا كمَوماةٍ ونفسًا كسَلْمَقِ
متى ضلَّ عقلُ المرء ضلَّت حواسُهُ فلا يُؤنِس الوحلَ المُزِلَّ ويزمقِ
كذلك متّمْ من عناد ونقمة فأنَّى لكم تأييدُ رَبٍّ مُوفِّقِ
أفي الكفر أمثالٌ جفاءً وغلظةً لكم أيها الرامون رَمْيَ التخَلُّقِ
أهذا هو التقوى الذي في جموعكم أتلك الأمور ومثلها شأنُ متّقي
وقلتُ لكم توبوا وكُفُّوا لسانكم فما كان فيكم مَن يتوب ويتّقي
ولله آياتٌ لتأييد أمرنا وإنا كتبنا بعضها للمحقّقِ
على قلبِ أهلِ الله نزلتْ سكينةٌ وقلبك يا مفتونُ يَعوِي وينهَقِ
أيا لاعِني إن السعادة في التُّقَى فخَفْ قهرَ ربٍّ حافظِ الحقّ وَاتَّقِ
إذا كتب أن الموت لا بد تُدرِكُ فموت الفتى خير له من تَخلُّقِ
ولا يفلح الإنسان إلا بصدقه وكل كَذُوبٍ لا محالةَ يُوبَقِ
وما انفتحتْ شدقاك بالسبّ والهجا وتكذيبِ أهلِ الحق إلا لتُمْلَقِ
وإنّ سِقام الجسم ملتمَس الشفا وليس دواء في الدكاكين للشقي
ووالله لو لا حَربتي لم تكَدْ ترى نَهيكًا تَحُطُّ ضلالةً حين تَسْمُقِ
وإني كتبتُ قصيدتي هذه لكم فمن حَيِّكم مَن كان حيًّا ليَنْمُقِ
كَبُكْمٍ أراكم أو كأَحْمِرَةِ الفلا غدَا طَلْقُ ألسُنكم كزوجٍ تُطلَّقِ
أتحسب أن القول قولُ الأجانبِ وقد صُبَّ من عيني كماءٍ مُدَغْفِقِ
فما هي إلا كلمةٌ قيل مثلها فقالوا أعانَ عليه قومٌ كمُشْفِقِ

ففَكِّرْ أَتَعلمُ مُنشئًا لي كتَمْتُه فيملو* القصائد لي بحجْرِ التأبُّقِ
أتنحَتُ كذبًا ليس عندك شاهدٌ عليه وتنبَح كالكلاب وتَزْعَقِ
رضيتَ بحكَّاكاتِ إبليس شقوةً وآثرتَ سبل الغي يا أيها الشقي
أتنكر آياتي وقد شاهدتَها أتُعرِض عن حق مبين مُزَوَّقِ
وقد **مات "آتم" عمُّك المتنصّرُ** وقد حُقَّ أن تُمحَى لُحاكُم وتُحْلَقِ
رأيتم جوازيكم من الله ربِّنا ومُتّمْ كموت المفسد المتخلِّقِ
وقد قطع ربّي آنُفَ الجمع كلِّهم وأخزى العدا وأبادَ كلاً بمأزِقِ
تكنَّفَ قلبَك صَدأُ ظلمات الشقا فما إنْ أَرَى فيك الهدايةَ تُشرِقِ
وقد ضاع ما عُلِّمتَ إن كنتَ عالما كزُبُرٍ إذا حُملتْ على ظهرِ زهْلَقِ
أراك ومَن ضاهاك رَبْرَبَ جهلةٍ تلا بعضُكم بعضا كأحمقَ أنْزَقِ
رأيتم عواقبكم بترك سفينتي وضاعتْ خلاياكم ومتم كمُغْرَقِ
وعندي عيونٌ جاريات من الهدى هنيئا لرجل قد دناها ليستقي
وأُعطيتُ علمًا يملأ العين قُرّةً ونورا على وجه المخالف يَبْزُقِ
وإني أرى العادين في تيهة الشقا ومن جاءني صدقا فقد دخل جَوسَقِي
ولو كنتُ دجّالا كذوبا لضرَّني عداوةُ مَن يدعو عليَّ لأُوبَقِ
دعَوا ثم سبُّوا ثم كادُوا فخُيِّبوا لما حفظتْني عينُ ربٍّ مُرَمِّقِ
ينازع أقوامٌ ويشتدّ حربهم فيُعلي المهيمن كلَّ مَن كان أصدَقِ
فليتَ عقولَ الزمر قبلَ افتضاحها يَصِلْنَ إلى حقٍّ مبين مُحقَّقِ
وما أنا إلا منذرٌ عند فتنة وقد جئت مِن ربي كراعٍ مُعفِّقِ

---

* *يبدو أنه سهو، والصحيح: "فيملي". (الناشر)*

ولي قِرْبة شدُّوا عليَّ عصامَها لأُرويَ أقواما بماءٍ أغدَقِ
فمَن يأتني صدقا كعطشانَ ساعيًا يَجدْ كاهلي هذا ذَلولاً لمستقي
فقُمْ شاهدًا لله إن كنتَ خاشعا وأكرَمُ ناسٍ عنده فاتكٌ تقي
وقد كنتُ لله الذي كان ملجائي وذلك سرٌّ بين روحي ومُزعقي
رأيتُ وجوهًا ثم آثرتُ وجهه فواهًا له ولوجهه المتألِّقِ
أُحبُّ بروحي فالقَ الحبِّ والنوى وإني لأَوَّلُ مَن نَوَى كلَّ مُلْزَقِ
ولله أسرار بعاشق وجهه فسَلْ مَن يشاهد بعضَ هذا التعلُّقِ
لحبِّي خواصٌّ في الوصال وفُرقةٍ ففي القرب يحييني وفي البعد يُوبقِ
وأُعطيتُ من حبِّي قميصَ خلافةٍ قميصَ رسول الله أبيضَ أَمْهَقِ
وأُعطيتُ عَلَمَ الفتح عَلَمَ محمدٍ (ﷺ) وأُعطيتُ سيفا جَذَّ أصلَ التخلُّقِ
فتلك علامات على صدق دعوتي فإن كنتَ تطلبها ففتِّشْ وعَمِّقِ
وإنّ صراطي مثل جسرٍ على اللظى حفافاه نارٌ فَأْتني أيها التقي
إذا ما تحامَتْني الأراذلُ كلهم فأيقنتُ أن شريفَ قومي سيلتقي
أرى اللهَ يُخزي الفاسقين ويصطفي عبادا له قُتلوا بسيف التعشُّقِ
ويأتي زمان إنّ ربي بفضله يَجُذُّ رؤوس المفسدين ويفرُقِ
وقد صُقلتْ كَلمي كمثلِ سَجَنْجَلٍ فترنو إليها مُقْلةُ المتأنِّقِ
أرى غِيْدَ أسرارٍ نَضَضْنَ لِرَمْقِنا ومن غيرنا باعَدْنَ كالمتأبِّقِ
إذا ما خرَجنَ من الغَبيط بزينة فأصبى رَشاقتُهنّ قلبَ مُرَمِّقِ
إذا ما تجلَّى حسنُهن بنوره فرحَلتْ كجالية ظلامٌ يَغْسقِ
وقَلَّ من الأخدان مَن كان حسنُه كحسنِ عذارانا وخَدٍّ أبرَقِ
فجُعلتْ به ذاتُ الكسور لنا السُّوَى وآنستُ وَهْدَ الجائرين كصَمْلَقِ

وليس كشرح الصدر للمرء نعمةٌ ومن أردءِ الأوقاتِ وقتُ التأزُّقِ
ونفسٌ كمَوماةِ السباع مُبيدةٌ بها الذئب يعوي كالأسير المخنَّقِ
فما خفتُ صولتَهم وحقَّرتُ أمرَهم بما صانني ربي بعين التومُّقِ
وكإنْ ترى من مفسدٍ هو صائلٌ عليّ فيدفعه الحفيظ ويَغْفقِ
تجلّتْ من الرحمن أنوارُ حجّتي فما الخوف إن تُعرِض وإنْ تتعزَّقِ
سينصرني ربي ويُعلِي عمارتي فهُدُّوا ورُضُّوا من أكُفٍّ وأسْوُقِ
تبصَّرْ خصيمي هل ترى من علامة بها يُعرَف الكذّاب عند المحقِّقِ
إذا ما نقول هلُمَّ لا تنبري لنا وفي بيتك المنحوس تهذي وترتقي
دعوتَ فأكثرتَ الدعاء لنَكْبَتي فوالله زِدْنا بعده في التفنُّقِ
عرَضْنا عليكم رحمةً أمرَ ربِّنا فلم تحفلوا كبرًا وقد كنتُ أُشْفِقِ
وقلتُ لكم توبوا ولا تتركوا الحيا فزدتم عنادا واعتديتم كأفسَقِ
وإني حبَستُ النفسَ عند فضولكم صَبورًا على سبٍّ وشتمٍ مُحرِّقِ
ووالله لا يُخزَى الصدوقُ بقولكم أيُرْهِقُ قتَرٌ وجهَ مَن كان أصدَقِ
فتوبوا إلى الرب* الورى واستغفروا ولا تشتروا بالحق عيشًا مُرَمَّقِ

* سهو، والصحيح: "رب الورى". (الناشر)

# خاتمة الكتاب

إنّ كتابي هذا آخر الوصايا للعُلماء، الذين تَصدَّوا للتكذيب والاستهزاء. يا حسرة عليهم وعلى ما أروا من حالة! إنّهم فتحوا على الناس أبواب ضلالة، في زمنٍ تطايرت فيه الفتن كشُعلةٍ جَوّالة، والناس كانوا تائهين في مَوماةٍ بَطالة، فألقاهم العلماء في وهدٍ مُغتالة، وجمّعوا لهم قذائفَ جهالة، ثم أوقدوا قذائفهم بقَبسٍ وذُبالة، وصاروا لهم كضِغْثٍ على إبّالة، واختارُوا مَدرَج اليهود، وسلكوا مَسلكَ الغيّ والعنود، وما كانوا مُنتهين.

فغلّظتُ عليهم بعد ما أَكدَى الاستعطافُ، ولم ينفع التملّق والائتلاف، ولم أر فيهم أهل قلبٍ صاف، ولا فتًى مُصاف. وإنهم رغبوا من العِلم في المَشُوف المُعْلَم، ومن الدَّر في الدرهم، وتركوا طوائفَ أسرارٍ فاقت في السَّناعة، كرجُلٍ يتخطّى رقابَ نُخب الجماعة، أو كائرةٍ تتحرّى طرق الشناعة، وكانوا يعرفون شأني ومقامي، ورأوا آياتي وسمعوا كلامي. وإني أكثرتُ لهم وصيّتي حتى قيل أني مِكثارٌ، وما عُفْتُ أن يسبّني أشرارٌ، فما نفعهم كلامي ومقالي، وما انتفعوا بتفصيلي وإجمالي، وكان هذا أعظمَ المصائب على الإسلام، لو لا رحمة الله ذي الجلال والإكرام. فالحمد لله على ما رحم وأرسل عبده بالآيات، وأنزل من البيّنات المفحِمات، وقطع دابر المفسدين.

إنه أحسن إلى الخَلْق وأتمّ حُجّتي، وأظهر لهم آيتي، وأعلا لهم رايتي، وأماط جلباب الشبهات، وما بقي إلا جَهام التعصّبات. وأبدَى في تأييدي أنواع العُجاب، ونجّى أولي الألباب من حُجُبِ الارتياب. وحان أن أطوي البيان وأقص جناح القصّة، وأُعرِض عن قوم لا يبالون الحق بعد إتمام الحجّة،

فاعلموا أنني الآن أصرف وجهي عن كلّ من أهان، من الظالمين المتجاهلين، وأُبعِدُ نفسي من المنكرين الخائنين، وأعاهد الله أن لا أخاطبهم من بعد وأحسبهم كالميّتين المدفونين، ولا أكلّم المكفّرين المكذّبين، ولا أسُبّ السابّين المعتدين، ولا أضيّع وقتي لقوم مسرفين، إلا الذين تابوا وأصلحوا وجاءوني مسترشدين، دقُّوا باب طلب الهداية، واستفسروا لثلجِ القلب لا كأهل الغواية، وآمنوا مع المؤمنين.

وهذا آخر ما كتبنا في هذا الباب، وندعو الله أن يفتح لعباده سبل الصدق والصواب، والحمد لله في المبدأ والمآب. **وعليه توكّلنا، وإليه أنبنا، وإياه نستعين. رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ، آمين.**

**تـــمّت**

**الراقم ميرزا غلام أحمد القادياني ٢٦ مئي سنة ١٨٩٧م**

# ترغيب المؤمنين

# في

# إعلاء كلمة الدين

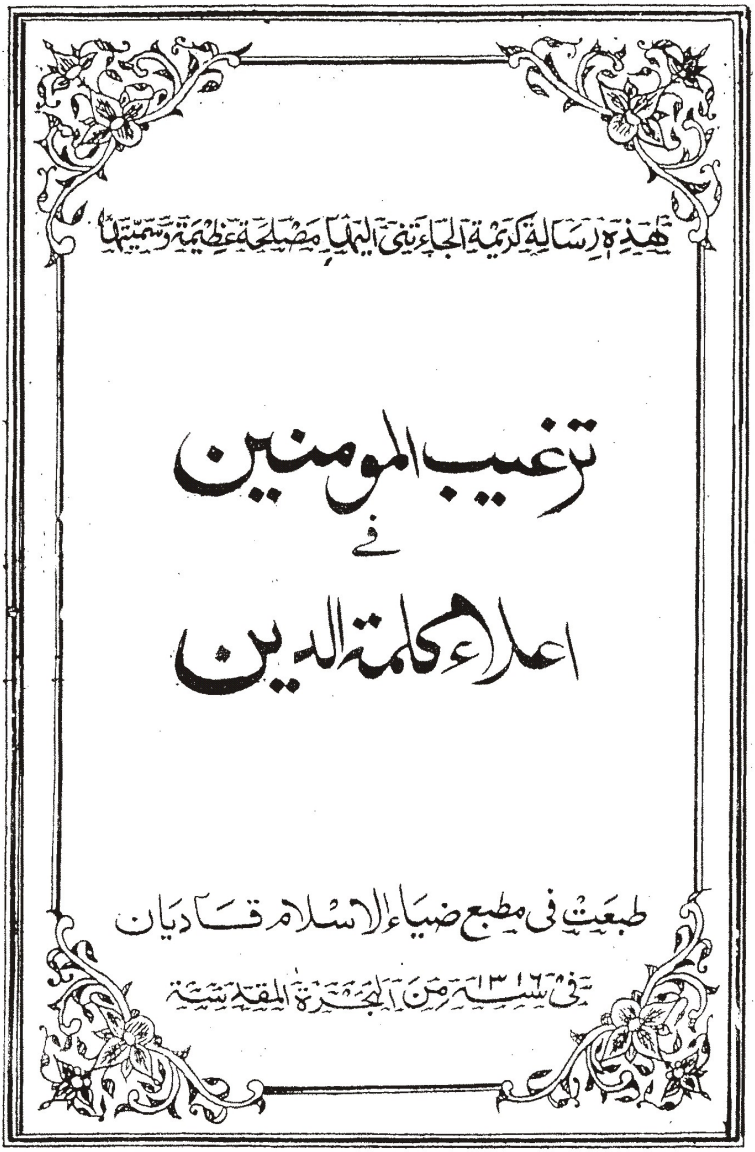


**صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للرحمنِ الذي ابتدأ بالأفضال، وأسبغَ من العطاء من غير عملٍ سبَق من العُمّال، الكريمِ الذي نضح عنّا المَكاره وأتمّ علينا أنواع النوال، وأعطانا كل شيء قبل السؤال وإظهار الآمال. بعث لنا رسولا كريما بارعًا في الخصال، سبّاقَ غايات في كل نوع الكمال، خاتم الرسل والنبيين، النبيّ الأميّ الذي هو محمّدٌ بما حُمِّدَ على ألسن المستفيضين، وبما بذل الجُهد للأمّة وشاد الدين، وبما جاء لنا بكتاب مبين، وبما أوذي لنا عند تبليغ رسالات رب العالمين، وبما أكمل كل ما لم يُكمَل في الكتب الأولى، وأعطى شريعة منـــزَّهة عن الإفراط والتفريط ونقائص أخرى، وأكمل الأخلاق وأتمّ ما حَرَى، وأحسن إلى طوائف الورى، وعلّم الرشد بغُرر البيان ووحيٍ أجلى، وعصم من الضلالة وتحامى، وأنطق العجماوات ونفخ فيهم روح الهدى، وجعلهم وُرثاء كافّة المرسلين. وطهّرهم وزكّاهم حتى فنوا في مرضاة الحضرة، وأهراقوا دماءهم لله ذي العزّة، وأسلموا وجوههم منقادين. وكذلك علّم معارف مبتكرة، ولطائف مكنونة ونِكاتٍ نادرة، حتى بلَغْنا الفضلَ باغتراف فُضالته، وعرفنا أدلّة الحق باختراف دلالته، وصعدنا إلى السماء بعد ما كنّا خاسفين. اللهم فصلِّ عليه وسلِّمْ إلى يوم الدين، وعلى آله الطاهرين الطيبين،

وأصحابه الناصرين المنصورين، نُخَبِ الله الذين آثروا الله على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم والبنين.

السلام عليكم يا معشر الإخوان، لقيتم خيرا ووُقيتم شرور الزمان، ورُزقتم مرضاة رب العالمين.

أمّا بعد.. فاعلموا أيّها الإخوان، والأحباب والأقران، أن الزمان قد أظهر العجب، وأرانا الشجى والشجب، وسخِر بومُ ليلة الليلاء من الدرّة البيضاء، وشارفَ أن تُشَنّ الغارات على دين الرحمن، الذي ضُمِّخ بالطيب العميم من العرفان، وأُودِع لفائف نعيم الجِنان، وسِيقتْ إليه أنهارٌ من ماء معين.

وتفصيل ذلك أن بعض السفهاء من المتنصّرين، والمرتدّين الضّالين، سبّوا نبيّنا محقّرين غير مبالين، وطعنوا في ديننا مستهزئين. مع أنهم اتخذوا إلهاً من دون الرحمن، وتركوا الله عاكفين على الإنسان، وجاءوا بإفكٍ مبين. فلا يَسْتَحْيون بل يؤذون أهل الحق جالعين، ويُفسدون في الأرض مجترئين، ويصولون على المسلمين مغضبين. وكنّا مأمورين لإزالة تماثيلهم، وإزاحة أباطيلهم، وإجاحة تساويلهم، واقتلاع أقاويلهم، والآن ظهر الأمر معكوسا، وعاب الليلُ شُموسا، وصال المتنصّرون على المسلمين.

ومن فتنهم الجديدة أن رجلا منهم ألّف كتابا وسمّاه "أمّهات المؤمنين"، وسلك فيه كل طريق السَّبِّ والافتراء كالمفسدين الفتّانين. إنه امرؤ استعمل السفاهة في خطابه، وأبدى عَذِرةً كانت

في وِطابه، وأظهر كأنّه أتمّ الحجة في كتابه، وختم المباحث بفصل خطابه. وليس في كتابه من غير السبّ والشتم، وكلمات لا يليق* لأهل الحياء والحزم، بيد أنه أبدع بإرسال كتبه من غير طلب إلى المسلمين الغيورين، مِن أعزّة القوم ونُخب المؤمنين. وتلك هي النار التي التهبت في ضرم المتألمين، وأحرقت قلوب المؤمنين المسلمين. فلما رأينا هذا الكتاب، وعثرنا على غلوائه وما سبّ وذابَ، قرأنا كلمه المؤذية، وآنسْنا قذفاته المغضبة، وشاهدنا ضميمه الصريح، وقوله القبيح، واجتلينا ما استعمل من جورٍ واعتساف، وقذفٍ وشتمٍ كأجلاف، علمنا أنه نطق به معتمدًا لإغضاب المسلمين، وما تفوّهَ على وجه الجدّ كالمسترشدين المحقّقين، بل تكلّم في شأن سيد الأنام بأقبح الكلام، كما هو عادة الأجلاف واللئام، ليؤذي قلوب المسلمين وطوائف أهل الإسلام، ويُغلي قلوب أمّة خير المرسلين. فظهر كما أراد هذا الفتّان، وتألّم بكلمه كلُّ مَن في قلبه الإيمان، وأصاب المسلمين بقذفه جراحةٌ مؤلمة، وقرحةٌ غير ملتئمة، وظنّوا أنهم من المجرمين إن لم ينتقموا كالمؤمنين المخلصين، وذكروا بها أيّام الأوّلين، ولولا منَعهم أدبُ السلطنة المحسنة، وتذكُّرُ عناياتِ الدولة **البرطانية**، لعمِلوا عملاً كالمجانين.

* *يبدو أنه سهو من الناسخ والصحيح "تليق". (الناشر)*

ولا شك أن هذا السفيه اعتدى في كلماته، وأغرى العامّة بجهلاته، وجاوز الحدّ كالغالين، فلأجل ذلك قد هاجت الضوضاة، وارتفعت الأصوات، وتضاغى الناس برنّة النياحة، واشتعل الطبائع من هذه الوقاحة، ومُلئ الجرائدُ بتلك الأذكار، وقام كل أحدٍ ككُماة المضمار، بما آذى كالمعتدين.

والحاصل أنه افترى وتجرّم، وأراد أن يستأصل الحق ويتصرّم، وأسبل غطاءً غليظا لإغلاط الناس، وأراد أن يُطفئ أنوار النبراس، فنهض المسلمون مستشيطين مشتعلين، وصاروا طرائقَ قِدَدًا زاعقين مغتاظين. فذهب بعضهم إلى أن يُبلِّغ الأمر إلى الحكّام، ويترافع لغرض الانتقام، والآخرون مالوا إلى الردّ على تلك الأوهام، وحسبوه من واجبات الإسلام. فالذين اختاروا الترافع عرضوا شكواهم على حضرة نائب الدولة، وأرسلوا ما كتبوا لهذه الخطّة. والفريق الثاني توجّهوا إلى ردّ الكتاب. والآخرون وجموا من الاكتياب، وكذلك اختلفوا في الأعمال والآراء، واستخلص كل أحد ما هُديَ إليه من الدهاء.

فالذي أُشْرِبَ حسّي، وتَلقَّفَه حدسي، أن الأصوب طريقُ الردّ والذبّ، لا الاستغاثة ولا السبّ بالسبّ، وإني أعلم بَلْبال المسلمين، وما عرى قلوب المؤمنين من ألسن المؤذين، ولكني أرى الخير في أن نجتنب المحاكمات، ولا نوقع أنفسنا في المخاصمات، ونتحامى أموالنا من غرامات التنازعات، وأعراضَنا من القيام أمام القضاة، ونصبر

على ضجرٍ أصابنا، وغمّ أذابنا، ليُعَدَّ منّا مَبرّةً عند أحكم الحاكمين. وما نسينا ما رأينا من جور وعسف، وأيُّ حُرٍّ رضِي بخسف، وقد أُوذينا في ديننا القويم، ورسولنا الكريم، وآنسْنا ما هيّج الأسف وأجرى العبرات، وشاهدْنا ما أضجر القلب وزجّى الزفرات. بيد أن الدولة البرطانية لهؤلاء كالأواصر المؤمّلة، ولقسّيسين حقوقٌ على هذه الدولة، ونعلم أنَّ نَبْذَ حُرمهم أمرٌ لا ترضاه هذه السلطنة، وينصبها هذا القصد وتشقّ عليها هذه المعدلة، ولها علينا منٌّ يجب أن لا نلغيها، فلنصبر على ما أصابنا لعلنا نرضيها. وما نفعل بتعذيب المتنصّرين. وقد رأينا أمنًا من حكّامها العادلين؟ ووجدنا بهم كثيرا من غضٍّ وسرور وخفضٍ وحبور، وما مسَّنا منهم شظفٌ في الدين، ولا جنفٌ كالظالمين من السلاطين، بل أعطونا حرّيةً فعلاً وقولاً، وأرضونا حفاوةً وطَولاً، وما رأينا سوءًا من هذه الدولة، ولا قشفًا كأيّام "الخالصة"*، بل رُبّينا تحت ظلّها مُذ مِيطتْ عنّا التمائم، ونِيطتْ بنا العمائم، وعِشْنا بكنفها آمنين. وجعلها الله لنا كعينٍ نستسقيها، وكعين نجتلي بها، فنحاذر أن يفرُط إلى هذه الدولة بعض الشبهات، وتحسَبنا من قوم يُضمرون الفساد في النيّات. فلذلك ما رضينا بأن نترافع لتعذيب هذا القذّاف الشرير، وأعرضنا عن مثل

* *أيْ أيام الإرهاب والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون خلال حكم السيخ - الذين يطلقون على أنفسهم "الخالصة" أيضًا - قبل دخول الإنجليز إلى البنجاب. (الناشر)*

هذه التدابير، وحسبْنا أنه عمل لا ترضاه الدولة، ولا تستجاده تلك السلطنة، فكففنا كالمعرضين.

وسمعتُ أن بعض المستعجلين من المسلمين، أرسلوا رسائل إلى الدولة مستغيثين، وتمنّوا أن يؤخذ المؤلّف كالمجرمين، وإن هي إلا أماني كأماني المجانين، وأمّا نحن فما نرى في هذا التدبير عاقبةَ الخير، ولا تفصّيًا من الضير، بل هو فعل لا نتيجة له من غير شماتة الأعداء، ولا يُستكفى به الافتتان بمكائد أهل الافتراء. ولو سلكنا سبيل الاستغاثة، ونترافع لأخذ مؤلّف هذه الرسالة، لنُعزَى إلى فضوح الحصر، ونُرهَق بمعتبةٍ عند أهل العصر، ويقال فينا أقوال بغوائل الزخرفة، ويُقطَع عِرضنا بحصائد الألسنة، ويقول السفهاء إنهم عجزوا من الإتيان بالجواب، فلا جرم توجّهوا إلى الحكّام من التضرّم والاضطراب، فبعد ذلك لا تبقى لنا معذرة، وترجع إلينا مندمة وتبعة. فليس بصواب أن نطلب هذه المُنية، ونرُود هذه البُغية، وليس بحريٍّ أن نسعى كالنادبات إلى السلطنة، ونُضحِي أنفسنا من مأمن الحجج البيّنة، ونضيّع أوقاتنا في البكاء والصراخ كالنسوة، ولا نفكّر لهدم بناء هذه الفِرقة، ولا نتوجّه إلى خزعبيلاتهم، ولا نُزيح وساوس جهلاتهم، ونتركهم في كبرهم وزهوهم، ولا نُنبّههم على غلطهم وسهوهم، ولا نأخذهم على بهتانهم وافترائهم، ولا نُرِي الخلق خيانتهم وقلّة حيائهم، ونفرح بما يناهم من الحاكمين. بل ينبغي أن نُجيح أوهامهم، ونُكسّر أقلامهم، ونجعل كَلِمَهم مُضغةً للماضغين.

وإن لم نفعل هذا فما فعلنا شيئًا في خدمة الدين، وما عرفنا صنيعة الله خيرِ المحسنين، وما شكرنا بل أنفدنا الوقت غافلين. فإن الله وهب لنا حرّية تامة لهذه الأمور، لنُحقّ الحقّ ونُبطل ما صنَع أهل الزُّور، فلو لم نمتَّعْ بهذه الحُرّية، فما شكرنا نِعم الله ذي الجود والموهبة، وما كنّا من الشاكرين. ألم تروا كيف نعيش أحرارا تحت ظلّ هذه السلطنة، وكيف خُيِّرْنا في ديننا وأُوتينا حرّية في مباحث المِلّة الإسلامية، وأُخرجنا من حبسٍ كنّا فيها في عهد دولة "الخالصة"، وفُوّضنا إلى قوم راحمين؟ وإنّ حُكّامنا لا يمنعوننا من المناظرات والمباحثات، ولا يكفأوننا إن كان البحث في حُللِ الرفق وبصحّة النيّات، ولا يحيفون متعصّبين. فلأجل ذلك نستسني دولتهم ونستغزر ديمة نصرتهم، فإنّا لا نرى تلهُّب جذوتهم عند ردِّ مذهبهم وإزراء مِلّتهم، وهذا هو الذي جذَب القلوب إلى محبّتهم، وأمال الطبائع إلى طاعتهم، وأحبَّهم إلينا كالسلاطين المسلمين. وإنهم قوم قد أَسرَونا بمنّتهم لا بسلاسل حكومتهم، وقيّدونا بأيادي نعمتهم لا بأيدي سطوتهم. فوالله قد وجب شكرهم وشكر مبرّتهم، والذين يمنعون من شكر الدولة البرطانية، ويندّدون بأنّه من مناهي المِلّة، فقد جاءوا بظلم وزور، وتورّدوا موردًا ليس بمأثور. أيحسبونهم ظالمين؟ حاشا لله وكلاّ، بل جلَّ معروفهم وجلّى. انظروا إلى بلادنا وأهلها المخصبين، من القانطين والمتغرّبين. انظروا، ما أيمنَ هذا السوادَ، وما أبهجَ هذه البلادَ! عُمّرت مساجدنا بعد تخريبها، وأُحْيِيتْ سُنُنا بعد

تتبيبها، وأُنيرت مآذننا بعد إظلامها، ورُفعت مناورها بعد إعدامها، ورأينا النهار بعد الليلة الليلاء، ووصلنا الأنهار بعد فقدان الماء، وفُتح الجوامع والمساجد لذكر الله الوحيد، وعلا صيت التوحيد، وترجَّينا بعد تمادي الأيام أن يُزيح سمومَ الكفر ترياقُ وعظِ الإسلام، وحُفظنا من شرّ كل مفاجئ، وعُدنا من تِيْهِ الغربة إلى مَعاجٍ، واقترب ماء النضارة من سرحتنا، وكاد يحلّ بمنبتنا وأصبحنا آمنين. حتى ألفينا كلَّ مَن ألوى عنقه من العناد، كالأصادق وأهل الوداد، وتبدّى الأساود كأعوان النَّآد، وقُلِّبَ عُجرنا وبُجرنا ونُقل إلى الصلاح والسداد، ونُضِّرنا بدولة جاءت كعهادٍ عند سنة جماد، فرأَتْ هذه الدولة دخيلةَ أمرنا، واطّلعت على ذوبنا وضُمرنا، فآوتْنا ورحمتْنا، وواستْنا وتفقّدتْنا، حتى عاد أمرنا إلى نعيم بعد عذاب أليم، فالآن نرقد الليل ملْءَ أجفاننا، ولا نخسَ ولا وخزَ لأبداننا. تُغرِّد في بساتيننا بلابلُ التهاني والنعماء مايسةً على دوحة الصفاء، بعد ما كنّا نُصدَم من أنواع البلاء. فأنصِفوا.. أليس بواجب أن نشكر دولةً جعلها الله سببًا لهذه الإنعامات، وأُخْرِجنا بيديها من سجن البليّات؟ أليس بحقٍّ أن نرفع لها أكفّ الضراعة والابتهال، ونُحسن إليها بالدعاء كما أحسنتْ إلينا بالنوال؟ فإن لنا بها قلوبًا طافحة سرورا، ووجوهًا متهللة ومستبشرة حبورا، وأيامًا مُلئتْ أمنًا وحُرّيّة، ولياليَ ضُمِّخت راحةً ولُهْنيّة، وترى منازلَ مزدانة بأبهج الزينة، ولا خوفَ ولا فزع ولو مررنا على أسود العرينة. ضُربت خزيُ الفشل على

الظالمين، وضاقت الأرض على المرجفين المبطلين، ونعيش مستريحين آمنين. فأيُّ ظلم كان أكبر من هذا الظلم أن لا نشكر هذه الدولة المحسنة، ونُضمر الحقد والشرّ والبغاوة؟ أهذا صلاح؟ بل فسقٌ إن كنتم عالمين. فويلٌ للذين يبغون الفساد، ويُضمرون العناد، والله لا يحب المفسدين. إنهم قوم ذهلوا آداب الشكر عند رؤية النعمة، وأنساهم الشيطان كلَّ ما نُدب عليه من أمور الشريعة، وجاءوا شيئا إدًّا، وجازوا عن القصد جدًّا، وما بقي فيهم إلا حميّة الجاهلية، وفورة النفس الأبيّة، ولا يمشون كالذي خشِي ودلَف، ولا يخلعون الصلف، ولا يذكرون ما سلف في زمن "خالصة" مغشوشين. ألم يعلموا أن الشكر لأهله من وصايا القرآن، وإكرام المحسن مما نطق به كتاب الرحمن؟ وإن الدولة البرطانية قد جعلها الله موابذة حَلِّنا وعقدنا، وحُفظاءَ يقظتنا ورقدنا، وإنّا وصلنا بهم إلى المرادات المستعذَبة، ونجَونا من الآفات المخوّفة، فكيف لا نشكر لهم ونعلم أنهم أحسنوا إلينا؟ وكيف نفارقهم وندري أنهم حرساءُ الله علينا؟ والله يحبّ المحسنين. وكنّا قبل ذلك غُصِبَ منّا قُرانا وعقارنا، وخُرّب دارُ قِرانا ومَقارُّنا، ودِسْنا تحت انتياب النُّوب وتوالي الكُرب، وصفَرت راحتُنا وفرغت ساحتنا، حتى أُخرجنا من أملاك وأرضين، وقصورٍ وبساتين وأوطان، مُكْتئبين مغتمّين. وطُردنا كالعجماوات، ووُطِئنا كالجمادات، وسُلكنا مسلكَ العباد والغلمان، ولُحِقْنا بالأرذلين منـــزلةً من نوع الإنسان. وربما أُتِّمْنا بأخفّ جرحٍ

أصاب منّا حيوانًا، أو بما قطعْنا أغصانا، فقُتلنا أو صُلبنا أو أُجلئنا* تاركين أوطانًا ومتغرّبين. ثم رحمنا الله وأتى بالدولة البرطانية من ديار بعيدة وبلاد نائية، وكان الأمر لله يختار لعباده من يشاء، يؤتي الملك من يشاء، وينـــزع المُلك ممن يشاء، وهو أرحم الراحمين. إنه دفَع الحكومة إلى أهلها بعد خبال "الخالصة"، ثم بدّل تعبنا ونصبنا بالنعمة والراحة، وأورثَنا أرضنا مرّة أخرى، بعد ما أُخرِجنا كأوابد الفلا، ورجعنا إلى أوطاننا سالمين متسلّمين. ورُدّ إلينا قُرانا وعقارُنا، وفضّتنا ونضارنا، إلا ما شاء الله، وسكنّا في بيوتنا آمنين.

وإنّا ما تعلّقنا بأهداب هذه السلطنة إلا بعد ما شاهدنا خصائص هذه الحكومة، وأمعنّا النظر في نعمها متوسّمين، وسرّحنا الطرف في ميسمها متفرّسين، فإذا هي دواءُ كروبِنا، ومُداوِيةُ نُوبِنا وخطوبنا، وبها سِيق إلينا الأموال، بعد ما استحالت الحال، وغارَ المنبع وأعْوَلَ العيال، ونُجّينا بها من الدهر الموقع، والفقر المدقع، وكُنّا من قبلُ شَجَجْنا فلا الكروب من الشجى، وطوَينا أوراق الراحة من أيدي الطَّوى، وما كانت تعرف أقدامُنا إلا الوجى، وما صدورنا إلا الجَوى، ومرّ علينا ليالي ما كان فراشنا فيها إلا الوهاد، ولا موطئنا إلا القتاد، فكُنّا نجلُو الهموم بأذكار هذه الدولة، ونجتلي زمننا طَلْقَ الوجهِ بإبشار تلك المعدلة، حتى أسعف الله بمرادنا، وجاء بهذه الدولة

* *يبدو أنه سهو الناسخ والصحيح "أُجْلِينا" كما تدل عليه الترجمة الفارسية. (الناشر)*

لإسعادنا، فوصلنا بها بشارة تنشئ لنا كلَّ يوم نزهةً، وتدرَأُ عن قلوبنا كربةً، إلى أن خُلِّصْنا من الخوف والإملاق، ونُقلنا من عدم العُراق إلى الإرفاق، وجاءنا النِّعم من الآفاق، ونُظم الأجانب في سلك الرفاق، وفُزْنا بمرامنا بعد خفوق راية الإخفاق. وقد كنا في عهد "الخالصة" أُخرجنا من ديارنا ولُفظنا إلى مَفاوز الغربة، وبُلينا بإعواز المُنْية. فلمّا منّ الله علينا بمجيء الدولة البرطانية، فكأنّا وجدنا ما فقدنا من الخزائن الإيمانية، فصار نزولها لنا نُزُلَ العزّ والبركة، ومغناه سببَ الفوز والغنية، ورأينا بها حبورا وفرحة، بعد ما لبثنا على المصائب برهة، ورُفعنا من ذُلِّ أُخريات الناس، إلى مراتب رجالٍ هُمْ للقوم كالرأس، ونُجّينا من قطوب الخطوب، وحروب الكروب. وكنا نمدّ الأبصار إلى ذلك الوقت السعيد، كما تُمَدُّ الأعين لهلال العيد، وكنّا نبسط يد الدعاء لهذه الدولة، بما أصابتنا مصائب في زمن "الخالصة"، ونبا بنا مألفُ الوطن وأُخرِجنا من البقعة. وكانت آباؤنا اقتعدوا غاربَ الاغتراب، بما أُكرِهوا وبُعِّدوا من الأتراب، فتركوا دار رياستهم وجميعَ ما كان لهم من القرى، ونصُّوا ركاب السُّرى، وجابوا في سيرهم وُعُورا، وتركوا راحة وحبورا، وأنضَوا أجاردَهم تَسْيارا، وما رأوا ليلا ولا نهارا، حتى وردوا حمى رياسةٍ، كفّلتهْم بحراسة، فسرَوا إيجاسَ الخوف واستشعارَه إلى أيام، ورأوا لُعاعَ الأمن وأزهارَه بعد آلام. ثم طلعت علينا شمس الدولة البرطانية، وأمطرت مُزنُ العنايات الرحمانية،

فتسربلْنا لباس الأمن بعد أيام الخوف، وصرنا مخصبين نِعم العوف، فعُدْنا وآباؤنا إلى منبت شُعبتنا، ومِلْنا إلى الأوكار مِن فلا غربتنا، وهنّأنا أنفسنا فرحين.

ولو أنصفنا لشهدنا أن هذه السلطنة ردّت إلينا أيّام الإسلام، وفتحت علينا أبوابا لنصرة دين خير الأنام، وكنّا في زمن دولة "الخالصة" أوذينا بالسيوف والأسنّة، وما كان لنا أن نقيم الصلاة على طريق السُنّة، ونؤذّن بالجهر كما نُدب عليه في الْمِلّة. ولم يكن بدٌّ من الصمت على إيذائهم، ولم يكن سبيل لدفع جفائهم. فرُدِدْنا إلى الأمن والأمان عند مجيء هذه السلطنة، وما بقي إلا تطاوُل قسيسين بالألسنة. وجَعَلَ الحريةُ كلَّ حربٍ سِجالاً، ولكنّا تركنا القذف بالقذف لئلاّ نشابه دجّالاً، ولا نكونَ من المتعسّفين. وما منعت السلطنة أن نفتح الألسن بالجواب، بل لنا أن نقول أكبر مما قالوا ونصبّ عليهم مطرا من العذاب، ولكن المرء لا يصدر منه فعل الكلاب، ولا يستقري الحَمام الجيفةَ لو لفَظه الجوع إلى مَعامي التباب.

أيعيبون نبيّنا على الشغف بالنساء، وكان يَسوعُهم قد عِيْبَ على شَرَه الأكل وشُرْب الصهباء؟ وقد ثبت من الإنجيل أنه آوى عنده بَغِيّةً، وكانت زانيةً وفاسقة وشقيّة، وكانت امرأةً شابّة في ثياب نظيفة مع صورة لطيفة، فما انصرف عنها وما قامَ، وما أعرض عنها وما ألامَ، بل استأنس بها وآنسَ بطيب الكلام، حتى جلعتْ

ومسحت على رأسه من عطرها التي◈ كان قد كُسب من الحرام. وكذلك أقبل على بغيّةٍ أخرى وكلّمها، وسألت وعلّمها. وهذه حركات لا يستحسنها تقيٌّ، فما الجواب إن اعترض شقيٌّ.

ولا شكّ أن النكاح على وجه الحلال خير من تلك الأفعال، ومَن كان كيسوع شابًّا طريرًا أعزبَ مفتقرًا إلى الازدواج، فأيُّ شبهةٍ لا تفْجَأُ القلبَ عند رؤية هذا الامتزاج◉. فمن كان شمّر عن ذراعيه لاعتراض، ولبس الصفاقةَ لارتكاض، فليحسرْ عن ساعِدِه لهذه الزراية، فإنها أحقُّ وأوجبُ عند أهل التقوى والدراية.

وأمّا نحن فصبرنا على أقوالهم، وثبّتنا قلوبنا تحت أثقالهم، لتعلم الدولة أنّا لسنا بمستشيطين مشتعلين، ولا نبغي الفساد بالمفسدين. ولا ننسى إحسان هذه الحكومة، فإنها عصَم أموالنا وأعراضنا ودماءنا من أيدي الفئة الظالمة، فالآن نعيش بخفضٍ وراحة، ولا نردُ موردَ غرامةٍ من غير جريمة، ولا نحلّ دار ذلّة من غير معصية، بل نأمن من كلِّ تهمة وآفة، ونُكفَى غوائل فَجَرةٍ وكَفَرة، فكيف نكفُر نعم المنعمين؟ وكنا نمشي كأقزَلَ قبل هذه الأيام، وما كان لنا أن نتكلم بشيء في دعوة دين خير الأنام، وكان زمان "الخالصة" زمان الذل والمصيبة صُغِّرَ فيه الشرفاء، وأسادت الإماء، وصُبّت علينا

---

◈ *يبدو أنه سهو والصحيح "الذي". (الناشر)*

◉ هذا ما كتبنا من الأناجيل على سبيل الإلزام، وإنّا نكرم المسيح ونعلم أنه كان تقيًّا ومن الأنبياء الكرام. منه

مصائب ينشقّ القلم بذكرها، وخرجنا من أوطاننا باكين. فقُلّب أمرُنا بهذه الدولة من بؤسٍ إلى رَخاء، ومِن زَعْزَعٍ إلى رُخاء، وفُتِحَ لنا بعناياتها الفرَج، وأوتينا الحريّة بعد الأسر والعَرَج، وصرنا متنعمين مرموق الرخاء، بعد ما كنّا في أنواع البلاء. ورأينا لنا هذه الدولة كريفٍ بعد الإمحال، أو كصحّةٍ بعد الاعتلال، فلأجل تلك المنن والآلاءِ والإحسانات، وجب شكرها بصدق الطويّة وإخلاص النيّات. فندعو لها بألسنة صادقة، وقلوب صافية، وندعو الله أن يجعل لهذه **الملكة القيصرة** عاقبةَ الخير، ويحفظها من أنواع الغُمّة والضير، ويصدف عنها المكاره والآفات، ويجعل لها حظًّا من التعرّف إليه بالفضل والعنايات، إنه يفعل ما يشاء، وإنه أرحم الراحمين.

فلما رأينا هذه المنن من هذه الدولة، وألفينا إراداتِها مبنيّةً على حُسن النيّة، فهمنا أنه لا ينبغي أن نؤذيها في قومها بعد هذه الصنيعة، ولا يجوز أن نطلب منها ما ينصبها لبعض مصالح السلطنة، بل الواجب أن نجادل القسّيسين بالحكمة والموعظة الحسنة، وندفع بالتي هي أحسن ونترك الترافع إلى الحكومة.

هذا، ونعلم أن قَذْفَ قسيسين قد بلغ مَداه، وجرحتْ قلوبَنا مُداه، وإنهم وثبوا على عامّتنا وثبةَ الذئب على الخروف، ونزوا نَزْوَ النمر المَجُوف، فسُقي كثيرٌ من أيديهم كأس الحتوف، وبلغوا بدَجْلهم ما ليس يُبلَغ بالسيوف، وتراءوا من كل حدبٍ ناسلين.

وقد أتتكم من أخبار فلا حاجة إلى إظهار، ولا تغتمّوا ولا تحزنوا واربأوا أيام الله صابرين.

والأمر الذي حدث الآن وأضجرَ القلوب، وجدّد الكروب، وعظّم الخطوب، وانتشر وأوقد الحروب، وكبر وأعضل ودقّ وأشكل، وخوّف بتهاويله وهوّل، فهو رسالة "أمهات المؤمنين"، وقد قامت القيامة منها في المسلمين. وكلّ من رأى هذه الرسالة، فلعَن مؤلّفه بما جمع السبّ والضلالة، وهو زايَلَ الوطنَ والمقام، لكي يأمن الحكام، فاختار المفرّ، لئلاّ يُسحَب ويُجرّ، وبقي منه عَذِرةُ كلماته، ونتنُ ملفوظاته، وأُغلوطةُ اعتراضاته، فنترك قذفه وبذاءه ونجاسة كلماته، ونفوّضه إلى الله ويومِ مكافاته.

وأمّا ما افترى من شبهاته، التي تولّدت من حمقه وزيغ خيالاته، فذلك أمرٌ وجَب إزالته بجميع جهاته. وإن الحق شيء لا يمكن أحدا التقدم عنه ولا التأخر. ثم غيرة الإسلام فرضٌ مؤكّد لمن كان له الحياء والتدبّر، فإن المؤلّف اجترأ وهتَك حُرم الدين، وصال وبارز، فبارِزوا كأسد من العرين. وقد حان أن يكون رجالكم كقَسْورة، ونساؤكم كلبوة، وأبناؤكم كأشبال، وأعداؤكم كسِخال، فاتقوا الله وعليه توكّلوا إن كنتم مؤمنين.

وقد سبق منّا الذكر بأن القوم تفرّقوا في أمر كتابه، فبعضهم استحسنوا التوجّه إلى جوابه، واستهجنوا أن يرُفع الشكوى إلى السلطنة، فإنها من أمارات العجز والمسكنة، وفيه شيء يخالف

التأدّب بالدولة العالية، وقالوا إن الترافع ليس من المصلحة، فلا تسعوا إلى حكّام الدولة، ولا تقصدوا سيئةً بأنواع الحيلة، بل اصبروا وغيِّضوا دموعكم المنهلات، ولا تذكروا ما قيل من الجهلات، وادفعوا بالتي هي أحسن وأنسب بشأن الشرفاء، ولا تسعوا إلى المحاكمات بالصراخ والبكاء، وإن لنا كل يوم غلبةً بالأدلّة القاطعة، وسطوةً دامغة بالبراهين اليقينية، فلا يُحتقَر دينُنا عند العقلاء، ولا يُحقَّر بتحقير السفهاء، فالرجوع إلى الحكومة كالنائحات، أمرٌ لا يعُدّه غيورٌ من المستحسنات. وليس هذا العدوّ بواحد فنستريح بعد نكاله، بل نرى كثيرا من أمثاله، لهم أقوال كأقواله، ومكالٌ كمثل مكاله، ولم يبق بلدة ولا مدينة من مدائن هذه البلاد، إلا نزلوا بها، وتخيّموا للفساد في الأرضين. وكانوا في أوّل زمنهم يتزهّدون، ويوحّدون، ويروّضون أنفسهم ويراوضون، ويكفّون الألسن ولا يهذون. ثم خلفوا من بعدهم خلفٌ عدلوا عن تلك الخصلة، ورفضوا وصايا الْمِلّة، وهجَوا الأتقياء والأصفياء، وتركوا الصلاة وأكلوا الخنـــزير، وشربوا الخمر وعبدوا إنسانا كمثلهم الفقير، وسبق بعضهم على البعض في سبّ خير العباد، وقذفوا عِرض خير البريّة بالعناد. ألّفوا كتبًا مشتملة على السبّ والشتم والمكاوحة والقِحَة، ممزوجةً بأنواع العَذِرة، مع دجل كثير لإغلاط العامّة، وبلغ عددُ بذائهم إلى حدّ لا يعلمه إلا حضرة العزّة. فانظروا كيف يعضل الأمر

عند الاستغاثات، ويلزم أن نعدو كل يوم إلى المحاكمات، وإن هي إلا من المحالات.

هذه دلائل هذه الفرقة، والآخرون يؤثرون طرق الاستغاثة، ولكنّا لا نرى عندهم شيئًا من الأدلّة على تلك المصلحة، وإن هو إلا حرصٌ للانتقام كعُرض الناس والعامة. وإذا قيل لهم إنكم تخطئون بإيثار هذه التدابير، فلا يجيبون بجواب حسن كالنحارير، ويتكلّمون كالسفهاء المتعصّبين. وقلنا أيها الناس، ارجِعوا النظر.•

---

• *كما أشرنا في مقدمة الناشر أن حضرته قد ذكر في هذا الكتاب – ولا سيما في القسم الأردي منه – أسسًا وقواعد للرد على مسألة كهذه منها: عدم اتباع منهج التوجه للحكام لردع هؤلاء المهاجمين أو اعتقالهم، لأن في هذا إقامة للحجة على المسلمين فكأنهم لا يملكون جوابا على هذه التهم.*

*ومنها: الحثُّ على التعقل والرد على هذه الهجمات وتبيان بطلانها بدلا من معاقبة الشخص المهاجم بحد ذاته، لأنه ليس الأول ولن يكون الأخير.*

*ومنها: ضرورة الحفاظ على الأمن والنظام وعدم إثارة الاضطراب والفوضى. وقد ذكّر بأن الحكام إذا أعطوا الناس حريتهم وعدلوا ومنعوا عدوان فريق على آخر، فهم بذلك يكونون قد أحسنوا إلى الجميع وإلى المسلمين خصوصا، ويصبح واجبا على المسلمين تأدية الشكر لهم، وغير ذلك من القواعد والأسس. (الناشر)*

# حقيقة المهدي

As the Muslims of India entertain different beliefs with regard to "the coming Mehdi" and especially the nature of his appearance among the Muslims: according to some Muslims he will be a reformer and engenderer of new life, like a true lover of peace and tranquility and a person poor in heart; — the Muslims of this party considering his appearance as mearly spiritual: while other Muslims, such as Maulvi Muhammad Husain of Batala, editor of Ishá-at-Usunnah and leader and advocate of Ahl-i-Hadis or Wahabis of his class, believe that the "coming Mehdi" will be Khari, general slaughterer and upsetter of the empires of the nations other than Muslims, especially the bitter opponent of the British Empire, and speak of the terrible consequences resulting from the bloody deeds of this Mehdi; I have written this pamphlet to show which of thes two Muslim parties is right in its beliefs with regard to "the coming Mehdi"

It will be better that our benign Government will get this pamphlet translated into English, & hence make itself acquainted with these differences concerning "the coming Mehdi."

Haqiqat-ul-Mehdi

# حقیقت المہدی

The true nature of Al'mehdi

بتاریخ ۱۵ ماہ نومبر طبع ضیاء الاسلام قادیان میں باہتمام حکیم فضل الدین صاحب بھیروی مطبوع ہوا۔ تعداد ۱۰۰۰ ۱۹۰۸

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

**بسم الله الرحمن الرحيم**

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

السلام عليكم يا إخوتي ورحمة الله وبركاته.

**أمّا بعد..** فاسمعوا مني يا عباد الله الصالحين، ويا إخواننا من بلاد الروم والشام والأرض المقدّسة مكة ومدينة* التي هي دار هجرة سيدنا ونبيّنا خاتم النبيين، وفارس ومصر وكابل وغيرها من الأرضين. رحمكم الله وأيّدكم، وكان معكم في الدنيا ويوم الدين، وهدانا وهداكم إلى حقٍّ مبين.

إني أدعوكم إلى مراضي الله الرحيم، وأدعو إلى وصايا نبي الله الكريم، عليه ألف ألف صلاة من الله الكبير العظيم، وأُبشّركم بما ظهر في هذه الديار بفضل الله الودود الغفّار، وأُبشّركم بأيام الله وتنفُّس صبح الصادقين، وأُبشّركم برحمةٍ نزلت من ربنا وهو أرحم الراحمين.

يا عباد الله.. إنه ﷻ نظر إلى الأرض فرأى أن الفتن فيها كثرت، والديانة قلّت، والقلوب قست، والصدور ضاقت، وما من يوم يمضي ولا شهر ينقضي، إلا تزيد الفتن وتشتدّ المحن، ومُلئت الأرض بأنواع البدعات، وتُركت السُنّة والقرآن وظهر الفساد في النيّات، وغلبت على القلوب حب الشهوات، وزالت من الجباه أنوارُ

* سهو، والصحيح: "المدينة". (الناشر)

الحسنات، بل علا الوجوهَ مِن فساد القلوب سوادٌ وقُحول، وضُمْر وذبول، وجبن وإحجام، ووساوس وأوهام، وجهلوا كل ما أُوتوا من النبي المصطفى، ونسوا وصايا القرآن وما قال خير الورى. وبقي في أيديهم قشرٌ وأضاعوا لُبّ الإيمان، وأقبلوا على الدنيا وشهواتها وآثروا سبل الشيطان، وما تجدون أكثرهم إلا فاسقين، مجترئين غير خائفين. وترون أكثر العلماء يقولون ولا يفعلون، والزهداءَ يُراؤون ولا يُخلصون، ولا يتبتّلون إلى الله ولا يتّقون. وترون عامة الناس تمايلوا على الدنيا وإلى الآخرة لا يلتفتون، ويتعامون ولا يُبصرون، وينومون مستريحين ولا يستيقظون. وأهل الملل الأخرى يبذلون أموالهم وجهدهم لإشاعة الضلالات، وكذلك فسدت الأرض من سوء الاعتقادات، وأخرجتْ أثقالَها من أنواع المكائد والخزعبيلات. فاقتضت العناية الإلهية أن يبعث عبدًا من عباده لتنوير القلوب المظلمة، ويُصلح على يديه موادَّ المفاسد الموجودة، فاختارني فضلاً ورحمةً من عنده لهذه الخطّة العظيمة، وأعطاني حظًّا كثيرًا من المعارف الروحانية، وخفايا العلوم النبويّة، والدقائق الفرقانيّة، وسمّاني مسيحًا موعودًا لأُحيي القلوب المائتة بقدرته الكاملة، وأجدّد أمر التوحيد وأشيّد مباني الملّة. وإني أنا آية الله التي جلاّها لوقتها رُحمًا على الخليقة، فهل أنتم تقبلونني أو تردّون من أتاكم من الحضرة؟ وقد بلّغتُ ما أُمِرتُ فكونوا من الشاهدين. والذين كذّبوني فما كان

تكذيبهم إلا من العميَّة، فإنهم ما تدبّروا دقائق أخبار خير البرية، عليه الصلاة والسلام من حضرة العزّة، وكانوا بادي الرأي مستعجلين. فأخذهم بخلٌ وعنادٌ نشأ من أهوائهم، واستولى عليهم سيل شحنائهم فما كانوا مهتدين. وقالوا إن المسيح ينـــزل من السماء، وإن المهدي يخرج من بني الزهراء، وأنهما يتقلّدان الأسلحة ويحاربان الكَفَرة ويسفكان الدماء، ولا يرحمان الرجال ولا النساء، ولا يتركان ولا يُدخلان السيوف في أجفانها حتى يكون الناس كلهم مسلمين. وقالوا إن المهدي يُفحِم الكَفَرة بالتعزيرات السياسية لا بالآيات السماوية، ولا يترك في الأرض بيتَ كافرٍ، ويضرب عنق كل مقيم ومسافر، إلا أن يكونوا مؤمنين. ويُحارب النصارى وكلَّ مَن قبِل الملّة النصرانية، ويؤمّ بلادَ الهند وغيرها وينال الفتوح العظيمة، ويقتل وينهب ويغنم ويسبي الرجال والنسوة. والمسيح ينـــزل من السماء ليعاونه كالخدماء، ولا يقبل الجزية ولا الفدية، ويُحبّ أن يقتل مَن في الأرض من الكفار أجمعين. وكذلك يطأ أفواجهما أرض الله سفّاكين غير راحمين. وقالوا هذه عقائد اتفق عليها أمم من العلماء ونقلها خلفُها من سلفِها، وحاضرُها من غابرِها، وكثيرٌ من الكبراء. وأما نحن يا عباد الله الرحيم، فما وجدنا هذه العقائد صحيحة صادقة، بل وجدناها سقطًا ورَديًّا لا من الرسول الكريم. وعلّمني ربي أنه خطأٌ وما آتى رسولنا شيئا من مثل هذا التعليم وإنهم من الخاطئين.

فالمذهب الذي أقامنا الله عليه هو مذهب حلم ورفق وتؤدة، لا قتلٍ وسبيٍ وأخذ غنيمة، وهذا هو الحق الواجب في زماننا وإنّا من المصيبين. فإن أمر الجهاد كان في بُدُوّ أيام الإسلام، وكان حفظ نفوس المسلمين موقوفًا على قتل القاتلين والانتقام، بما كانوا قليلين وكان الكفار غالبين كثيرين سفاكين. وما أُمِر المؤمنون للحرب والقتال إلا بعد ما لبثوا عمرًا مظلومين مضروبين وذُبحوا كالمعز والجمال. وطال عليهم الجور والجفاء، وتوالى الظلم والإيذاء، حتى إذا اشتدّ الاعتداء، وسُمع عويل المستضعَفين والبكاء، فأُذِن للذين قتَل الكَفَرةُ إخوانهم والبنين، وقيل اقتلوا القاتلين والمعاونين، ولا تعتدوا فإن الله لا يُحب المعتدين.

هنالك جاء أمر الجهاد، وما كان إكراهٌ في الدين وما جَبرٌ على العباد، وما بُعِثَ نبيٌّ سفّاكًا بل جاؤوا كالعهاد، وما قاتلوا إلا بعد الأذى الكثير والقتل والنهب والسبي من أيدي العدا وغلوِّهم في الفساد، فرُفعت هذه السُنّة برفع أسبابها في هذه الأيام، وأُمرنا أن نُعدّ للكافرين كما يُعدّون لنا، ولا نرفع الحُسام قبل أن نُقتل بالحسام. وترون أن النصارى لا يقتلوننا في أمر الدين، ولا قوم آخرون من البعيد والقرين. فهذه السيرة عارٌ للإسلام.. أن نترك الرفق لقوم رفقوا.. فأمعِنوا يا معشر الكرام. وقد جاء في صحيح البخاري أن المسيح الموعود يضع الحرب، يعني لا يستعمل الطعن ولا الضرب،

فما كان لي أن أُخالف أمر النبي الكريم، عليه سلام الله الرؤوف الرحيم. وقد جرت عليه سُنّة نبينا خاتم النبيين، فأيّ أمرٍ أفضل منه يا معشر العاقلين؟ ويكفي لكم ما قال سيدنا خاتم النبيين، عليه صلوات الله والملائكة والصالحين من الناس أجمعين.

ثم مع ذلك قد ثبت أن الأحاديث التي جاءت في المهدي الغازي المحارب من نسل الفاطمة الزهراء، كلها ضعيفة مجروحة، بل أكثرها موضوعة، ومِن قسم الافتراء. وما وُثّق رُواتُها، وأُشكِلَ على المحدِّثين إثباتُها، ولأجل ذلك تركها الإمام البخاري والمسلم والإمام الهمام صاحب الموطّا وجرّحها كثير من المحدِّثين. فمن زعم أن المهدي المعهود والمسيح الموعود رجلان يخرجان كالمجاهدين، ويسلاّن السيف على النصارى والمشركين، فقد افترى على الله ورسوله خاتم النبيين، وقال قولا لا أصل له في القرآن ولا في الحديث ولا في أقوال المحققين. بل الحق الثابت أنه: "لا مهدي إلا عيسى"، ولا حرب ولا يؤخذ السيف ولا القنا. هذا ما ثبت من نبيّنا المصطفى وما كان حديث يفترى، وشهد عليه الصحيحان في القرون الأولى، بما تركا تلك الأحاديث وإنْ في هذا ثبوت لأولي النهى، وتلك شهادة عظمى، فانظر إن كنتَ من أهل التقى.

واعلم أن عيسى المسيح نبي الله قد مات ولحق برسُلٍ خلوا وتركوا هذه الدنيا، وقد شهد عليه ربنا في كتابه الأجلى، وإن شئتَ فاقرأْ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، ولا تتبعْ قول الذين تركوا القرآن بالهوى.

وما أتوا عليه ببرهان أقوى، وقالوا وجدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم بعُدوا من الهدى. وإنّا نريكم آيات الله فكيف تكفرون. هذا ما قال الله، فبأي حديث بعد كلام الله تؤمنون؟ أتتركون القرآن بأقوالٍ لا تعرفون؟ أتجعلون رزقكم أنكم تُكذّبون وتؤثرون الشك على اليقين؟ ولا قول كقول رب العالمين.

وإنّا أثبتنا أن عيسى عليه السلام هاجر من وطنه بعد واقعة الصليب، والهجرة من سُنن المرسلين بإذن الله المجيب القريب. ثم سافر إلى هذه الديار، ديارِ الهند كما جاء في الآثار، وكمّل الله عمره إلى مائة وعشرين كما جاء في الحديث من النبي المختار، ثم مات ودُفن في أرض قريبة من هذه الأقطار، وقبره موجود في سرِينَكَرْ الكشمير إلى هذا الزمان، ومشهور بين العوام والخواص والأعيان، ويُزار ويُتبرّك به، فاسأل أهلها العارفين إن كنتَ من المرتابين. وانظر كيف مُزّقت تلك الخيالات، ولم يبق لها أثر وبطلت تلك الروايات، فانكشف أن المراد من المسيح النازل رجلٌ أُعطِيَ له خُلُقَ المسيح، وهو الذي يُكلّمكم يا أولي النهى والفهم الصحيح. واعلموا أن وقت الجهاد السيفي قد مضى، ولم يبق إلا جهاد القلم والدعاء وآيات عظمى. والذين يعتقدون أن الجهاد السيفي سيجب عند ظهور الإمام، فقد أخطأوا وإنّا لله على زلّة الأقدام. وما هذا إلا خطأ نشأ من قلة التدبّر في أحاديث خير الأنام، ومن عدم التفريق بين الموضوعات

والصحاح واتّباع الأوهام. والأسف كل الأسف على رجالٍ يعلمون أنّ أحاديث المهدي الغازي مجروحة غير صحيحة، ثم يعتقدون بمجيئه من غير بصيرة، ولا يقولون قولا على وجه البصيرة، ولا يبتغون نورًا من النصوص النقلية والدلائل العقلية، وكانوا عاهدوا أن يُموّنوا خطط الإسلام، ولا يتّبعوا قولاً يُخالف قول سيدنا خير الأنام. فلا شك أن وجود هؤلاء من إحدى مصائب التي صُبّت على الدين المتين، فإنهم لا يتّبعون نورًا بل يمشون كالعمين. وما كان علمهم مُطهَّرًا من الشك والريب، وما رُشحتْ على قلوبهم فيوضٌ من الغيب، بل إنهم يقْفُون ما ليس لهم به من علمٍ ولا بصيرة، ويتّبع بعضهم بعضًا من غير دراية ومعرفة. وكذلك جعلوا دين الله بحُمقهم عرضةَ المعترضين المتعصّبين، ولعبةَ اللاعبين الغافلين. إنهم قوم جهلوا معرفة الأمور الدينية والدقائق الشرعية، وصاروا أئمة قوم جاهلين. يُفتون ولا يعلمون، ويؤُمّون ولا يتفقّهون، ويقولون ولا يفعلون. لا يمسّون شيئًا من معارف الفرقان، ولا يتّبعون رجال هذا الميدان، ويَعظون ولا يفهمون ما يخرج من أفواههم، وما كانوا مبصرين ولا مفكرين، ولا على الله مُقبِلين. وإن بِضاعة علمهم مُزْجاةٌ ناقصة، وإن قلوبهم على الدنيا مائلة ساقطة، فكيف يفهمون معضلات الدين، وكيف يطّلعون على معارف الشرع المتين؟ فإن معارف الله لا تنكشف إلا على قلوب صافية، وأبواب الدين لا تُفتح إلا على هِممٍ على الله مُقبِلةٍ، ولا تتجلّى الحقائق إلا على أفكارٍ إلى الرحمن

حافدةٍ. ثم مع ذلك وجب على رجالٍ يتصدّون لمواطن المباحثات ويقتحمون سيول المباحثات، أن يكونوا متوغّلين في العلوم العربية، ومُرتوين من العيون الأدبية، ومطّلعين على فنون الكلام والأساليب الغريبة المعجبة، وقادرين على محاسن الكنايات، ومقتدرين على طرق التفهيمات، وعارفين لمحاورات اللسان، وضابطين لقوانين* العاصمة من الخطأ في الفهم والغلط في البيان. وأنّى لهؤلاء هذه الكمالات؟ فليس في أيديهم إلا الخرافات، فليبكِ عليهم من كان من الباكين.

أينتظرون المهدي الغازي ليسفك الدماء، ويقتل الأعداء، ويقطع الهامَ، وبالسيف يشيع الإسلام؟ مع أنه ليس بثابت من الأحاديث الصحيحة، ولا النصوص الفرقانية، بل ثبت خلافه عند المحققين. ثم مع ذلك هذا أمر يُنكره العقل السليم، ويأبى الفهم المستقيم، فاسأل المتدبّرين.

وأنت تعلم أن زماننا هذا زمان لا يسطو أحدٌ علينا للمذهب بالسيف والسنان، ولا يُجبِر أحدٌ لنتّبع دينه ونترك دين الله خير الأديان، فلا نحتاج في هذه الأيام إلى الحرب والانتقام، ولا إلى تثقيف العوالي وتشهير الحسام، بل صارت هذه الأمور كشريعة نُسختْ، وطُرقٍ بُدّلت. فلما ما بقي حاجة إلى الغَزاة والمحاربة، أُقيمَ

* سهو، والصحيح: "للقوانين". (الناشر)

مقامَ هذا إتمامُ الحجّة بالدلائل الواضحة القطعية وإثبات الدعاوي بالبراهين الصادقة الصحيحة، وكذلك وُضعت موضعها الآيات المنيرة والخوارق الكبيرة، فإن الحاجة قد اشتدّت في وقتنا هذا إلى تقوية الإيمان، ونزول الآيات الجليّة من الرحمن، ولا يُفيدهم سفك الدماء وضرب الأعناق، بل يزيد هذا أنواع الشكوك والشقاق. فالمهدي الصدوق الذي اشتدّت ضرورته لهذا الزمان، ليس رجل* يتقلّد الأسلحة ويعلم فنون الحرب واستعمال السيف والسنان، بل الحق أن هذه العادات يضر* الدين في هذه الأوقات، ويختلج في صدور الناس من أنواع الشكوك والوسواس، ويزعمون أن المسلمين قوم ليس عندهم إلا السيف والتخويف بالسنان، ولا يعلمون إلا قتل الإنسان. فالإمام الذي تطلبه في هذا الزمان قلوبُ الطالبين، وتستقريه النفوس كالجائعين، رجلٌ صالح مهذّب بالأخلاق الفاضلة، ومُتّصفٌ بالصفات الجليلة المرضية، ثم مع ذلك كان من الذين أُوتوا الحكمة والمعرفة، ورُزقوا البراهين والأدلّة القاطعة، وفاق الكلَّ في العلوم الإلهية، وسبق الأقران في دقائق النواميس ومعضلات الشرعية وكان يقدِر على كلام يؤثّر في قلوب الجُلاّس، ويتفوّه بكلمات يستملحها الخواص وعامة الناس، وكان مقتضبا بملفوظات تحاكي لآلئَ منضدّةً، ومُرتجلاً بنِكاتٍ تُضاهي قطوفًا مذلَّلة، مارنًا على

* سهو، والصحيح: "رجلا". (الناشر)
* سهو، والصحيح: "تضرّ". (الناشر)

حسن الجواب، وفصل الخطاب، مستمكنًا من قول هو أقرب بالأذهان، وأدخلُ في الجنان، مُبكِّتًا للمخالفين في كل مَورد تورَّدَه، ومُسكِّتًا للمنكرين في كل كلام أوردَه. فلا سيفَ في هذا الزمان إلا سيف قوة البيان، ولا أجد في هذا العصر تأثير القناة، إلا في البراهين والأدلّة والآيات. فإمام هذا العصر امرؤ كان فارس مضمار العرفان، والمؤيَّد من الله بآيٍ وغيرها من طرق إتمام الحجّة وأنواع البرهان. كان أعرفَ مِن غيره بكتاب الله الفرقان، ليُرهِب به أعداءَ الله ويشفي صدور الطالبين. وكان قادرًا على إصلاح نفسه التي هي أعدى أعدائه لتذوب بالكلّية ولا تنازع الله في كبريائه. وكان متوكّلاً متواضعا مُبتهلا لإعلاء الشريعة الغراء، صابرًا مُشفقًا على عباد الله ومجتهدًا لهم بعَقْد الهمة والإلحاح في الدعاء. ولا ينسى أحدًا من المخلصين ولو كانوا في أبعد أقاليم، ويُجادل الله في أشقياء جماعته كإبراهيم، وكان وجيهًا في حضرة رب العالمين. فإن مَثل الإمام مثلُ رجلٍ قويٍ تعلّق بأهدابه ضعيفٌ أو شيخٌ كبيرٌ يتخاذلان رجلاه، وضعفتْ عيناه، فيأخذا هذا الفتى الضعيفَ والشيخ الفاني الخرف النحيف، ويعصمه من أن يظلم نفسه ويحيف، وكذلك يأخذ كلَّ من خِيفَ عليه العثار لضعف من المريرة، ويُعطي غضًّا طريًّا كلَّ من احتاج إلى امتراء الميرة، ويُبلِّغ المستضعَفين اللاغبين إلى ديارهم كفتيان ناصرين. فالذي ما أُوتيَ قلبُه صفةَ الشفقة والمواساة، وما له

قوة وشجاعة كالأبطال والكُماة، ولا يُقبِل على الله لخَلْقه بالبكاء والتضرّعات، ولا يوجد فيه رُحْمٌ أكثر من رحم الوالدات، فلا يُؤتى له هذا المنصب ولا يوجد فيه شيء من هذه الآيات، وليس هو وارثَ إمام الكونين وسيد الكائنات. وأمّا الذي أُعطِيَ له هذا التحنّن والشفقة، ومُلِئَ قلبُه بهذه الصفات، مع انسلاخه من أهواء النفس والشهوات، واستهلاكه في حب الله ومَحْوِيّته في ابتغاء وجه الله والمرضاة، فهو كبريت أحمرُ وبدرٌ تام ودوحةٌ مباركةٌ للكائنات، ليتفيّأ الناس ظلاله ويأتوه لجلب البركات. وهو دار أمنٍ ليجوس المضطرّون خلالها وليأخذوه كهفًا عند الآفات. وهو مُبارِكٌ وبوركَ مَن حوله، وبُشرى لمن لاقاه ورآه، أو سمع منه بعض الكلمات. إنه رجلٌ يوالي اللهُ من والاه، ويُعادي من عاداه. ويأتيه السعداء من كل فَجٍّ عميق وديارٍ بعيدة، وهو كهفٌ للملّة وأمانٌ من الله لكل مسلم ومسلمة. ومن علامات صدقه أنه يؤذَى في أوّل أمره ويُسلَّطُ عليه الأشرار، ويسطو الفُجّارُ، مستهزئين مُكذّبين، ويقولون فيه أشياء ويسبّون مجترئين. وهو يدِجّ على الأرض دَجَّ الصِّوار، ويمشي هونًا كالأخيار، ولا يجزي السيئةَ بالسيئة، ويدفع بالتي هي أحسن وأنسب لعباد الحضرة. حتى إذا تمّ أيام الابتلاء، وما قُدّر عليه من جور السفهاء، فيُنفَخ في روعه أن يُقبِل على الله كل الإقبال، ويسأل نصرته بالتضرّع والابتهال، فتتحرّك في باطنه هذه الإرادات، فيخرّ ساجدًا لله فتُستجاب الدعواتُ، وتكون له النصرة والفتح في آخر

الأمر وفي المآل. ويخلق الله له أسبابًا من السماء باللطف والنوال، ويفعل له أفعالاً يتحيّر الخَلْق من تلك الأفعال، ويقلِّب الأمرَ كل التقليب ويؤمنه من الخوف والاهتيال. وكذلك جرت عادتُه بأوليائه، فإنه يجعل أعداءهم غالبين في أوّل الأمر، ثم يجعل الخواتيم لهم، وقد كتب أن العاقبة للمتقين. ولا يُبعَث كمثل هذه الرجال إلا بعد مرورٍ من القرون بإذن الله الفعّال، وبعد فسادٍ في الأرض وصَول الأعداء وسيل الضلال. فإذا ظهر الفساد في الأرض وزاد العدوان، وكثر الفسق والعصيان، وقلَّ المعرفة وصار الناس كالعمين، وجهلوا حدود الله رب العالمين، وتطرّقَ الفساد إلى الأعمال والأفعال والأقوال، وصار أمر الدين مُتشتِّتًا ومُشرِفًا على الزوال، والأعداء مدّوا أيديهم إلى بيضة الإسلام، وانتهى شعار الدين إلى الانعدام، وما بقي في وُسع العلماء أن يردّوا الناس إلى الصلاح والاتّقاء، بل العلماء وهنوا ونسوا خدمة الدين، وتمايلوا على الدنيا الدنيّة، وما بقي لهم حظ من الإيمان واليقين. وبلغ أمر الفساد والفسق والضلالة إلى منتهى الغيّ كعلّة كانت في الدرجة الثالثة، وما بقي رجاء أن يبرأ الناس بمجرّد القالِ والقيل، فعند ذلك يُرسَلُ مصلحٌ ويُعطى له مِن لدن ربه علمٌ ومعرفة وصدق وطرقُ إقامة الدليل، وطهارةٌ واستقامةٌ، وعليه جرت عادة الرب الجليل.

فالحاصل أن العناية الإلهية تقتضي بالفضل والإحسان، أن يبعث نبيًّا أو مُحدَّثًا في ذلك الزمان، ويفوّض إليه هذه الخطة ويجتبيه لإصلاح نوع الإنسان، فيجيء في وقت تشهد فيه القلوب السليمة لضرورة داعٍ من حضرة الكبرياء، وتحسّ كلُّ نفس متيقّظة حاجةً إلى تأييد رب السماء، ويجدون ريحه، ونفحاتُه تقرَع شامّة أرواحهم، فعند ذلك يظهر مأمور الله، ويغيض سيل الفتن، ويتم الحجة على الكافرين. ولا يأتي إلا عند الضرورات، ولا يسلّ السيف إلا على الذين سلّوها من الظالمين والعصاة.

ثم اعلم أيها السعيد أن أكثر الناس قد أخطأوا وغلطوا في أمر المهدي المعهود، ونسبوا إليه سفك الدماء وقتلَ كثيرٍ من النصارى واليهود، وقالوا إن ملوك النصارى الذين هم ملوك الهند من أهل المغرب أعني اليوروفين*، يؤخَذون ويُطوَّقون ثم يُحضَرون في حضرة المهدي صاغرين. وما لهم به من علم أن يقولوا إلا كالمفترين. وما عندهم إلا أحاديث ضعيفة ووضع من الواضعين، ولا تجد في أيديهم حديثًا صحيحًا من خاتم النبيين. فاتّقوا الله ولا تعتقدوا كمثل هذه العقائد، ولا تستروا شريعة الله تحت الزوائد متعمّدين. والذين لا يتركون هذه الأقاويل، ولا يستقرون البرهان والدليل، ولا يطلبون نورا يشفي النفس وينفي اللبس، ويكشف عن حقيقةٍ الغُمّى،

* أي الأوروبيين. (الناشر)

ويُوَضّح المعمَّى، ولا يُمعِنون النظر كالمحققين، بل يتّبع بعضهم بعضًا كالعمين، ولا يسرحون الطرف كالمفتّشين، فأولئك قوم يشابهون جَهامًا و*خُلّبًا، ويُضاهون متصلّفًا قُلَّبًا، أو هم كبيوت عورة، أو كأشجارٍ غير مثمرة، وليس عندهم مِن غير لحىً طُوّلتْ، وآنُفٍ شَمَختْ، ووجوه عبست، وألسُنٍ سلطت، وقلوب زاغت. ولهم أمانً لا يتركونها، وأهواء يخفونها، فلا يرِدون مناهل التحقيق، ولا يستقرئون مجاهل التدقيق، ولا يبذلون جهدهم لرؤية الحق المبين، ولا يجاهدون لإيصال الناس إلى ذُرَى اليقين.

وآخر الكلام في هذا الباب، أني أنا المسيح المهديّ من رب الأرباب، وما جئتُ للمحاربات، وما أمرني ربي للغَزاة. إني جئتُ على قدم ابن مريم، لأدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وإلى ربٍّ أكرم وأرحم، ولا أرى حاجة إلى سلّ السيوف من أجفانها، بل هي عارٌ لملَّة أحاطت البلاد بلمعانها. نعم! حاجةٌ إلى بَرْيِ الأقلام لجولانها، لَنَنجّي الناس من الضلالات وطوفانها. وإذا جئتُ علماء هذه الديار، فكفّروني وكذّبوني بالإصرار، وأعرضوا عن الحق بالاستكبار، وقالوا دجّال افترى. فأراهم الله الآية الكبرى، وظهرت أنباء الغيب وبركات عظمى، وخُسف القمر والشمس في رمضان، فما تقلَّبَ قلبٌ إلى الحق وما لان، وعرضتُ عليهم سُبلَ الهداية، فما امتنعوا من

*لعلّ الواو هنا زيدت سهوا. (الناشر)

العماية والغواية، وألّفتُ لهم مجلدات ضخيمة وكتبًا مطولة مبسوطة فما قبلوا الحق بل سبوا كالسفهاء، وزادوا في الغيّ والاعتداء. وقد وضح لهم بصدق العلامات أنني من الله رب السماوات، فما كان أمرهم إلا الفحش والإيذاء والشتم والازدراء، وقد رأوا من ربي آيات وأنواع تأييدات، فما قبلوا ظُلمًا وعُلُوًّا وما كانوا منتهين. وما جئتُهم في غير وقت بل جئتُ عند غُربة الإسلام، في زمان فساد أشار إليه سيدنا خير الأنام، وعلى رأس المائة، وكانوا من قبلٍ ينتظرون وقت هذه المائة، ويحسبونها مباركة للملّة، فلما جئتهم نبذوا علومهم وراء ظهورهم، وصاروا أوّل المعادين. ولولا خوف سيف الدولة **البرطانية**، لقتلوني بالسيوف والأسنّة، ولكن الله منعهم بتوسّط هذه الدولة المحسنة، فنشكر الله ونشكر هذه الدولة التي جعلها الله سببًا لنجاتنا من أيدي الظالمين. إنها حفظت أعراضنا ونفوسنا وأموالنا من الناهبين. وكيف لا تُشكَر وإنّا نعيش تحت هذه السلطنة بالأمن وفراغ البال، ونُجّينا من أنواع النكال، وصار نزولها لنا نزول العزّ والبركة، ونلنا غاية رجائنا من أمن الدنيا والعافية، فوجبت إطاعتها ودعاء إقبالها وسلامتها بصدق النيّة. إنها ما أسَرَتْنا بأيدي السطوة، بل جعل* قلوبنا أسارى بأيادي المنّة والنعمة، فوجب شكرها وشكر مَبرَّتِها، ووجب طاعتها وطاعة حفدتها.

* *يبدو أن "ت" سقطت هنا سهوا، والصحيح: "جعَلتْ". (الناشر)*

اللهم اجزِ منّا هذه الملكة المعظّمة، واحفظها بدولتها وعزّها، يا أرحم الراحمين. آمين.

**الراقم المرزا غلام أحمد القادياني**، ٢١ فروري سنة ١٨٩٩